

الدكتور ابراهيم رزقانة

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت — القاهرة





الدكتور ابراهيم رزقانه

دار النهضة العربية
٣٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

فهـــرس

الفصل الأول

أجناس آسيا والاوقيانوسية

الفصل الثانى

أجناس أوروبا

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

أجناس أفريقيا

الفصل الرابع

الموضوع — الصفحة

الفصل الخامس

الفصل الأول

أجناس آسيا والأوقيانوسية

تشمل دراسة الجغرافيا الجنسية لأية قارة أربعة أمور :

١ - تحديد موقع القارة بالنسبة للقارات الأخرى .

٢ - الإلمام بظروف البيئة الطبيعية من سطح ومناخ ونبات .

٣ - معرفة توزيع الأجناس القديمة والحديثة فى أجزاء القارة .

٤ - محاولة الربط بين كل جنس وبين ظروف البيئة التى يعيش فيها مع العناية بالصفات الجسمانية للأجناس دون الصفات الثقافية .

موقع آسيا :

تتصل آسيا من ناحية توزيع شعوبها اتصالا وثيقاً بالقارات الثلاثة المجاورة لها أوروبا وأفريقيا وأمريكا . ففيما يختص بالصلة بينها وبين أوروبا نجد أن شمال آسيا يؤلف مع أوروبا كلها - فيما عدا سواحل البحر المتوسط - منطقة حيوية واحدة ، بمعنى أنها متشابهة فى أنواع النبات والحيوان والإنسان ، فجبال أورال التى تفصل بين القارتين لم تكن فى يوم من الأيام حاجزاً فى سبيل الهجرات البشرية لآسيا وأن هذه الجبال تتلاشى فى الجنوب وتترك بينها وبين بحر قزوين ثغرة واسعة منبطسة الأرجاء تيسر الاتصال بين هاتين القارتين . ويمكن القول عموما أن الحواجز الجنسية فى أوراسيا لا تسير من الشمال للجنوب، وإنما تسير من الشرق للغرب فتقسمها إلى نطاقات جنسية تمتد من أقصى شرق آسيا إلى أقصى غرب أوروبا ، غير أن هذا التقسيم المنتظم إلى نطاقات قد اضطرب بعض الشيء فى العصر الحديث بسبب ماطرأ على سبل المواصلات من يسر وسهولة .

وفيما يختص بالصلة بين آسيا وأفريقيا يمكن القول أن القارة الأخيرة من الناحية الجنسية ماهى إلا نتوء فى جسم القارة الأولى والواقع أن الشواهد تدل على أن أفريقيا عمرت بأجناسها عن طريق آسيا ، وأن آسيا هى الأم التى غذت أفريقيا بالأجناس الحالية التى اتخذت طريقها إليها عبر مضيق باب المندب .

وأما عن صلة أمريكا بآسيا فإنه رغم قربهما بعضهما من بعض ، فإنهما لايتصلان إلا فى موضع واحد هو جزر الوشيان التى تعتبر قنطرة تصل بين القارتين ، أو درجا يؤدى بالإنسان من آسيا إلى أمريكا ، غير أنه يفصل بين هذه الجزر وبعضها بحار تعتبر على ضيقها من أشد المساحات المائية خطورة على الملاحة بسبب ما ينتابها من عواصف . وتعتبر الثغرة عبر مضيق برنج أضيق الثغرات التى تفصل بين القارتين أو على الأصح أضيق الحلقات التى تصل بينهما ، ومما يسر الاتصال عبر هذه الثغرة تجمد مياهها لفترة طويلة كل عام . ومما لاشك فيه أن أمريكا عمرت بأجناسها الحالية عن طريق هذه الثغرة ،بل أن بعض علماء الإنسان يرى أنه حدثت بعد ذلك نزحات جنسية عكسيه أى من أمريكا إلى آسيا .

وتحيط الأوقيانوسية (جزر المحيط الهادى) بشرق آسيا وجنوبها الشرقى ، ومع أنها تنتشر فى مساحة هائلة إلا أن مساحة اليابس التى تشغلها هذه الجزر ضئيلة كما أن الثغرات بينها وبين بعضها ضيقة . ويمكن القول بصفة عامة أن جزر المحيط الهادى تنتشر على شكل مروحة من الأرخبيل العظيم الواقع فى جنوب شرق القارة . ولقد كان بعض هذه الجزر ـ حتى بعد نشأة الإنسان ـ أجزاء من القارة الأصلية عمرها الإنسان فيما عمر من جهات آسيا الأخرى ، ثم انفصلت هذه الأجزاء عن القارة مكونة جزراً بعد أن استقر بها الإنسان .

وقد نادى الأستاذ اليت سميث **Elliot Smith** برأى مضمونة أن الحضارة نقلت إلى أمريكا عبر هذه الجزر منذ زمن بعيد ، ومع أن معظم علماء الإنسان

يرفضون هذا الرأى إلا أنه مما لاشك فيه أن بعض الجماعات البشرية وصلت أمريكا مجتازة عرض المحيط الهادى عبر هذه الجزر ، ولكن هذا حدث فى عصر حديث .

ومع أن الأوقيانوسية منفصوله بحواجز بحرية عن سائر أجزاء العالم منذ زمان بعيد ، إلا أن الإنسان كان قد استقر فى أكبر جزرها ـ ألا وهى قارة استيراليا ـ قبل هذا الانفصال بل انتشر فى الأجزاء اليابسة الأخرى القريبة من هذه القارة ولقد لعبت آسيا دورا كبيراً فى تعمير استراليا وماجاورها حتى لتعتبر آسيا الأم التى غذت هذه الجزر أيضاً بأجناسها الأصلية . ولكن يظهر أن بعض الجزر البعيدة مثل مجموعة جزر بولينيزيا لم تصلها الهجرات من آسيا إلا فى العصور التاريخية

ويرى كثير من علماء الإنسان ومنهم هكسلى Huxley أن آسيا مازالت تضم بعض الجماعات الشبيهة بسكان استراليا الأصليين ويعقبون على ذلك بأن سكان استراليا الأصلين ماهم ألا بقايا جنس كان يؤلف عنصراً هاما من سكان آسيا ، ثم تضاءل عدده أمام ظهور أجناس أحدث ، ومن ثم كانت أقوى فى ميدان الكفاح البشرى .

سطح آسيا :

أهم مظاهر سطاهر الأرض فى قارة آسيا الهضبتان المرتفعتان اللتان تشغلان خمسى مساحتها ، الهضبة الأولى فى الغرب وتضم الأناضول وأرمينيا وإيران (فارس وأفغانستان وبالوخستان) والهضبة الثانية هى التى تشغل وسط القارة وتمتد من الهيمالايا إلى الشمال الشرقى . وهذه المساحات الواسعة من الهضاب تقسم آسيا إلى مجموعتين من المنخفضات .

١ — منخفضات سيبريا وحوض آرال وقزوين فى الشمال .

٢ — منخفضات العراق والهند والصين ومنشوريا فى الجنوب والشرق

وتحيط بالهضبة الوسطى سلاسل التوائية عريضة تمتد من جبال تيان شان حتى جبال خرخويانسك ، وإذا تجاوزنا هذه الجبال نحو الشمال نجد سهلا واسعا فى جنوب غرب سيبريا . كما يوجد نطاق شبيه بهذا هو السهل المرتفع الذى يحيط بالحافة الجنوبية الشرقية للهضبة الوسطى العظمى ، وتغطى هذا السهل تربة اللويس

أما الأجزاء المنخفضة التى تغطى باقى سيبريا فتتكون فى الجنوب من غابات مستنقعية غير صالحة للسكنى ، وفى الشمال من أرض جرداء لا أشجار فيها ، تتحول فى أقصى الشمال إلى تندرا واسعه . ثم يوجد شرق منطقة اللويس فى الصين سهل الصين العظيم فى الشمال ثم جبال مغطاة بالغابات فى الجنوب ، وهذه الجبال تمتد حتى حدود الهند ، وقد نشأت المدنيات فى وديان الصين الخصبة ، كما أن وديان السند والجانج كانت مركزا للمدنيات كذلك ، بينما جنوب الهند المغطى بالغابات مازال يضم مجموعات من القبائل البدائية ، أما العراق أى سهول الدجلة والفرات فكانت كذلك مهد المدنية منذ أقدم العصور البشرية .

مناخ آسيا القديم

لما بلغ الجليد أقصى انتشاره فى الدور الأخير من العصر الجليدى البليستوسينى كان يغطى كل أجزاء أوراسيا شمال خط عرض ٥٠° (فيما عدا منخفضات سيبريا لأنها كانت فى هذه الفترة خلجانا ممتدة من المحيط المتجمد الشمالى) كما كان يغطى جزءاً كبيراً من المرتفعات جنوب الخط السابق ، فلما تراجع الجليد تكونت بحيرات عظيمة ، ثم لما ازداد الجفاف تحولت البحيرات إلى مستنقعات ثم إلى سهول ثم صحارى فى بعض الجهات .

ومعنى هذا أن الجزء الأكبر من آسيا وأوروبا تعرض لجفاف تدريجى منذ انتهاء العصر الجليدى . وتؤدى فترات الجفاف دائما إلى هجرات بشرية ، ولهذا كان

الالمام بالتغيرات المناخية مفيدا فى تتبع الهجرات التى أدت إلى توزيع الأجناس على سطح الكرة الأرضية بالصورة التى نجدها عليها فى الوقت الحاضر .

والرأى السائد حتى الآن أن الانسان نشأ فى مكان ما بجنوب آسيا ، ربما فى عصر البليوسين الجيولوجى ، ولقد كانت المجموعات البشرية متشابهة فى مبدأ الأمر ولكنها كانت قابلة للتغير فى صفاتها نتيجة للظروف الجغرافية المختلفة ، ثم ثبتت فيها هذه الصفات نتيجة لتخصصها فى بيئة خاصة مدة طويلة وإذا كان الانسان وجد فى أوروبا فى إحدى الفترات الدفيئة التى تخللت العصر الجليدى الأخير فلابد أنه وجد فى آسيا قبل بداية هذا العصر ، وكان تقدم الجليد سبباً فى الهجرات التى كانت تنشط فى فترات اشتداد البرد وتخمد فى الفترات الدفيئة ، أى أن الحركات البشرية فى الأدوار الجليدية كانت حركات انتشار ، وأما الحركات البشرية فى الفترات الدفيئة فكانت حركات استقرار فى بعض المناطق وطرد فى مناطق أخرى .

التوزيع القديم لاجناس آسيا :

يمكن أن نلخص التوزيع القديم للأجناس بقارة آسيا على النحو الآتى :

١ — كان يوجد جنس بشرى ضيق الرأس يسكن الجهات المنخفضة الواقعة شمال الهضاب ، ثم انتشر هذا الجنس إلى أمريكا وأوروبا ، وإذا كنا قد رأينا فى أوروبا أكثر من جنس طويل الرأس فى العصر الحجرى القديم الأعلى . فلا شك أنه كان يوجد بآسيا فى هذا العصر أيضا عدة جماعات طويلة الرأس ، ثم تميزت عن بعضها فى العصر الحجرى الحديث ، وأصبحت أجناساً مستقلة ، ومثال ذلك أن البعض يعتبر الجنس الطويل القامة الأشقر الأزرق العين الضيق الرأس الذى يسكن فى الوقت الحالى شمال أوروبا شعبة من جنس البحر المتوسط ، ولكن الأفضل أن تعتبر الجنسين فرعين انحدرا من أصل واحد . أما الجنس الأول فكان مكان تخصصه السهول الواقعة شمال الهضاب الآسيوية ، ثم هاجر

شرقا وغربا حينما ساد هذه المنطقة الجفاف بعد انتهاء العصر الجليدى ، ويمكن أن نسمى هؤلاء أسلاف النورديين protonordics ويدخل تحت هذا الفرع سكان لجنوب ترانس بيكاليا (عبر بيكال) فى عصر ما قبل التاريخ ، وهم ضيقوا الرؤوس ، وسكان لجنوب سيبريا ثم سكان جنوب روسيا وهم ضيقوا الرؤوس كذلك ، ومن سلالة هؤلاء جماعة wn-suns الشقر الذين كانوا يعيشون على السفوح الشمالية لجبال تيان شان فى تركستان الصينية . وهم الذين سببوا كثيراً من المتاعب الصينيين سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وكذلك من سلالتهم السكى والبولتى Balti والكيذيان Scythians والنورديين بشمال أوروبا . وكل هذه الجماعات ضيقة الرأس ، وهذا الفرع على العموم كان يتألف من مجموعة كثيرة التنقل تفضل حياة الرعى على حياة الزراعة ، ولهذا كان مصدر قلق لجيرانهم . وأما الجنس الثانى فكان مكان تخصصه السهول الساحلية الواقعة جنوب الهضاب الأوروبية الآسيوية وسيرد ذكره فى الفقرة الرابعة .

٢ — كانت الشعوب المغولية العريضة الرأس تستقر حول الهضاب الوسطى ولكن يظهر أن الجنس المغولى الحقيقى تفرع فوق هذه الهضاب نفسها ، ثم فى فترة ضنك نزحوا إلى المنخفضات المجاورة .

٣ — كانت الهضاب الغربية منطقة تخصص جنس آخر عريض الرأس ، يضم فروعاً طويلة القامة وفروعاً قصيرتها ، وليس هذا الجنس مغولياً مطلقاً وإنما هو الجنس الألبي الذى يمتد من جبال هندوكوش إلى بريتانى ، وتجد بعض عناصره تنحدر إلى المناطق المنخفضة فى جهات متفرقة ، ولكن المجموعة الكبرى حافظت على سكنى الجبال ، وفيما عدا الجنس الألبي يعتبر غرب آسيا موطناً لمجموعتين أخريين من عراض الرأس هما الأتراك والاوجريانز Ugrians فلا شك أن هاتين المجموعتين من أصل مشترك ، ويعتبران فى العادة حالقوسطاً بين أسلافى

النورديين من ناحية ، وبين الألبيين من ناحية أخرى ، مع حدوث اختلاط فى بعض الأحيان وفى بعض المناطق مع المغول .

٤ — كانت توجد جنوب الهضاب مجموعة ضيقة الرأس سمراء البشرة ، ثم هاجرت شرقا وغربا حيث توجد بقاياها فى الوقت الحالى مبعثرة فى جنوب شرق آسيا فى الهند الصينية وجنوب الصين ، وفضلا عن ذلك فإنهم يكونون العنصر الأساسى فى الأند_نيسيين وربما الدارفيديين أيضاً فى الهند .

٥ — يوجد بآسيا جنس بدائى هو ما قبل الدارفيديين الذين نجد بقاياهم فى الغابات حيث توجد بعض قبائل تمثلهم مثل الفدا فى سيلان والـ Sakai فى ملقا .

٦ — كان الجنس الزنجى ينتشر فى جنوب آسيا ولكنه انحصر فى الوقت الحالى فى أقزام اندمانيز والسيمانخ Semang فى ملقا .

جنوب غرب آسيا :

البيئة الطبيعية والحضارية لشبه جزيرة العرب

يقع هذا الجزء من القارة الأسيوية إلى الجنوب والغرب من الهضاب الغربية ويشمل شبه جزيرة العرب وفلسطين وسوريا والعراق وهو متشابه فى بيئته الطبيعية والاجتماعية وتاريخه العرقى فشبه جزيرة العرب عبارة عن هضبة قاحلة ترتفع ارتفاعا فجائيا على شواطىء البحر الأحمر والمحيط الهندى لكنها تنحدر تدريجيا نحو الخليج العربى والعراق وشرق سوريا ويمتد جانبها الغربى المرتفع نحو الشمال خلال نطاق المرتفعات الضيق الذى يحف بالجانب الشرقى للبحر المتوسط ثم إلى جبال طوروس الواقعة على الحافه الجنوبية لهضبة الأناضول ومعظم هذه المساحة التى حددناها عبارة عن صحراء قاحلة إلا فى شريط ضيق على حدودها الجنوبية الغربية (منطقة اليمن) وماعدا بعض الواحات المبعثرة هنا وهناك .

وكان سكان هـذه الجهات منذ أقدم العصور حتى الوقت الحالى شعوبا رحل ولانجد من بينهم سكانا مستقرين إلا فى أجزاء من الشواطىء الجنوبية والعربية وفى منطقة الدجلة والفرات . فى هـذه البقع الصغيرة قامت حياة المدن والزراعة والتجارة .

ولقد قامت حضارة السومريين عند رأس الخليج العربى وهى حضارة عظيمة يرجع تاريخها إلى أوائل الألف الرابعة ق . م ، فهى بذلك تنافس الحضارة المصرية فى القدم ومستوى الحضارة ، وكذلك على طول الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب قامت حضارة سبأ والحضارة المعينية ، ونشأت فيها الممالك التى يرجع تاريخها إلى حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م ، أما فى فلسطين فيعطى لوصول الكنعانيين إليها تاريخ يقع حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م على أنه رغم الأهمية الثقافية والتاريخية لهذا الركن الجنوبى الغربى من آسيا فإن المعلومات العرقية عن سكانه القدماء قليلة وكذلك الحال فى سهول الدجلة والفرات نجد أن المعلومات قليلة عن السومريين الذين أنشأوا أول حضارة فى هذه المنطقة ، ويتضح من التماثيل والنقوش التى خلفها السومريون أنهم من غير الساميين لأنهم عراض الرأس ، فى حين أن الشعوب ذات اللغة السامية التى سكنت بابل منذ أقدم عصور التاريخ المعروفة كانت طويلة الرأس ، وبناء على هذا يمكن القول أن السومريين شعب طارىء على منطقة بابل هاجر إليها من هضبة إيران التى لاشك فى أن سكانها القدماء كانوا عراض الرأس على أنه لا يمكن القول أن كل الشعوب التى تتكلم السامية فى هـذه المنطقة كانت طويلة الرأس مادام التأثير الألبى فى جنوب شبه جزيرة العرب وجد قبل الفترة السومرية والبابلية .

وقد وجدت فى بابل بعض الجماجم التى تدل على أن الأغلبية طويلة الرأس (بحر متوسط) يليها العنصر العريض الرأس (ألبى) وأما فى صيدا على ساحل

المتوسط فقد وجدت جماجم فينيقية ترجع لنفس العصر تدل على الأغلبية المطلقة لعرض الرأس (جنس ألپي) ووجدت فى تدمر بالصحراء السوريه جماجم تشبه جماجم بابل القديمة أى أن طول الرأس هو السائد ، ويظهر أن هذا الوصف ينطبق على جماجم العبرانيين وغيرهم المكتشفة بفلسطين وشمال شبهجزيرة العرب، بمعنى أن أغلبهم ينتمى لجنس البحر المتوسط .

نتيجة لهذا كله يمكن القول أنه فى أواخر الألف الأولى قبل الميلاد كان سكان تلك المنطقة يسود بينهم طول الرأس (من جنس البحر المتوسط) وأنه فى جنوب هذه المنطقة وفى شمالها الغربى ظهرت تأثيرات عرض الرأس (جنس ألپي) المشتقة من عناصر وفدت إليها من هضبتى إيران وآسيا الصغرى .

ومنذ عهد ماقبل الاسلام نجد السكان بهذه المنطقة معظمهم ذو لغة سامية ونجدهم ينقسمون من الناحية الاجتماعية إلى مجموعتين (١) المستقرون وهم زراع يفلحون الأرض ويسكنون المدن . (٢) الرحل وهؤلاء بدو يشتغلون بالرعى وغيره من الحرف التى لا تتطلب الاستقرار أما المجموعة الأولى فتتركز معظمها فى المناطق الساحلية وعلى طول مجارى الأنهار وفى الواحات التى تتوفر فيها المياه للرى ، وأما المجموعة الثانية فهى مبعثرة على نطاق واسع فى باقى أجزاءالمنطقة وهى الأجزاء القاحلة ويلاحظ فى سوريا أن المجموعتين تختلفان عن بعضهما من الناحية العرقية ، فسكان المدن والزراع المستقرون فى المرتفعات السورية يسود بينهم عرض الرأس فهم من الجنس الألپي ، وأما البدو الرحل فيسود بينهم طول الرأس فهم من جنس البحر المتوسط . على أن سيادة عرض الرأس عند الفلاحين المستقرين تقل كلما تركنا المرتفعات السورية واتجهنا نحو الجنوب ، ففى فلسطين نجد الزراع المستقرين يسود بينهم طول الرأس وطول القامة (١٧٤ سم) يشبهون فى لون البشرة شعوب جنوب أوربا . ورغم أن هؤلاء ليسوا يهوداً

فإن فيهم نسبة كبيرة من الأنف السامية التى تسمى عادة الأنف اليهودية . وقد دل بحث جماجم البدو على أن عنصر البحر المتوسط هو السائد عند هؤلاء ، مثلهم فى ذلك مثل الزراع المستقرين .

وإذا انتقلنا إلى شبه جزيرة العرب نفسها نجد أن المعلومات التى لدينا هى فقط عن سواحل البحر الأحمر والأركان الجنوبية لشبه الجزيرة ، وهذه المعلومات مستمدة من مقاسات الأحياء وهى تدل على أنه بينما فى شبه جزيرة سينا يسود طول الرأس عند البدو نجد أنه فى الحجاز تتعادل نسبة طول الرأس مع نسبة العرض . مع ملاحظة أن طوال الرأس فى الحجاز لهم أنف عريضة مستمدة فى الغالب من العبيد الزنوج وإذا وصلنا إلى أقصى جنوب شبه الجزيرة نجد الميزان يتغير إلى الضد فيسود بين عرب هذه المنطقة عرض الرأس من الجنس الألبي ، وهـــذا الوصف لاينطبق فقط على السكان المستقرين ولـكن ينطبق على البدو أيضاً .

يتضح من هذا الوصف أن شكل الشعوب يختلف فى شمال هذه المنطقة وغربها عنه فى جنوبها وشرقها ، فبينما يسود طول الرأس (بحر متوسط) فى أحد جوانب هذه المنطقة نجد عرض الرأس (ألبي) هو السائد فى الجانب الآخر . ومصدر عرض الرأس فى شبه الجزيرة غامض ولـكن يظهر أن هذه الصفة وفدت من هضبة ايران عبر الخليج العربى إلى عمـان ومنها انتشرت على طول السواحل وتاريخ هذه الهجرة غير معروف ولـكن يظن أنها حدثت فى الألف الثانية قبل الميلاد ، ويظهر أن هؤلاء هم الذين غزوا بابل فى نفس الوقت وسبب هذه الغزوة أن أسلاف الهندوس غزوا هضبة إيران ففر أمامهم الجنس الألبي الذى كان يسكن هذه الهضبة إلى جنوب شبه جزيرة العرب . ويلاحظ أيضاً وجود أثر زنجى واضح فى سكان السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب ، ولايعرف هل

يرجع هذا الخليط الزنجى للعبيد الأفريقيين الذين جلبوا حديثا أو الذين جلبوا فى عصر مملكتى سبأ ومعين ، أو أن هذا الخليط الزنجى يعزى لسكنى هذه المنطقة فى عهد قديم بشعب من الزنوج كان عبارة عن مجموعة زنجية تتوسط زنوج أفريقيا من ناحية والزنوج الذين كانوا يعيشون على الشواطىء الشمالية للخليج العربى من ناحية أخرى ، والأخيرون مازالو بارزين فى كل جنوب الهند .

ويلاحظ من حيث القامة عند السكان الحاليين فى شبه جزيرة العرب أنها تتدرج من القامة القصيرة فى الجنوب إلى القامة الطويلة فى الشمال فالعرب الجنوبيون الممتدون من مسقط حتى اليمن يعتبرون من حيث طول القامة تحت المتوسط بقليل ، وأقصر هؤلاء قامة هم بدو شحر أصحاب الرؤوس المستديرة ، فهؤلاء متوسط قامتهم لايتعدى ١٦١ سم . ثم نجد القامة فى الحجاز وعند بدو سينا فوق المتوسط بقليل ، ثم نجدها تصل أقصى طولها عند زراع سمرية حيث المتوسط ٧٤ سم ، ثم نجدها تنقص قليلا عن ذلك عند سكان شمال سوريا . ومن حيث لون البشرة نجد السمرة الشديدة هى السائدة عند كل شعوب هذه المنطقة ، وفقط فى أجزاء من شمال سوريا تظهر نسبة ضئيلة من الشقرة .

وتعتبر شبه جزيرة العرب : موطن الساميين ولكن من الثابت سكناها بعنصر الحاميين ولا سيما على السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية ، ومثال ذلك عرب تهامة على ساحل البحر الأحمر الجنوبى . والعرب الذين يسكنون الجبال الجنوبية الشرقية بيض البشرة وتقاطيعهم تشبه الاوروبيين . على أنه يوجد أيضا فى جنوب بلاد العرب عنصر عريض الرأس نتيجة لهجرة غير معروفة تنسب إلى الشعبة القريبة من عراض الرأس أى الباميريين أو الارمن :

فلسطين مركز اليهودية والمسيحية

يظهر أن العناصر التى سكنت سوريا الجنوبية وفلسطين كانت متعددة ونستطيع أن نتتبع أربع غزوات سامية إلى هـــذه الجهات . هى ما يأتى مرتبة ترتيباً تاريخياً .

١ — فى بدء الألف الرابعة قبل الميلاد غزاها الاكاديون .

٢ — فى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد غزاها الكنعانيون الذين انتشروا من بلاد العرب نحو الشمال والغرب . وربما كان لهذه الغزوة أو الهجرة علاقة بالفينيقيين الذين يروى لنا هيرودوت أنهم هاجروا من الخليج الفارسى إلى الساحل السورى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وربما كان لهذه الهجرة أيضا علاقة بغزو الهكسوس لمصر واحتلالهم شرق الدلتا سنة ١٧٨٠ ق . م ، فهؤلاء الهكسوس ساميون كانوا يسكنون سوريا أو الجهات الواقعة شرقها ، ثم اضطروا إلى الجلاء عنها والاتجاه غرباً أمام ضغط جماعات من الشرق مثل الكاسيين والميتاتيين ، وربما تسببت هذه القلقلة وهاتيك الهجرات عن موجة جفاف وقحط انتابت غرب آسيا .

٣ — فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد سكنت شمال شبه الجزيرة عناصر شقراء .

٤ — فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد غزاها الأراميون ، وقد نتج عن هذه الغزوة أن دخل فلسطين العبرانيون وأقرباؤهم من الأدوميين والموابيين والأمون Amon وانتشروا شمالا حتى جبال طوروس .

٥ — فى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد وصل إلى هذه الجهات الأنباط .

ويظهر العنصر السامى على المسرح فى أواخر الألف الخامسة أو أوائل الرابعة قبل الميلاد ، وصفات هذا الجنس السامى هى شعر أسود لامع ووجه بيضاوى

وأنف مستقيمة أو محدبة ، دقيقة ضيقة ، لاسيما عند البدو . ويمكن تقسيم الساميين إلى شعبتين : (١) البدو وهؤلاء قامتهم متوسطة (١٦٠ سم أو أكثر) والرأس طويلة (النسبة الرأسية ٧٥ أو أقل) . ومنطقة هؤلاء ، شمال شبه جزيرة العرب . (٢) الحيريون وهؤلاء قامتهم متوسطة أيضا (١٦٢ سم) والرأس متوسطة (النسبة الرأسية ٧٩ أو أكثر) . وقد انتشر الساميون فى جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا وشمالها الشرقى وفى جهات أخرى. وربما نشأت الشعبة الحيرية نتيجة اختلاط بجنس آخر ويعتبر اليهود الأصليون من الشعبة البدوية التى حدثت بينها وبين العامور يين والحيثيين والفلسطينيين اختلاط منذ أقدم العصور . ولقد اكتسبت الأنف اليهودية المشهورة من الحيثيين .

ويعتبر الساميون جنسا وسطا بين الحاميين من ناحية والبحر المتوسط من ناحية أخرى . وقد خرجوا من شبة جزيرة العرب فى الألف الرابعة قبل الميلاد فانتشروا فوق شبه جزيرة سينا وفلسطين والعراق ، يقال إن العموريين من أصل نردى ولكن الرأى منقسم فى الطريق الذى سلكوه للوصول إلى هذا المكان ، فهناك رأى يقول إنهم وفدوا مباشرة من منطقة السهوب بوسط آسيا . وهناك رأى آخر يقول إنهم وفدوا إلى هذا المكان من غرب أوروبا عن طريق شبه جزيرة إيبريا وشمال أفريقيا . والآخذون بالرأى الثانى يجعلون التهنو والتمحو شعبة منهم ، وهؤلاء هم الذين أغاروا على غرب الدلتا ثم تمكنوا سنة ٢٤٧٥ من إسقاط الأسرة السادسة ، ثم طردوا من مصر بعد ذلك فى بدء الأسرة العاشرة كما ينسب إليهم أيضا العموريون الذين استقروا فى شرق الأردن فى النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد . وقد انتقل العموريون من جبال طوروس واتجهوا جنوباً إلى أكاد واستولوا عليها عنوة سنة ٢٢٢٥ أو سنة ٢٠٥٧ ق . م وهذه الهجرة تسببت عن هجرة الكاسيين من الشرق وضغطهم على هؤلاء .

وينتسب الكنعانيون إلى الشعبة الشمالية من الساميين ، وأما عائلة إبراهيم فهى قبيلة سامية من بلاد النهرين (العراق) ربما هى عائلة عبرى التى يسميها المصريون خابيرو . وهم ساميون رعاة يشبهون البدو وقد دخل هؤلاء أرض جوشن (وادى الطميلات) خلال حكم الهكسوس وتركوها حينما طرد رؤساء اليهود من مصر سنة ١٥٨٠ ق . م ، أو بعدهم بقليل . وفى أثناء عودتهم إلى فلسطين قابلوا العموريين والحيثيين فقهروهم واختلطوا بهم . ويتضح من الأدلة الأثرية واللغوية أن العموريين كانوا ساميين لا يختلف شكلهم عن الخابيرو .

ويعتبر الحيثيون شعباً مختلفاً عن كلا الجماعتين السابقتين ويمثلهم فى الوقت الحالى الأرمن . أما الاسرائيليون المحدثون فهم شعب خليط من الساميين والأرمن ، دخلت بينهم دماء شعب ثالث هم الفلسطينيون الذى هم من جنس البحر المتوسط الصرف . على أن الوجه الأرمنى المستدير هو السائد بين أفراد هذا الخليط الثلاثى (سامى . أرمنى . بحر متوسط) .

وشعب اليهود فى الوقت الحالى ينقسم إلى مجموعتين : أشكينازيك Ashkenazic وسيفارديك Sephardic . أما المجموعة الأولى فتشمل يهود روسيا ووسط أوروبا وغرب أوروبا وانجلترا . وأما المجموعة الثانية فتشمل يهود أسبانيا والبرتغال وآسيا الصغرى ، ومصر وشبه جزيرة العرب . وكلا المجموعتين منحدرتان من أصل واحد فى فلسطين والعراق ثم سلك كل منهما دروبا مختلفة . وصادف كل منهما حظوظاً مختلفة ولكنهما مازالا يشتركان فى الملامح اليهودية الخاصة ، ولو أن المجموعة الثانية تقترب فى صفاتها من شعوب جنوب أوروبا . ويقال أنه قد اختلطت بها دماء مغربية وأيبيرية ، وأما المجموعة الأولى فأكثر نقاء .

وقد علت الشقرة عند بعض اليهود بأنهم اختلطوا بالنورديين ولكن هذا

التحليل غير ضرورى لأن بعض اليهود الذين ثبت نقاؤهم الجنسى طوال الألفى عام الاخيرين يتصفون بكل الصفات الجسمانية اليهودية بالاضافة إلى الشقرة ومن الجائز أن شقرة اليهود تعزى إلى العموريين الذين قلنا أن البعض ينسبهم إلى أصل نردى .

آسيا الصغرى :

إذا انتقلنا إلى آسيا الصغرى نجد السكان الأصليين بالمناطق الساحلية ينسبون إلى جنس البحر المتوسط ، وأما سكان الهضبة فينسبون إلى الشعبة الغربية من عراض الرأس أى إلى الجنس الألپي ، وما يقال عن هضبة الاناضول يقال عن هضبة أرمينيا . وقد دل البحث عن وصول جماعتين من عراض الرأس إلى آسيا الصغرى الجماعة الاولى وهى الاقدم أقصر قامة من الجماعة الثانية التى تنسب إلى العنصر الارمينى ، ومن هذا العنصر الأخير الحيثيون الذين تمكنوا من الاستيلاء على بابل وإسقاط أسرة حورابى سنة ١٩٢٦ ق . م كما تمكنوا من سكنى سوريا والتوغل فيها جنوبا حتى الحدود المصرية .

ولقد كان احتلال الترك لأقاليم سيحون فى منتصف القرن السادس الميلادى سبباً فى هجرة قبائل تركية واتجاهها غربا خلال شمال فارس حتى استقرت فى آسيا الصغرى ، فنجد أولا الأتراك السلجوقيين يحتلون هذا الأقليم فى القسم الأخير من القرن الحادى عشر ، ثم انتقلت السلطة من هؤلاء إلى الأتراك العثمانيين الذين انتشروا بعد موت أورخان سنة ١٣٥٩ فى شبه جزيرة البلقان ، ثم تلت ذلك جماعات من التركمان . ثم فى القرون التالية وفدت إلى آسيا الصغرى جماعات أخرى من التركمان والأفشار Afshars والكرد . ويجب أن يلاحظ أن التعبير تركى فى آسيا الصغرى وأوربا ليس معناه فى الوقت الحالى أن الشخص منحدر حتما من أصل تركى بل أصبح هذا التعبير يطلق على أفراد من أجناس أخرى اعتنقوا الاسلام.

أما كردستان فهى إقليم جبلى يقع إلى الجنوب من جبال أرمينيا ، ولا يقتصر وجود الكرد على هذا الاقليم بل ينتشرون فى الأقاليم الأخرى المجاورة ، والكرد قسمان : (١) الكرد الغربيون وهم طوال الرأس (نسبة رأسية ٧٥) ، وأكثر من نصفهم شقر زرق العيون ، وتزداد رأسهم عرضاً ويزداد لون شعرهم وعيونهم فى المادة الملونة نتيجة لدرجة اختلاطهم بالترك أو الأرمن . (٢) الكرد الشرقيون وهؤلاء أعرض رأساً وأغمق لونا وأبشع منظراً . على أن الكرد عموماً يمكن اعتبارهم منحدرين من أسلاف النرديين Proto-Nordics الذين كانوا يسكنون السهوب ، وقد حافظوا على شكلهم الجنسى إلى حد ما كما حافظوا على لغتهم فترة طويلة تقدر بحوالى ثلاثة آلاف سنة .

إذا انتقلنا إلى بلاد النهرين (العراق) نجد أنه حدثت سنة ٤٠٠٠ ق . م سلسلة من الفصول المطيرة غير العادية سببت فيضان الأنهار فى بلاد النهرين . وقد تكررت هذه الفيضانات مرة أخرى حوالى سنة ٣٤٠٠ أو سنة ٣٢٠٠ ق . م وربما كان الفيضان الأخير هو الذى أشار إليه السومريون والذى هرب منه نوح عليه السلام فى سفينته كما تروى الكتب المقدسة ، ومن المحتمل أن يكون هذا الفيضان قد طغى على سكان الجهات المنخفضة وهم من غير السومريين ، ولكنه لم يدمر المدن المرتفعة ذات الأسوار العالية . وقبل عهد هذا الطوفان كانت تقوم حضارتان هما حضارة سوسا الأولى التى سبقت العصر المطير وتمتاز بالفخار الملون باللون الأسود كما تمتاز بالآلات النحاسية البسيطة ، ويقال إن أصل هذه الحضارة إيرانى . ثم حضارة سوسا الثانية التى تمتاز بالفخار المتعدد الألوان ويقال إن أصحاب هذه الحضارة وفدوا من منطقة الجبال الواقعة شمال سوريا ، وهم المسمون السوبريون . ثم بعد سنة ٤٠٠٠ ق . م مباشرة وصل السومريون إلى رأس الخليج الفارسى ومعهم حضارة تامة الرقى ويحتمل أنهم وفدوا من الشرق .

ربما من شمال غرب الهنـد . وتلحق بهذه الحضارة منطقة السهول العظيمة الممتدة من المنحدرات الجنوبية لهضبة أرمينيا إلى الخليج الفارسي ومنحدرات جبال زاجروس كما يلحق بها منطقة سوسا فى علام . وفى القسم الجنوبى من منطقة هذه الحضارة أى فى سومر كانت تقوم قديماً عدة مدن هامة ، مثل كيش وأرش وأور وأريدو ونيبور . . الخ . وأما القسم الشمالى منها أى فى أكاد فكانت تقوم بابل وسينار . . الخ .

وتعتبر الحضاره الأكادية خليطاً من الحضارة السامية والحضارة السومرية القديمة . والحضارة الأخيرة نفسها خليطة لأن أصحاب مكونون من : خنسين

(١) بحر متوسط أى جنس أسمر ، لهم ورس شديده الطول وشديدة روز القذال وأنوف مستقيمة ضيقة وشفاه رقيقة .

(٢) جنس عريض الرأس بارز عظام الخدين فى الغالب وذوعيون مائلة ، ثم دخل على هؤلاء جنس آخر أرمنى (حيثى) بارز القذال ذو أنف كبيرة بروز ومقوسة كالخطاف أو منقار الطير ، وكان هؤلاذ يصنعون الفخار الملون وهم الذين نشروا صناعة المعادن .

ولقد ظهر النفوذ السامى فى بلاد النهرين فى الألف الرابعة قبل الميلاد، وكان فى أكاد أقوى منه فى سومر فتكونت الامبراطورية السامية الاولى فى الشمال وهى أمبراطورية سارجون سنة ٢٨٧٢ التى توجدت فيها أكاد وسومر، ولكن النفوذ السامى ظهر فى كيش منذ سنة ٢٦٣٨ ، ثم بعد ذلك ظهر النفوذ السومرى فشملت إمبراطوريتهم سومر وأكاد وعلام وسوبارتو (شمال العراق) ولكن النفوذ السامى طغى مرة أخرى ، ونجح حامورابى فى الوصول إلى عرش بابل سنة ٢١٢٣ إلى أن أسقط الحيثيون أسرته سنة ١٩٢٦ ق . م .

ثم بعد ذلك ظهر الكاسيون وهم سكان جبال بوشتى كوه Pushti Kuh وكانت أغاراتهم الأولى على هـذه المنطقة سنة ٢٠٧٢ ودخلوا بابل سنة ١٧٤٦ ، وظلوا محتفظين بنفوذهم حتى سنة ١١٦٩ . والكاسيون من أصل غير معروف وكانوا طلائع الغزوات الآرية فى باكتريا وشرق إيران بين سنة ٢٣٠٠ وسنة ٢٠٠٠ ق م وربما كان هؤلاء الكاسيين خليطا من عدة أجناس تحت قيادة اسلاف النرديين ، وربما هم الذين أدخلوا الحصان إلى العراق .

وكان قيام مملكة الكاسيين فى بابل معاصرا لحركات أخرى فى الغرب مثل غزوة الهكسوس لمصر ، وامتداد نفوذ الحيثيين نحو الجنوب حتى أورشليم ، وظهور قوة الميتانيين فى الشمال . ومن المعروف أنه مما ساعد الهكسوس على نجاح غزوتهم فى مصر استخدامهم للعجلات الحربية ، وهم الذين أدخلوا الحصان إلى مصر .

ولقد نتج عن حركات الآريين فى القرنين ٢٢ و ٢١ ق . م واندفاعهم من سهول سيحون قطع التجارة بين خوتان Khoten وغرب آسيا ، كما أن غزوة الميتانيين فصلت بابل عن سوريا ، وبذلك تحولت التجارة إلى طريق البحر الأحمر .

ويرجح أن الميتانيين أرمن ، وهم على التحقيق ليسوا آريين وكانوا يشغلون المنطقة حول بلخ وخابور رافدى للفرات ، ولكن كانت تسيطر عليهم ارستقراطية آرية جاءت من طريق اذربيجان .

ولم يؤد تاريخ هذه الجهات بعد هذه الفترة إلى تغير كبير فى صفاتهم الجنسيه، فلقد كرر الميديون والفرس قصة الكاسيين وربما أدخلوا الدم الايرانى ودم

أسلاف النرديين إلى هذة الجهات ، كما دخلت عناصر تركية إليها ، ولكن الدم السامى كان يتغلب ويمتص هذه الدماء الدخيلة .

وغرب آسيا من الجهات التى وجد فيها الإنسان منذ القدم ، فقد وجد فى فلسطين آلات من العصر الحجرى القديم الأسفل والأوسط ، كما وجدت جمجمة لإنسان نياندرتال فى الخليل وكذلك توجد آلات العصر الحجرى القديم الأعلا فى فلسطين مختلطة بآلات الحضارة الموستيرية فى مرحلتها الأخيرة ، أى على مثال الحال فى كل جهات الشرق الأدنى،ولهذا يرى البعض أن حضارة العصر الحجرى القديم الأعلا نشأت أولا فى غرب آسيا ثم انتقلت منه إلى أفريقيا حيث تعرف بالقضية ، ثم انتقلت منها أوروبا حيث تعرف بالأورنياسيه . ويمكن أن يقال إن الجنس الأسمر هو صاحب هذه الحضارة ، والجنس الأسمر — حسب تسمية إاليوت سميت — هو أحد شعب الإنسان الحديث NeanthroPic Race وهو الذى سيستقر فى العصر الحجرى الحديث فى حوض البحر المتوسط حيث يطلق عليه اسم جنس البحر المتوسط ، ويمتاز بالرأس الطويل والقامة المتوسطة والبشرة السمراء والعود النحيف ، وسنعرف باقى صفاته عند الكلام على أفريقيا وأوروبا . ولماذا تركنا فترة الحجرى القديم الأعلى فى غرب آسيا وانتقلنا إلى فترة الحضارة الميكروليثية نجدها ممثلة أيضاً فى هـذه الجهة . وإذا تركنا هـذه الفترة أيضاً وانتقلنا إلى الحجرى الحديث نجد أنه لا يعرف بالضبط كيف نشأت الزراعة وأين عرف حرث الأرض لأول مرة ، ولكن الآثار تدل على انتشار صناعة المعادن وتربية الماشية واستعمال المحاريث من غرب آسيا إلى كل من أوروبا وأفريقيا . وربما كان أصحاب هـذه الحضـارة هم الجنس الأوروبى الأسيوى

Eurasiatic Race الذى يشمل كل عراض الرأس الأوروبيين المعروفين باسم الجنس الألبي ، فهذا الجنس منحدر من مجموعة عراض الرأس الذين يشغلون الهضاب والجبال الممتدة من الهيمالايا خلال آسيا الصغرى ، والبلقان إلى السلاسل الألبية فى أوروبا ، ولهذه الحضارة القديمة اتصال بصناعة الفخار الملون والصناعة المعدنية المبكرة التى انتشرت فى فترات مختلفة فى جزء كبير من غرب آسيا ويمكن تتبعها من الصين إلى السند وأناو سومر .

هضبه ايران

تشمل هذه المنطقة فارس وبلوخستان وأفغانستان ، وتمتد من رأس الخليج العربى إلى مصب نهر السند ، ومن شاطىء المحيط الهندى إلى بحر القزوين شمالا .

وتمتاز هذه المنطقة من الناحية الطبيعية بارتفاع السطح وتطرف المناخ وقلة خيرات الأرض . وكانت تقوم على حدودها الغربية أرض علام وواحات فارس القديمة والحديثة،حيث تقوم السهول والوديان المرتفعة التى مونت الميديين والفرس الذين يعتبرون أول من ساهم فى التاريخ العالمى من سكان الجبال.وإلى الشرق من هذا نجد الصحراء القاحلة حاليا،ولكنها كانت فى العصور الحجرية كثيرةالخيرات عامرة بالسكان ، وإخيراً إلى الشمال الشرقى من هذه المنطقة نجد إقليم أفغانستان المرتفع وبذلك تتصل هضبة إيران بجبال هندوكوش وهضبة البامير .

وتسود الظروف الصحراوية كلا من أفغانستان وبلوخستان ، ويندر السكان فى بلوخستان بصفة خاصة كما تقل الزراعة إلافى شمالها الغربى من جانب وعلى حدود نهر السند ين الجانب الآخر ، وأما فى أفغانستان فتوجد بقع متفرقة من الأرض الخصيبة . وتوزيع هذة الصحارى عظيم القيمة من ناحية الجغرافية الجنسية ، فإن توزيع الأجناس يدل على أن الاتصال كان وثيقاً بين الهند وبين الجهات الواقعةفى غربها عبر هذه الصحارى ، ومن ثم قيل بأ هذه الظروف الصحراوية لم تطرأ على هذه الجهات إلا أخيرآ .

وتحيط بالحدود الشمالية لهـــذه المنقطة جبال عالية تتضاءل فى الجنوب حتى

تتحول إلى تلال مكران على ساحل الخليج العربى . ويوجد بين نهر السند وبين قاعدة التلال شريط يتراوح ارتفاعه بين مائتى متر وبين مستوى سطح البحر . وهذا الشريط شديد الجدب بسبب ندرة المياه ، ولكن حيثما تتوفر المياه فى جزء من أجزائه يمكن زراعته زراعة كثيفة ، كما أن هذا الشريط متطرف المناخ بمعنى أنه شديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاء .

ويوجد طريق قديم من كوهى مالك سياه Kh - i - Malik Siah إلى ناشكى Nshki ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى إلى الهند . وفيما عدا ممرى خيبر وبولان لا توجد طرق سهلة خلال الجبال ، بل يوجد نطاق من القمم المرتفعة التى يبلغ ارتفاعها حوالى عشرة آلاف قدم . ومعنى هذا أن هذا الطريق تحرسه الجبال والصحراء ، ومن الصعب فى الوقت الحاضر أن نتتبع طرق الهجرات القديمة التى من المؤكد أنها سلكت هذا الطريق .

بعد أن عرفنا الظروف الطبيعية السائدة فى هذه الهضبة وما يحيط بها من جهات نلخص حالتها الجنسية فيما يلى :

ايران :

توجد فى إيران مجموعتان من الشعوب :

١ — مجموعة التاجيك Tajīk المستقرين وهى المجموعة القديمة ويمثلهم الآن البارزى Parsi الذين هاجروا إلى الهند سنة ٦٤٠ م .

٢ — مجموعة الفرس .

وفيما عدا هاتين المجموعتين توجد أقليات من الأكراد والعرب والأرمن ؛

وتنقسم مجموعة التاجيك إلى قسمين، قسم يسكن المنخفضات وهم أكثر اختلاطاً وشقرة .
ن القسم الثانى الذى يسكن المرتفعات ويسمون جالشا Galcha .

ويعتبر هؤلاء التاجيك السكان الأصليين ، ولكن تظهر فى سوزيانا Susiana
بقايا شعب أسود البشرة ، تدل الآثار على أنه منحدر من عنصر ماقبل الدرافيديين
و من عنصر زنجى مفلفل الشعر . كما وفد إلى بلاد فارس أسلاف النرديين من
نطقة السهوب الأسيوية الأوربية التى تقع شمالهم ، وهم الذين سيعرفون فى التاريخ
اسم الميديين والفرس . كما كان لغزوات الساميين أثرها فى تعديل شكل الفرس ،
كذلك فعلت غزوات القبائل التركية .

ويمكن فى الوقت الحالى التمييز بين شكلين رئيسيين من أشكال الفرس :

(ا) الفارسى Farsi حول برزبوليس Persepolis ، وهؤلاء طوال الرأس
ناف القامة ، ولون بشرتهم خفيف ، وشعر جسمهم كثير ذى لون كستنائى ،
يندر وجود الشقر الصرف زرق العيون بينهم .

(ب) اللورى Lori وهم أطول قامة ، وبشرتهم أغمق وشعرهم أسود أحيانا
رأسهم أكثر طولا ووجهم بيضاوى وتقاطيعهم منتظمة ، ويمكن القول أنهم
عبة من البحر المتوسط .

عدا هذا توجد بفارس أيضاً جماعة الأهلات Ihlat وهم التركمان ، ولقد كان
لاختلاط الكثير المستمر سبباً فى إنتاج أشكال كثيرة مثل الكاجار Kajar .

افغانستان :

تعتبر أفغانيستان موطن الجنس الهندى الأفغانى ، وصفات هـــذا الجنس
يأتى : شعر أسود مموج وبشرة خفيفة السمرة ، وقامة تتراوح بين ١٦١
١٧٥ سم ، رأس بين الطويل والمتوسط (النسبة بين ٧١و٧٨) والوجه طويل ،

والتقاطيع منتظمة ، والأنف بارز مستقيم أو محـــدب وضيق فى العادة ،والعيون سوداء . ويوجد هذا الجنس فى بالوخستان وجنوب أفغانستان وغربها وشمال غرب الهند وفى أقليم البانجاب وراجبوتانا .

وأما فى شمال أفغانستان فيوجد عنصر الهازارا Hazara وهو طويل القامة عريض الرأس (النسبة ٨٥) ، متوسط الأنف (النسبة ٨٠) ، ولابد أن هؤلاء ينتمون إلى المغول كما تدل على ذلك ملامحهم ، لا سيما وأن عنصر البامير الواقع فى شماله ليس له هذه الأنف المتوسطة بل إن أنفه عنيفة (النسبة الانفية بين ٦٢ و ٧٢) و صفـــات الجنس البامـــيرى كما يأتى : الشـــعر أسمـــر غامق فى الغالب وأحيـانا أسمر خفيف ، وهو غزير مموج أو مجعد ، وأما البشرة فبيضاء وردية أو برنزية،والقامة فوق المتوسط (بين ١٦٦ و ١٧١ سم) ، والرأس عرض (النسبة ٨٥ فما فوق) والوجه طويل بيضاوى ، والأنف ضيق بارز (النسبةبين ٦٢و٨٢) بين الأعقف والمستقيم،والعين مستقيمة متوسطة اللون وبعضها خفيف اللون وأحيانـا تـكون زرقاء ، ويدخل تحت الجنس الباميرى جماعات الجالشا والتاجيك والواخى Wakhe فى بلاد فارس وبامير والجهات المجاورة لها . ويمتد جنس البامير فى اتجـاه شمـالى شرقى حتى منشوريا . ويقال إن الذى جلب عنصر الهازار إلى شمـال افغانستـان هـــو جنكيزخان فى أوائل القرن عشر . ويوجد بأفغانستان عـــدا هذا جمـــاعةالأفريدى Afridi (وهم الذين سماهم هير دوت Habarytae وكانوا فى الأصل يشغلون كل سلسلة سوفد كوه Snfde khoh والأقليم المجاور لها بشمان افغانستان ، ولـكن القبائل التركية طغت على منطقتهم منذ عهد قديم . وكذلك ينتشر التاجيك فى جهـات كثيرة من افغانستـان وهم ، الجنس الباميرى كما سبق أن ذكرناه .

بلوخستان :

يعتبر البلوخى أو البالوخ Baloch : Balukhi أقرباء للأفغانيين . ولكن الأفغانيين طوال الرأس فى حين أن البلوخى تتراوح رأسه بين المتوسط والعريض ولهذا يرى هادون أن يطلق عليهم اسم الهندى الإيرانى Indo - Irenus وتعتبر جماعة البراهوى Brahui الموجودة فى شرق بلوخستان من البالوخيين من ناحية المميزات الجسمانية رغم أنها تتكلم لغة درافيدية ، فالمقاسات المأخوذة للبراهوى فى ساراوان Saraman (النسبة الرأسية ٨١ والأنفيـة ٨٠ والقـامة ١٦٦ سم) يحتم التفرقة بينهم وبين الدرافيديين الذين سنعرفهم فى الهند .

وتوجد فى بلوخستان أيضاً جماعتا الشوتا Chuta والبانديا Pandia وهؤلاء مع أن عرض رأسهم يزيد عن رأس الهازارا الموجودين فى شمال أفغانستان، إلا أن أنفهم ضيق (النسبة الأنفية حوالى ٥٨) ولهذا يلحقهم هادون بمجموعة الباميريين

الهنـــد

تضم الهند ثلاثة أقاليم جغرافية مختلفة هى :

١ — هضبة الدكن وجزيرة سيلان .

٢ — السهول الشمالية (هندوستان) .

٣ — جبال الهيمالايا .

ولهذا التقسيم الجغرافى أثره فى الحالة الجنسية .

هضبة الدكن :

يمكن التميز فى هذه الهضبة بين مجموعتين جنسيتين هما ما بل الدرافيديين والدرافيديون

فاما ما قبل الدرافيديين فتيصفون بالرأس الطويل والقامة القصيرة(د٫١٥٧سم أو أقل) . والبشرة السمراء والشعر بين المموج والمجعد . ومن جماعات ما قبل الدرافيديين الساكاى أو السينوى Sakai Seuoi وهؤلاء شعرهم طويل مموج أو مجعد ولون الشعر أسود والبشرة سمراء غامقةومصفرة أحياناً ، والقامةقصيرة (حوالى ١٥٢ سم) والرأس متوسطة (النسبة ٧٨) وعظام الخدين غير بارزة ، والأنف متوسطة ولكنها أقرب إلى الأنف العريض،وهؤلاء يوجدون أيضاً فى القسم الجنوبى من شبه جزيرة الملايو .

ومن جماعاتهم أيضاً قبائل الغابات بجنوب الهند وهؤلاء شعرهم شديد التجعد لاسيما عند الكادير Kadir والبانيان Paniyan والقامة قصيرة (٥٫١٥٧سم) والرأس طويلة (٥و٧٣ ٪) والأنف عريضة . وشفة الكادير سميكة ويقال أنهم انحدورا من مجمـــوعة الأقزام الأسيوية Negrito وكذلك من جماعات ما قبل

الدرافيديين جماعة البهل التى تسكن أجزاء من راجبو تانا Rujputana وكاثياوار Kathiawar وأندور Indore وشمال مقاطعة بومباى ، وكذلك الجوند Gend فى هضبة ساتبورا Satpura بالمقاطعات الوسطى . ويجاور هؤلاء سكان مقاطعتى باستار Bastar وكانكر Kanker وجزءاً كبيراً من شاندا Chanda والطبقات الدنيا فى المقاطعات المتحدة وبيهار Behar ومن مجموعات ماقبل الدرافيديين أيضا الكولاريان Colarians .

ولاشك أن مجموعة ماقبل الدرافيديين كانت تنتشر قديما فوق الجزء الأكبر من الهند وربما وصل بعضهم إلى مرتبة ما من مراتب الحضارة . ومما يستلفت النظر فى سكان هذه الجهات عرض أنفهم حتى يمكن القول أنه أينما وجد عرض الأنف يكون السكان مشتقين من عنصر ماقبل الدافيدى ، وقد تطرقت هذه الصفة إلى الطبقة الدنيا من الدرافيديين وإل بعض البراهمانيين . وعلى العكس من ذلك تحسنت بعض صفات ماقبل الدرافيديين نتيجة لاختلاطهم بالدرافيديين ، ومثال ذلك جماعة الكوروبا Curuba فى مقاطعة ميسور وإقليم بيلارى Bellary فى مدراس فهؤلاء كانوا فى الأصل من مجموعة الكورومبا Kurumba التى تنتمى إلى عنصر ماقبل الدرافيدى ، ولكن أصبح أنفهم فى الوقت الحالى أضيق (٧٣) والقامة أطول (١٦٤) من أثر اختلاطهم بالدرافيديين .

والمجموعة الثانية بهضبة الدكن مجموعة الدرافيديين ، وهؤلاء صفاتهم كما يأتى:

الشعر مموج وغزير ، والبشرة سمراء ، والقامة متوسطة (١٦٣ سم) والرأس متوسطة (٧٣ — ٧٦) ، والأنف متوسطة (٧٧) .

ويطلق اسم الدرافيدى على العنصر الرئيسى لسكان الدكن بجنوب الهند . وتشترك السلالة الدرافيدية فى اللغة كما أن لها حضارة خاصة ، وتقاطيعهم أدق من

تقاطيع سكان الهند الأصليين . وقد وصل الدرافيديون إلى الهند قبل سنة ٢٠٠٠ ق . م . وهناك رأيان مختلفان فى الطريق الذى سلكوه فى هجرتهم للهند .

١ — الرأى الأول أنهم جاءوا بطريق البر ، ويشير المقر الحالى للبراهوى فى بلوخستان للطريق الذى سلكوه .

٢ — الرأى الثانى أنهم جاءوا بطريق البحر .

ويوجد تشابه كبير بين الدرافيديين وبين جنس البحر المتوسط مما يشير إلى وجود صلة بينهما ، بل ربما انحدرا من أصل واحد .

ويمكن القول بصفة عامة أن بعض الجماعات بجنوب الهند ولاسيما الطبقات العليا تمثل الصفات الدرافيدية الأصلية ، وأما الطبقات الدنيا بجنوب الهند فهى من عنصر ما قبل الدرافيديين ، وبين المجموعتين طبقات متوسطة تمثل الخليط بينهما .

وتوجد منطقة يسود بها عرض الرأس من تأثير الشعبة الغربية لعراض الرأس تمتد من جوجارات jujarat فى الشمال إلى كورج Goorg فى الجنوب على طول المنطقة الساحلية الغربية للهند ، وربما نتج هذا من خليط من الدرافيديين ومجموعة عريضة الرأس تنتمى للمجموعة الأوروبية الآسيوية لأنه لايوجد الأثر المغولى فيها ، ولايعرف تاريخ هـــذه الهجرة العريضة الرأس كما لايعرف الطريق الذى سلكته ، أهو برى أو بحرى ، وقد يطلق على هؤلاء اسم الدرافيديين السكيذيين Scytho-Dravidains على فرض أن السكيذيين Scythians لما دخلوا الهند اصطدموا بالجنس الهندى الآرى فتحولوا إلى الجنوب .

جزيرة سيلان : هى عبارة عن امتداد هضبة الدكن من الناحية الجغرافية

ولذلك كان امتداد هذه الهضبة من الوجهة الجنسية كذلك . وأقدم سكان جزيرة سيلان هم عنصر الفدا ، وهؤلاء ينتمون إلى مجموعة ما قبل الدرافيديين ، ويتصف الفدا بالشعر الطويل الأسود الخشن الذى يتراوح بين المموج والجعد ، وأما البشرة فسمراء غامقة ، والقامة قصيرة (١٥٣ سم) ، والرأس شديد الطول . ويقال إن رأس الفدا أصغر رأس بشرية ، إذ أن النسبة الرأسية عندهم حوالى ٧٠٫٥ فقط ، وجبهتهم متراجعة بعض الشيء ، وعظام الحاجبين بارزة قليلا ، والوجه عريض وعظام الخدين غير بارزة ، والشفاه رقيقة ، والأنف عريضة الفتحة عند الجذع .

والفد الساحليون أطول قامة وأعرض رأساً من الفدا الأصليين ، ويظهر أن هذا الطول فى القامة والعرض فى الرأس نتج من اختلاطهم بغيرهم ، ويشغل عنصر التاميل Tamil القسم الشمالى من الجزيرة وهم يشبهون سكان جنوب الهند. ويوجد بالجزيرة أيضاً عنصر الروديا Rhodia وهم طوال الرأس عراض الأنف ، وقامتهم فوق المتوسط (١٦٩ سم) كما يوجد بالجزيرة عنصر السنهالى Sinhalese وهو يتكلم لغة آرية ويشترك فى بعض صفاته مع الهندى الأفغانى وربما وفد من شمال الهند ، ولكن صفاته تغيرت نتيجة لاختلاطه بالفدا (النسبة الرأسية ٧٩ والأنفية ٧٥ والقامة ١٦٢ سم) .

سهول هندوستان :

وصل السكان الذين أدخلوا اللغة الآرية إلى الهند سنة ١٧٠٠ ق . م تصحبهم نساؤهم ، ولهذا حافظوا على نقائهم الجنسى إلى حد كبير ولاسيما الطبقات العليا منهم ، ولذلك نجد سكان البانجاب وراجبوتانا متجانسين ، وهم منحدرون من أصل آرى ، وأما شمال غرب الهند فقد تعرض لغزوات كثيرة فيما بعد أدخلت دماء جديدة فى التركيب الجنسى لهذه المنطقة .

والعنصر السائد فى وادى كشمير والبانجاب وراجبوتانا هو عنصر الجات والراجبوت وهؤلاء صفاتهم كما يأتى : لون البشرة أسمر خفيف . والقامة طويلة (تتراوح بين ١٧٢ و ١٧٥ سم) والرأس شديد الطول (٧٢ — ٧٥) والوجه طويل ضيق والتقاطيع منتظمة والأنف بارز مستقيم ضيق (النسبة بين ٦٩و٧٢). وبشمال الهند جماعتان تستلفتان الأنظار هما الشورا Chuhra والخاتيرى Khatiri وهما من الجماعات الهندية أو الآرية الأفغانية ، ولا تختلف عن الآريين السابق وصفهم إلا فى صفة القامة حيث نجدها حوالى ١٦٦ سم ، ويعزى هذا القصر إلى سوء التغذية الناتج عن الفقر ويقول الكتاب بوجود فصل اجتماعى سحيق بين هاتين الجماعتين من ناحية وبين سائر الآريين من ناحية اخرى .

ولقد دخلت معظم الغزوات إلى الهند من شمالها الغربى، نذكر منها الاسكيذيان الذين دخلوا الهند حوالى سنة ١٥٠ ق . م واحتلوا سهل بيشاوار . وقد عبرت شعبة منهم السند واحتلت شبه جزيرة كاثياوار . ويعتبر الاسكيذيان من المجموعة الهندية الأفغانية ، وكانوا جماعة من الرعاة المتجولين ، كما كانوا — كما تدل عليهم طبقتهم الحاكمة — متوسطى الرأس ومستقيمى الأنف والعين . ويمكن أن نضمهم إلى أسلاف الترديين ويمثلهم فى الوقت الحالى جماعة البالتى فى إقليم بالتستان. ولقد وصل إلى شمال غرب الهند فى نفس الوقت جماعة البهلوا Pahlava وهم الفارسيون Parthians ثم اليافانا أو اليونان الأسيويون .

ومن المعروف أن الإسكندر المقدونى ثم أنتيوخ أحد خلفاء الإسكندر وصلا إلى الهند ، غير أن هذه الغزوات كانت حربية ولم تترك أثراً جنسياً .

وفى سنة ٤٥٥ تدفق الهون البيض إلى الهند وهم خليط من الترك والتنجوس

وقد قاموا بحركة تخريب واسعة فى سهول السـند والجانج سنة ٤٨٤ م وأخيراً طردوا من الهند نتيجة لتحالف أمرائها سنة ٥٢٨ م .

وفى سنة ١٣٠٠م غزا المسلمون الهند من شمالها الغربى أيضاً ثم بعد ذلك بقرن غزوها من الجنوب .

ويظهر أن العنصر الهندى الأفغانى هـو السائد فى الطبقات العليا بسهول هندوستان عامة ،وهو العنصر الطويل الرأس الضيق الأنف المستقيم العين.ولكن لا يوجد عنصر هندى أفغانى نقى ، فلا الراجيوت ولا الطبقات العليا فى سهول الجانج يمكن أن يوصـفوا بالنقاوة بل تدخلهم دماء أخرى من السكان القدماء بشمال الهند ثم من الغزاة الذين أتوا بعدهم . على أن الطبقات العليا أكثر نقاوة تتلوهاالطبقات المتوسطة ثم الطبقات الدنيا ، فهذه الأخيرة تزداد فيها نسبة الدماء القديمة زيادة كبيرة .

وتظهر الصفات المغولية واضحة فى شرق بنغال ولا تظهر هذه الصفحات فى شمال غرب الهند مما يرجح أن الهند تلقت صفاتها القوقازية من الشمال الغربى بينما تلقت صفاتها المغولية من الشمال الشرقى،وهو أمر يتفق مع الوضع الجغرافى للهندبالنسبة للكتلتين القوقازية والمغولية .

جبال الهيمالايا :

تعتبر السفوح الجنوبية الهيمالايا تابعة للهند من الناحية الطبيعية ولذلك تتبعها من الناحية الجنسية فنجد فيها العناصر الآتية :

(١) جماعات تنتمى للجنس الهندى الأفغانى تتصف ببياض البشرة وضيق الأنف وتوسط .الرأس وربما كان الوطن الأصلى للجنس الهندى الأفغانى مجاوراً للوطن الأصلى الذى خرج منه أسلاف الهنديين .

٢) جماعات تحمل دماء الدرافيديين .

٣) « « الصفات المغولية .

أما توزيع هذه العناصر فيتفق مع التوزيع الذى وجدناه فى سهول هندستان والذى قلنا إنه يتمشى مع الوضع الجغرافى للهند . فنجد الجماعات التى تنتمى للجنس الهندى الأفغانى أو الجنس الهندى الآرى تسكن السفوح الجنوبية للهيمالايا من ناحية الغرب أى بالقرب من المدخل الذى دخلت منه هذه السلالات، ومثال ذلك جماعة البالتى Balti فى بالتستان Baltistan وجماعة الكانت Kanets فى الجزء الشرقى من البانجاب qauraq وأما الجماعات التى تحمل الصفات المغولية فتسكن السفوح الجنوبية للهيمالايا من ناحيه الشرق ومثال ذلك جماعات البوتا Bhutia والجورنج Gurung والمورمى Murmi والليمبو Limbu وكلها فى مقاطعة نيبال Nepal فالجماعة الأولى فى أعالى جبال هذه المقاطعة والجماعة الثانية فى الغرب والثالثة فى الوسط والرابعة فى الشرق ، وكللها جماعات مغولية تبلغ النسبة الرأسية فيها ثمانين فأكثر والنسبة الأنفية حوالى ٧٥ والقامة حوالى ١٦٠ سم .

ومثل هذا يقال عن مقاطعة بوتان Bhutau حيث يسكنها البوتا وعلى مقاطعه سكم Sikkim حيث يسكنها الرونج Rong pa وأولئك وهؤلاء لا تقل فيهم النسبة الرأسية عن ٨٠ .

ويلاحظ على الهند من الناحتين الثقافية والاجتماعيه تعدد اللغات وتعدد الطبقات وتعدد الديانات . ففيما يختص باللغات نجد بالهند ما يأتى ا — مجموعة اللغات الآرية ويتكلم بها أكثر من ٢٠٠ مليون نفس وهى متعددة اللهجات وأهمها السانسكريت Sanskrit ب — مجموعة اللغات الدرافيدية وهى تأتى بعد السابقة فى الأهمية وفى عدد المتكلمين بها . حـ — لغة المونذا Munba وهى التى يتكلم بها الكولاريون

Kolarians وتنسب إلى المجموعة اللغوية الاسترالية ويمثل الكولاريون بقايا عناصر هندية قديمة وعدد المتكلمين بها ٥ مليون . د — لغة الكاسى وهى لغة تتمثل فى شمال شرق الهند . هـ — اللغة البرمية التبتية Tibeto Burman وهى التى يتكلم بها أهل برما وأسام وبعض الجماعات المغولية الساكنة على سفوح التبت الجنوبية .

وأما نظام الطبقات فهو عبارة عن قيام حواجز اجتماعية وثقافية بين أجناس الهند المختلفة ، وربما نشأ هذا النظام بين ماقبل الدرافيديين وبين الدرافيديين أولا ثم بين الدرافيديين الآريين ثانيا . ويعلل البعض قيام هذا النظام بأن منشأه الحاجز اللونى ، فالبيض يحتقرون السود ويعتبرونهم أقل منهم مرتبة .

والطبقات الاجتماعية بالهند هى :

أ — البراهما : أو رجال الدين　　　ب — المحاربون

حـ — التجار .　　　د — الزراع والصناع .

هـ — العمال .　　　و — المنبوذون .

وأما عن الديانات فى الهند فيدين معظم السكان بالهندوكية ثم يلى ذلك من حيث الكثرة العددية المسلمون الذين يبلغون حوالى المائة مليون ، كما أن بعض جماعات الجزء الشمالى الشرقى من الهند تدين بالبوذية وهى الديانة التى انسلخت من الهندوكية حوالى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد .

وتعتبر الهندوكية أقدم الأديان التى مازال لها أتباع ، وهى عبارة عن فلسفة عالية ترحب بكل المجهود لمعرفة الله ، وهى قريبة فى جوهرها من الأديان الحديثة اليهودية والنصرانية والإسلام غير أن الهندوكية كما تمارسها كتلة الشعب الهندى

بعيدة عن الفلسفة العالية التي نادى بها رسل هذه الديانة . وأهم ظاهرة في الديانة الهندوكية تحريم قتل الحيوان ولاسيما البقرة ولذلك نجد الهندوكيين المتدينين نباتيين .

وأما البوذية فقد انسلخت من الهندوكية سنة ٥٠٠ ق م وهي أكثر الديانات أتباعا في الوقت الحاضر ، ولكن ميدانها الرئيسي في شرق آسيا وجنوبها الشرقي ولا يدين بها من الهنود إلا عدد قليل في شمال شرق الهند . والبوذية طريقة حياة أكثر منها دين وهي تحث على الانصراف عن شهوات الحياة بقصد الوصول إلى سعادة البشر .

جنوب شرق آسيا

يشمل جنوب شرق آسيا الأقسام الجغرافية الآتية :

(١) شبه جزيرة الملايو . (٢) الهند الصينية . (٣) جزر الهند الشرقية .

ونستطيع أن نحصر جماعات هذا الإقليم بأقسامه الثلاثة في الأجناس الثلاثة الآتية :

(١) النجريتو Negrito أو الأقزام الآسيويون .

(٢) النزيوت Nesiof أو الأندونيسيون .

(٣) الباروان pareoan أو المغول الجنوبيون .

فأما النجريتو فهم ولو أنهم لا يوجدون في الوقت الحاضر في جماعات خالصة مركزة إلا أنهم يكونون الأساس الجنسي لبعض جهات هذا الإقليم ، بمعنى أن السكان الأصليين لهذه الأجزاء ينتمون لهـــذا الجنس . ويمكن في الوقت الحالي التعرف على شكل النجريتو بينهم ، ومن أمثلة ذلك منطقة كامبوديا .

والصفات الجنسية لهؤلاء هى كما يلى :

شعر أسود يندر على الوجه والجسم ، بشرة ذات لون أسـود ، قامة قصيرة (١٤٥ — ١٥٠) رأس عريـض (٨٠ — ٨٣) ووجه عريض ، شفاه غليظة ولكن غير مقلوبة : أنف عريضة .

على أن الصفات ليست بنسب واحـدة عند جمـاعة الأندامانيز فى جزر أندامان وجماعة السيمانج فى وسط شبـه جزيرة الملايو وشرق سومطرة وجماعة الأيتا فى جزر الفليبين وجماعة التابيرو فى غانة الجديدة الهولندية .

وأما النزيوت فلا يكونون الأساس الجنسى لكثير من جهات هذا الأقليم فحسب ، بل يسودون بعض هذه الجهات فى الوقت الحاضر من الناحية الجنسية ، ثم هم يوجدون فى حالة نقية فى مناطق الجبال التى يصعب الوصول إليها وهى مناطق العزلة الجنسية عادة ، ومن أمثلة ذلك جماعة المويس Nois فى تلال أنام وجماعة الناجا Naga فى تلال أسام ويمكن القول أن النزيوت بجنوب شرق آسيا والدرافيديين بالهند ينتمون إلى أصل جنسى واحد .

والصفات الجنسية لهؤلاء هى كما يلى :

شعر أسود مموج ، بشرة سمراء خفيفة . قامة قصيرة (١٥٤ — ١٥٧ سم) رأس متوسط (نسبة رأسية ٧٦ — ٧٨) ربما كانت فى الأصل طويلة ، وجه على شكل المعين الهندسى ، عظام الخدود بارزة أحيانا ، الأنف مفرطحة غالباً ومحدبة فى بعض الأحيان .

وأما الباروان أو الجنس البارووى فقد وفدوا إلى هـذه الجهات من جنوب الصين وعلى الأخص من منطقة منابع نهر اليانجتسى كيانج ، ويشمل هؤلاء

جماعة الثاى والسياميين والشان والثو فى شمال أنام واللاو فى كمبوديا ثم الأناميين والبرميين .

والصفات الجنسية لهؤلاء هى كما يلى :

شعر أسود غزير ويقل على الوجه والجسم ، بشرة يتراوح لونها بين الأصفر فى الشمال وبين الأسمر الزيتونى أو النحاسى فى الجنوب ، قامة قصيرة حوالى ١٦٠ سم ، قوام ممتلىء ، رأس عريض (نسبة رأسية ٨٠ — ٨٥) وجه عريض به قليل من البروز ، عظام الخدين مفرطحة من الجانبين ، أنف قصير مفرطح ذو خياشيم واسعة ، عين مائلة وذات الانثناء المغولى المعروف .

وتتألف شعوب جنوب شرق آسيا من هذه الأجناس الثلاثة مع ظهور هذا الجنس أو ذاك على الجنسين الآخرين فى هذا الجزء أو ذاك من أجزاء الإقليم حسب موقعه الجغرافى . وفيما يلى وصف مختصر التكوين الجنسى لجهات جنوب شرق آسيا .

اسام Assam :

أسام هى عبارة عن الوادى المتكون هو رواسب البراهمابترا . ولقد وفدت إليها الهجرات من ناحيتين . ١ — هجرات من الغرب إذ هاجر سكان الهند منذ أقدم العصور إلى هذه السهول الرسوبية الغنية واختلط كثير منهم بالسكان الأصليين فتكونت جماعات « شبه هندوسية » . ٢ — هجرات من الشرق : وكانت أول غزوة من الشرق على يد التبتيين البرميين Tibeto-Burmans وهم من الجنس الباروى، ففى نهاية القرن الثامن الميلادى أخذ الشان Shan الجنوبيون فى الإغارة على أسام، وقد أطلق على السكان سنة ١٢٢٨ اسم أهام ثم حرف إلى أسام .

ويمكن أن نلخص التاريخ الجنسى بها كما يأتى (١) سكن أسام قديماً عنصر طويل الرأس واسع الأنف من البرى درافيديين يظهر بوضوح عند بعض الجماعات مثل الخاسى Khasi (٢) وكذلك يقال أن عنصر النزيوت Nesiot الطويل الرأس المتوسط الأنف يتمثل فى جماعة الناجا Naga وغيرها من قبائل التلال الشرقية فى أسام (٣) ويوجد بأسام أيضاً عنصر متوسط الرأس والأنف من النوع الذى يتمثل فى الهند فى جماعة الليبشا Lepcha وبعض طبقات بنغال ولا سيما فى مقاطعة Behar (٤) وكذلك سكن أسام عنصران من عراض الرأس (١) عنصر عريض الرأس ضيق الأنف جاء من الشمال وينسب إلى مجموعة عراض الرأس الأوروبية الأسيوية . (ب) وعنصر آخر عريض الرأس واسع الأنف كان مركز توزعه من منطقة برما تقريباً وهم من الجنس الباروى Pareoan . (٥) وأخيراً وصل إلى أسام عنصر طويل الرأس ضيق الأنف من الهند هم من الجنس الهندى الأفغانى

برما Burma :

تنتمى كل شعوب برما إلى الجنس الباروى ، وتتراوح النسبة الرأسية عندهم من ٧٨ إلى ٨٣ والأنفية من ٨٥ إلى ٩٣ والقامة من ١٥٨ إلى ١٦٣ . على أنه يظهر فى كل القبائل طول الرأس جنباً إلى جنب مع عرضها الشديد. وكذلك دخل جنس النزيوت Nesiot إلى بره ولكنه لم يلبث أن تلاشى. وقد مرت بهذا المكان أجناس أخرى قبل جنس النزيوت منهم الأندمانيز الذين عزلوا فى الأرخبيل المسمى باسمهم .

وتشغل المجموعة السيامية الصينية القسم الشرقى من المنطقة بين نهرى Salwen و Irawade كما تشغل هذه المجموعة القسم الشمالى الغربى أيضاً ، وصفاتهم كالآتى: (النسبة الرأسية ٨٠٫٥ والأنفية ٧٨ والقامة ١٥٩) وتشمل هذه المجموعة جماعة

الشان أو التاى . وكذلك عمرت برما المجموعة التبتيه البرمية التى وفدت من غرب الصين ، وتشمل الجماعات الآتية : (١) جماعة الشين فى المرتفعات الغربية التى ربما كانت أقدم الجماعات وصولا إلى برما . (٢) جماعة البرميين فى القسم الأوسط من حوض ايراوادى (النسبة الرأسية ٨٣ والأنفية ٨٦والقامة ١٦٥ سم). (٣) جماعة الكاتشين فى شمال برما (النسبة الرأسية ٧٨ والأنفية ٨٩ والقامة ١٥٩ سم) .

شبه جزيرة الملايو :

يشغل السياميون القسم الشمالى من شبه الجزيرة . وأما فى الغابات الكثيفة فى نصف شبه الجزيرة الجنوبى فيوجد السيمانج Semang الأقزام وهم أقرباء للأندمانيز ، ويجاورهم أيضاً الساكاى Sakai وهم من مجموعة ماقبل الدرافيديين. والعنصر الرئيسى الثالث والأخير فى شبه الجزيرة هو « عنصر الملايو المتوحش » وقد حدث اختلاط بينه وبين العنصرين السابقين وصفاته كالآتى : بشرتهم دكناء محمرة أو سمراء نحاسية وهى أدكن من الملايو الحقيقى ، والشعر مستقيم خشن ، النسبة الرأسية بين ٨٠ و ٨٣ ، والعين بها بعض الميل ، والقامة ١٥٣ . وأما الملايو الحقيقى وهو المسمى الأورانج ملايو Orang Malayu فصفاته كالآتى : النسبة الرأسية ٨٠ أو ٨٢ — والأنفية ٨١ والبشرة نحاسية سمراء غامقة أو زيتونية خفيفة .

سيام وأنام : Siam & Annam

يمكن تقسيم سكان الطرف الأقصى من جنوب شرق آسيا إلى مجموعتين : (١) مجموعة باروية Pareoean (٢) مجموعة غير باروية. وللمجموعة الأولى حضارة نشأت فى بيئة ملائمة وتلقت تأثيرات أجنبية معظمها من الهند وبعضها من الصين كما هو الحال فى أنام ، ويطلق على المجموعة الباروية اسم الشعبة المغولية الجنوبية

ومن هؤلاء الأناميين منطقة الدلتا فى تونكنج Tonking وساحل أنام ومعظم كوشن تشينا Cochin China والنسبة الرأسية عندهم حوالى ٨٣ والأنفية حوالى ٨٥ والقامة حوالى ١٥٨ سم ومنهم أيضاً الشيام Chiam فى القسم الجنوبى من أنام وفى كوشن تشينا وكمبوديا Carrbodia ويمتاز هؤلاء بالشعر المموج والبشرة الداكنة وبعدم وجود العين المائلة .

اندونيسيا :

أقدم هجرة معروفة وصلت إلى أندونيسيا كانت من أصحاب الشعر المفلفل Ulotrichi .وقد رأينا آثارها فى أقزام شبه جزيرة الملابو وعند الأندمان، ولكنهم اختفوا تماماً فى منطقة الجزر إلا عند الأييتا Aeta فى جزر الفيلبين حيث يعيشون فى جزيرة Luzon والأجزاء الجبلية من الجزر الكبيرة وربما وجد النجريتو فى جزيرة تيمور Limor حيث يوجد عنصر بابوى أيضا . وقد انمحى من هذه المنطقة أيضاً عنصر ماقبل الدرافيديين وتوجد آثارهم عند الباتن Batin فى سومطرة وعند التوالا Loàlà فى سلبيز وهى جماعة شديدة عرض الأنف ، والنسبة الرأسية عندهم ٨٢ والقامة ١٥٦ سم وربما وجدت هذه الآثار الجنسية فى برنيو أيضاً .

ويوجد فى القسم الجنوبى من سومطرة جماعة الأورانج كوبو Orang Kubu ويمكن القول أنهم يمثلون عنصراً بشرياً قديماً جداً وصفاتهم كالآتى : النسبة الرأسية ٧٩ والأنفية ٨٧ والقامة ١٥٩ سم والجبهة بارزة وكذلك عظام الخدين ، والعين مائلة غالبا ، والجسم طويل مع قصر الأرجل .

وعلى العموم يمكن القول عن سائر جزر الهند الشرقية أنه يمكن تمييز عنصر طويل الرأس بين العنصر عريض الرأس المنتشر فيها ويطلق على طوال طويل الرأس اسم الأندونيسيين أو النزيوت ، وقد جاء بعد بعد هؤلاء العنصر عريض الرأس

وهم من الباروان snaeoerad فيسطروا على النزيوت وحـدث اختلاط بين العنصرين حتى لا يمكن أن نجد فى هـذه الجزر قبيلة نقية يمكن اعتبارها ممثلة لعنصرها الأصلى .

وقـد انتشر الملايو الحقيقيون Orang Malayn فى القرن ١٣ الميلادى فى معظم جزر أرخبيل الملايو ولكنهم كانوا يفضلون . سكنى جهات خاصة من سواحل بعض الجزر .

ومنذ القرن الأول الميلادى أخذت هجرات من الهند تصـل إلى هذ الجزر وقامت حضارة هندتة جاوية عظيمة بين السابـع والعاشر ، ومازالت الآثار الثقافية للاستعمار الهندى واضحـة فى جاوة وما جاورها من الجزر حتى غرب بورنيو . ولكن الآثار الجنسية لهذا الاستعمار غير واضحة تماما وقد بدأ وصول الصينيين إلى هذه الجزر سنة ٢٠٠ ق م،ثم بدأت فى القرن الخامس علاقات تجارية بين الصين وجاوه وغيرها من الجزرو استمرت حتى القرون الحالية وقد وصل التجار العرب إلى أرخبيل الهند الشرقية قبل الإسلام بكثير فلما ظهر الإسلام تحول هؤلاء التجار إلى مبشرين بالدين الجـديد فأثروا فى هذه الجهات ثقافياً ولكن لم يؤرثر فيها جنسيا .

وقد وجدت آثار جنسية من النزيوت فى شمالى سومطرةوفى جاوة وساراواك وسائر هذ الجزر ، ولو أن هذه الآثار أصبحت غير واضحة نتيجة لاختلاطهم بالصفر من الجنس الباروى ، فالآثار الجنسية الباروية تنتشر انتشاراً كبيراً فى اتجاه هذه الجزر .

المنخفضات الشمالية بآسيا

تنقسم المنخفضات الواقعة شمال نطاق الهضاب الوسطى إلى قسمين متباينين من الوجهة الطبيعية :

(ا) قسم غربى متطرف المناخ،قاحل فى معظمه تسوده الظروف الصحراوية إلا فى جهات قليلة خصبة تغطيها الحشائش القصيرة ويمكن أن نطلق على هـــذا القسم اسم السهوب السيبيرية .

(ب) قسم شرقى عبارة عـــن منطقة غابات تتحول إلى تندرا فى أقصى الشمال حيث يسود المناخ القطبي ويمكن أن نسمى هذا القسم بالغابات السيبيرية .

وسنتناول كلا من القسمين على حدة :

(ا) القسم الغربى أو قسم السهوب السيبيرية : يشمل هذا القسم تركستان الغربية وسهل جنوب غرب سيبيريا ، فهو يحد من الجنوب بحافة هضبة إيران وجبالى هندوكوش ، ويحد من الشمال بحافة منطقة الغابات التى تقـــع على وجه التقريب على طول خط عرض ٥٥ شمالا ، ويحد من الشرق بجبال البامير وتيان شان والتاى على طول حافة الهضاب الشرقية . أما حـــدوده الغربية فغير دقيقة لأنه إذا اعتبرنا بحر قزوين وجبال أورال الحد الغربى لهـــذا الأقليم فيجب أن نلاحظ أنه يوجد بينهما (بين البحر والجبال) متسع من الأرض المنخفضة تتلاقى فيه السهوب الأسيوية والسهوب الأوروبية . ومن الناحية النباتية نجد أنه بينما الجزء الشمال من هذ القسم يعتبر شبه قاحل نجد الجزء الأكبر من تركستان الغربية عبارة عن صحراء صرفة ولا نجـــد الأجزاء الخصبة إلا على طول مجارى نهريها الكبيرين سيحون (Syr-Daria, jaxartes) وجيحون (Amu-Daria Oxus)

وخصوصا فى مجاريها العليا حيث يمكن الرأى والزراعة . وقد استمد العلماء معلوماتهم الجنسية من المقابر التى توجد بكثرة فى السهوب السيبيرية ووديان جبال التاى، وأعمار هذه المقابر مختلفة فبعضها من عنصر البرونز ومعظمها من عصر الحديد، وقد دل فحص الجاجم المستخرجة من المقابر بجوار توبولسك Todolsk وتمسك ksmoL على أن سكان هذه الجهة فى عصر الحديد كانوا مختلفين ؛ ففى المكان الأول يسود طول الرأس ويسود الجنس القزوينى Caspian (بحر أبيض) وأما فى المكان الثانى فيسود عرض الرأس ويسود الجنس الألپي القديم Palae Alpine وهذان المكانان على الحافة الشمالية للمنطقة التى نحن بصددها فإذا تركنا الحافة الشمالية وانتقلنا للحافة الجنوبية نجد مجموعات كبيرة من الجاجم تكتشف فى إقليم مينوسينسك Minussnsk باليِنسى الأعلى وهذه الجاجم ترجع لأواخر عصر البرونز، وقد دل فحصها على أن جماجم الذكور يسود بها طول الرأس (بحر أبيض) قزوينى ويليها عرض الرأس (ألپي وألپي قديم) وأما جماجم الاناث فمع أن طول الرس هو الغالب أيضاً إلا أن عرض الرأس فيها أكثر نسبة منه عند الذكور (ألپي) أى أنه يمكن القول أن العناصر الجنسية السائدة فى الجزء الجنوبى الغربى من سهول سيبريا فى عصر البرونز كانت من عنصر البحرا لأبيض القزوينى ثم فى عصر الحديد ساد العنصر عريض الرأس كما تدل على ذلك آثار تومسك Tomsk . ففى القسم الشمالى من هذه المنطقة تدل المعلومات المستمدة من حفائر عصر البرونز والحديد والمستمدة من حالة السكان المجاورين، على أن سكان هذه السهوب وحافة الجبال المجاورة لها كانوا فى عصر البرونز وما قبله طوال الرأس (معظمه جنس قزوينى) ثم تلاه عنصر ألپي ، ثم فى عصر الحديد وفد إليه غزاة غيروا من معالمه الجنسية ، هؤلاء الغزاة عراض الرأس (ألپي قديم ومغولى) وكانوا رعاة يستخدمون الحصان ويغلب على الظن أنهم عناصر تركية تتارية

كانوا يسكنوا فى الأصل هضبة منغوليا ثم دخلوا هـــذه السهوب عن طريق ممر زنجاريا وهذه أول حلقة فى سلسلة غزات متشابهة فى عناصر وطبيعتها تصل إلى هذا المكان .

أما فى القسم الجنوبى أى فى تركستان الغربية فقد وجدت بعض جماجم عريضة ترجع القرن الأول أو الثانى ق . م فى إقليم بالقرب من اسك رول Issik Rul بغرب تيان شان ، كما وجـــدت جماجم فى حفائر أجريت فى أناو على الطرف الجنوبى الغربى للمنطقة تدل على أن العناصر طويلة الرأس إن لم تكن ســـائدة فقد كانت على الأقل معادلة للعناصر عريضة الرأس . ويمكن إرجاع هذه الجماجم للألف الثانية أو الثالثة قبل الميلاد .

وبذلك يمكن القول بصفة عامة أن سكان تركستان القدماء فى أواخر العصر الحجرى الحديث أو فى عصر البرونز كانوا — كسكان السهوب السيبيرية الواقعة إلى شمال تركستان — طوال الرأس فى المبدأ (الغالبية قزوينى يليها عنصر قوى من البحر الأبيض) وكان هذا العنصر هذا القديم . يمارس الزراعة فى الأراضى التى يمكن فيها الرى على حافة الصحراء ، هذا إلى جانب حرفة الرعى أيضاً . ثم فى الألف الأولى قبل الميلاد أخذت الدفعات الأولى من الشعوب العريضة الرأس تفد إلى هذا الإقليم ، وهذه الشعوب من النوع الألبى القديم ولغتها تركية وموطنها الهضاب الشرقية ، ثم اندفعوا من هـــذه الهضاب خلال ممر زنجياريا وسيطروا على سكان غرب تركستان القدماء الذين لم تبق منهم اليوم إلا بقايا ضئيلة . وقد اندفعت من غرب تركستان منذ عهد بعيد شعوب الكاسيين والميديين والفرس واتجهوا نحو الجنوب إلى بلاد فارس والعراق كما اندفع من هذا المكان أيضاً أسلاف الهندوس واتجهوا نحو الهند . ومن الجائز أن هـــذه الهجرات التى قام بها طول الرأس من الشعوب التى تنتمى لجنس البحر الأبيض القزوينى نتجت عن ضغط العناصر التتارية التركية فى تاريخ سابق لظهورهم على مسرح التاريخ .

لمجموعتين : مجموعة رعوية متنقلة ، ومجموعة زراعية مستقرة . وكل شعوب هذا الإقليم تتكلم لغة تترية تركية فيما عدا أقصى الطرف الجنوبى الشرقى حيث تسود اللغة الهندية الأوروبية ، ومن جماعات المجموعة الرعوية القرغيز الذين يسكنون السهوب السيبيرية ويمتدون حتى جبال تيانشان وجبال التاى. وأما المجموعة الزراعية المستقرة فتشمل الدنجان بمنطقة كلجا والأزبك والسارت فى سمرقند وبخارى وخيفا وفرغانا وتشقند وغير ذلك من الجهات الزراعية المنخفضة . كما تشمل هذه المجموعة سكان الحوض الأعلى لسيحون وهم الجالشا وغيرهم من الشعوب التى تتكلم اللغة الهندية الأوروبية التى توجد مبعثرة بمنطقة البامير . وأما التركمان الذين يسكنون الجهات الجنوبية الغربية من هذا الإقليم فهم فى منزلة وسط بين المجموعتين السابقتين أى أنهم جماعة شبه رعوية .

الصفات الجنسية للسكان الحاليين : كل سكان هذه المنطقة فوق المتوسط من حيث القامة ماعدا بعض القرغيز الذين يتراوح متوسط القامة عندهم بين ١٦٣و١٦٥ وأطول جماعات هذه المنطقه السارت (١٦٩ سم) وبعض التركمان (١٧٠ سم). وأما لون البشرة فمختلف الدرجات يتراوح بين اللون المصفر أو الأسمر الفاتح وبين الأبيض الوردى الذى لا يمكن التفرقة بينه وبين الأوروبين . وأما شكل الشعر فهو مستقيم عند البعض ومموج عند آخرين ، ولونه قاتم ، وكذلك لون العيون ، ولو أن الشعر الذهبي والعيون الزرق تكثر بين الجالشا . وأما شكل الرأس فيسود فيه العرض ما عدا التركمان ، ويظهر أن هناك اختلافا بين سكان هذه المنطقه ، فجماعات سيحون الأعلى مثل الجالشا يسود بينهما العنصر الألبي (أى عرض الرأس) وأثر طول الرأس بينهم ضئيل ، وكذلك عند شعب الأزبك توجد صفات الجنس الألبي وأثر ضئيل جداً من طول الرأس (عنصر قزوينى).

يتضح عند التاجيك والدنجان ، وكذلك القزغير يسود بينهم عرض الرأس . ويلاحظ أن الأزبك تقل بينهم الصفات المغوليه وتختفى هذه الصفات تماماً عند شعوب أعالى سيحون .

ونجد التركمان على النقيض من هذه الجماعات ، إذ يسود بينهم طول الرأس ويؤلف جنس البحر الأبيض القزوينى ٧٥ ٪ من السكان. وموقع التركمان الطوال الرأس فى السهول عند قاعدة الحافه الشمالية لهضبة إيران يستدعى النظر من الناحية الجغرافية لأنهم بذلك يمثلون الجانب الشرقى لبحر قزوين بينما الجانب الغربى لهذا البحر يحتله الأزبيجانيون وهم طوال الرأس أيضاً . ويتشابه الأزربيجانيون والتركمان فى أشياء أخرى : منها غموض تاريخ كل من الجماعتين وعدم اختلاطهما بالشعوب المجاورة لهما ، وكذلك فى نوع الحياة ، فالأزربيجانيون أيضاً جماعة شبه رعوية ولهذا يمكن القول أن هؤلاء التركمان (كالأزربيجانيين التتار) عبارة عن بقايا تركية تتريه متخلفه عن جنس البحر الأبيض القزوينى ذى اللغه الهندية الأوروبية الذى كان يشغل قديماً كل تركستان الغربية . ومع أن هـذه البقايا حافظت على صفاتها الجنسية القديمة بعدم اختلاطها إلا أنها فقدت لغتها القديمة الهندية الأوروبية. وتوجد آثار ضئيلة من هذا العنصر الطويل الرأس بين التاجيك والدنجان كما سبق ذكره .

أما على حافه المرتفعات فى جنوب شرق هذه المنطقة فتظهر حالة عكس السابقه حيث نجد جماعة الجالشا وغيرها من الشعوب ذات الصفات الألبيه القويه، إذ يمكن اعتبار هؤلاء بقايا العنصر الألبي القديم الذى كان فى العصر الحجرى الحديث وعصر البرونز يشغل الهضاب الغربية والذى اكتسب اللغة الآرية نتيجه لمجاورتة لسكان المنخفضات مع محافظتة على صفاتة الجنسية الألبيه إلى حد كبير .

وتعتبر سيبريا غرب نهر ينسى موطن الجنس القطبي القديم Palaearcticus المتوسطى الروس الذين يتكلمون اللغة الفنية وينتشر الاستياك من القسم الشمالى لاقليم توبولسك إلى مصب نهر أوب ويصل امتدادهم شرقاً حتى إقليم تمسك ونهر ينسى . ويعيش الفوجول بين الأورال غرباً وبين القسم الأوسط من الأوب شرقاً ، ويسود فى كل من الجماعتين الشعر الأسمر والرأس المنخفضة ، والأنف المتوسطة ، والوجه أقل طولا وعظام الخدين أقل بروزاً من الساموبد الذين يسكنون شمال الأوستياك .

وكان يعيش فى الحوض الأعلى لنهر ينسى جماعة من الصيادين فوق طبقات اللويس التى كانت آخذة فى التكون ، وقد تركوا آلات حجرية شبيهة بآلات الحضارتين الموستيرية والأوريجناسية بغرب أوروبا. ثم أصبح أقليم الينسى الأعلى شمال جبال سايان مقر حضارة قديمة مركزها فى إقليم مينوسينسك الحالى . ولقد كان هؤلاء الينسيون القدماء زراعا يستخدمون الذهب والفضة والبرونز ولكنهم لم يعرفوا الحديد إلا فيما بعد نتيجة هجرة جاءتهم من الجنوب . ولقد ساعدت بيئة وادى الينسى على نشأة شعوب النوبا القديمة كما أدت عوامل الجذب فى هذه البيئة إلى وفود الرعاة الأجلاف إليها من منغوليا حيث البيئة فقيرة فأغاروا على الينسيين واغتصبوا أرضهم الغنية .وحوالى القرن الثالث ق.م وفد إلى هذا المكان اليوجور الأتراك من الحدود الصينية لمنغوليا الجنوبية . وفى الفترة بين القرنين إلى الرابع والثامن بعد الميلاد كانت مملكتهم تشغل كل منغوليا الشمالية وكل أقاليم الينسى حتى نهر شوليم Chulim (أحد فروع الأوب) شمالا .

وأما قبيلة القرغيز فهى شعبة من اليوجور ظهر نفوذهم فى حوض الينسى الأعلا وظل أمرهم كذلك حتى طردهم المغول وقضوا على حضارتهم . وقد لجأ

بعض الينيسيين الذين فروا أمام هجمات اليوكاغير إلى الغابات وتوغلوا فيها ، وهم يعرفون الآن باسم التوبا أو الأوريانخاى ، ويطلق عليهم الروس اسم السويوت ، ولكن لا توجد أية قرابة بينهم وبين السويوت الذين يسكنون وسط سيبريا ، كما فر البعض الآخر نحو الشمال وهم الذين يؤلفون الآن الساموييد Samoyed شمال الأوستياك ثم الللابس الأوروبين . ويعتبر التوبا Tuba شعباً خليطاً تتراوح صفاتهم الجنسية بين الملامح المغولية الصرفة والملامح الأوروبية الصرفة ، وتقل الصفات المغولية عند القبائل التى تربى الرنة .

أما الأوستياك الينسيون فمعظمهم شعرهم أسمر ورأسهم مفلطحة كسائر الينسيين ، وهم يعيشون فى الحوض الأدنى لنهر ينسى بين نهرى تونجسكا السفلى وتونجسكا العليا ، ويصل انتشارهم حتى توروخانسك . أما الساموييد فينتشرون نحو الداخل بعض الشىء كما ينتشرون على الساحل وفى الجزء من خليج شكايا فى روسيا خلال الأورال حتى خليج خاتانجا الواقع بين نهر ينسى ونهر لينا ، ويطلق على المجموعة الشمالية منهم اسم اليوراك Yurak . ومتوسط النسبة الأنفية عند الساموييد ٧٧ ويختفى عندهم ثنية العين المغولية ولو أن العين بها صفة الضيق والميل المغوليين .

(ب) القسم الشرقى أو قسم الغابات السيبيرية :

يشغل هذا القسم من سيبريا مجموعة من الجنس القطبى القديم Palaearcticus الذين يظهر فيهم أثر قوى من الرأس المتوسطة ، ولا توجد معلومات عن سكان هذه المنطقة قبل هذه المجموعةويعتبر الكمتشادال Kamachladae والكاراجاسى Karagasi فى شمال كمتشتكا من جماعات هذه المجموعة ، وإلى الشمال من هؤلاء يوجد الكورياك واليوكاغير (النسبة الرأسيه ٨٠ والقامه ١٥٦) .

وأما التشكشى فى أقصى الشمال الشرقى فخليط من الجنس القطبى القديم Palaearcticus والإسكيمو الأصليين ثم فيما بعد مع عراض الرأس الذين يسكنون وسط آسيا . وفى هذا القسم من سيبيريا يوجد أيضاً التنجوس الذين ينتشرون من نهر ينسى فى الغرب إلى ساحل المحيط الهادى فى الشرق . ومن المحيط المتجمد شمالا إلى حدود منغوليا جنوبا . ثم دخل إلى منطقة التنجوس حديثاً فى القرن الثالث عشر الياقوت الأتراك وهم يعيشون بين نهر انديجركا ونهر يانا وفى حوض لينا الأعلى وينتشرون شرقا إلى نهر عامور وساحل المحيط الهادى . ويفصل نهر عامور فى المنطقة الشرقية التجوس الشماليين عن الجنوبيين . أما التنجوس البحريون المسمون اللاموت Lamut فينتشرون على طول شواطىء بحر أوختسك .

ويقسم بعض الباحثين جماعات سيبيريا إلى مجموعتين هما السيبيريون القدماء Palaeo-Siberians والسيبيريون المحدثون Neo-Sibcrians فأما المجموعة الأولى فتشمل فى رأيهم التشكشى والكورياك والكمتشادال والجلياك والأينو واليوكاغير وأما المجموعة الثانية فتشمل الفوجول والساموييد والأوستياك والقرغيز والياقوت . غير أن هذا التقسيم لايقوم على أساس من الصفات الجسمانية بقدر ما يقوم على القرابة الاجتماعية أو بمعنى آخر هو تقسيم إلى جماعات وليس إلى أجناس .

وتنتشر المجموعة الأولى فى الركن الشمالى الشرقى للقارة شمال خط عرض ٦٠ من نهر لينا حتى مضيق بهرنج ، كما تمتد من الشواطىء الشمالية لبحر أوختسك إلى المحيط المتجمد بما فى ذلك شبه جزيرة كمتشتكا ، ويدخل تحت هؤلاء فى رأى هادون التشكشى والكورياك والكمتشادال واليوكاغير . وأما مجموعة السيبيرى الحديث فتشمل باقى سكان هذه المنطقة ويمكن تقسيمهم على أساس لغوى إلى أربعة أقسام :

١ — التنجوس ويشغلون شرق المنطقة وجنوبها الشرق حتى نهر عامور ، ويتجاوزون هذا النهر فيشملون المنشو وغيرهم كما امتـــدوا غرباً حتى عبروا نهر ينسى .

٢ — القبائل التركية التترية وأهمهم وأكثرهم عددا الياقوت الذين انتشروا فى العصور الحديثة من الحدود الجنوبية للمنطقة نحو الشمال والشمال الشرقى خلال حوض لينا والروافد الشرقية لينسى الأعلى والأوسط .

٣ — الأستياك والفوجول وهما جماعتان من الفنو أجريان Finno-Ugrain يشغلون منطقة المستنقعات والغابات بين الأوبى الأدنى والينسى .

٤ — الساموييد وهم يمتدون على طول ساحل المحيط المتجمد ويصل امتدادهم غرباً حتى شمال روسيا وشرقاً حتى شبه جزيرة تايمر شرق مصب الينسى .

وتعتبر سيبيرى قديم الذى يطلق على المجموعة الأولى معناه أن جماعاتها عبارة عن بقايا شعوب قديمة كانت أكبر عدداً ، كما كانت تشغل مساحة أوسع من مساحتها الحالية ثم ضغطت إلى الركن الشمالى الشرقى للقارة نتيجة لامتداد عنصر السيبيرى الحديث الذين يسكنون فى جنوبهم وغربهم ، على أن مجموعة السيبيرى القديم تختلف من الوجهة اللغوية عن باقى سكان القارة ويشبه لغة السكان بشمال غرب أمريكا ، كما تتشابه جماعات هاتين المنطقتين فى آسيا وأمريكا فى الحضارة مما يدل على وجود علاقة بين العنصر السيبيرى القديم وبين الهنود الحمر بشمال غرب أمريكا . ومن حيث الصفات الجنسية للسيبيرى القديم نجد التشكشى (١٦٣ سم) أطول من الكورياك والكمتشادال واليوكاغير (١٦٠ سم) على أن هـــذه الجماعات كلها تحت المتوسط طولا . والجماعة الأخيرة تشبه التنجوس والأوستياك فى جنوبهم من هـــذه الناحية . وأما فى شكل الرأس فنجد التشكشى والكورياك

الشماليين واليوكاغـــير يسود بينهم عرض الرأس ولا سيما عند التشكشى . وأما الكمتشادال والكورياك الجنوبيون فيسود بينهم طـــول الرأس فهم يشبهون التنجوس من هذه الناحية . ويمكن القـــول بصفة عامة أن هذا الركن الشمالى الشرقى من آسيا تسوده عناصر عريضة الرأس أكثر نقاء من العناصر التى تسكن مناطق والعزلة فى جزيرة كمتشادال ،وربما سبب ذلك أن شبه الجزيرة هذه دخلت إليها بقايا العناصر القديمة ذات الرأس الطويل مثل أسلاف الاستراليين واسلاف الزنوج .

وأما صفات السيبيرى الحديث فنجدها كالآتى :

١ ـ قبائل التنجوس مختلفـــة فى صـــفاتها الجنسية ؛ ففى الشمال فى أقليم جيشيجا Gizhiga وكوليما وأنادرسك ksrydanA نجدهم قصار (١٥٤-١٥٨سم) بينما على الهضبـــة فى منطقة بحيرة بيكال نجـــدهم أطول ، ولو أنهم لا يصلون المتوسط . وكذلك يوجد اختلاف فى شـــكل الرأس ، فمع أن عرض الرأس هو السائد عند التنجوس الشماليين إلا أنه يوجد بينهم نسبة من طوال الرأس لا تقل عما يوجد فى شبه جزيرة كمتشادال . وأما عند التنجوس الجنوبيون فيسود عرض الرأس سيادة تامة.وأمالون الشعر والعين فأسود ما عدا استثناءات قليلة.وكذلك لايظهر فى الغالب الأثر المغولى فى شكل العين . وأما القبائل الأخرى التى تنتمى إلى مجموعة التنجوس مثل جماعات الجولدى Golbi واللاموت والأوروك Orok التى تسكن منطقـــة نهر عامور فيسود فيها عراض ويشبهون المانشو فى جنوبهم لذين هم أقصى الممثلين الجنوبيين لمجموعة التنجوس . وعلى هـــذا يمكن تقسيم التنجوس إلى قسمين :

(ا) قسم جنوبى قامتة تحت المتوسط يسود فيه العنصر الي .

(ب) قسم شمالى قصـــير القامة أيضاً ولكن تزداد به نسبة طوال الرأس (قزوينى) مع احتفاظ الجنس الألبي بالأغلبية فهم فى هـذا يشبهون الكورباك الجنوبيين والكمتشادال .

٢ ــ وأما القبائل التركية التترية فيعتبر الياقوت أهم جماعاتها ، وهم يشغلون مساحة كبيرة من حوض لينا والجهات الواقعة شرقة . وهذا الامتداد حديث ربما يرجع للقرون الثلاثة الأخيرة . وأما موطنهم القــديم فكان غرب بحيرة بيكال ، وساعد على انتشارهم هذا استخدامهم الحصان . وقامة الياقوت تحت

المتوسط مع وجود اختلافات محلية . ولون الشعر والعين أسود ، والشعر مستقيم والعيون مغولية بصفة عامة . والأغلبية عريضة الرأس ولكن بهم أقلية طويلة الرأس كما أنها أطول قامة أيضا ، ويظهر أن العنصر الألبي هو السائد بينهم مع وجود تأثير العنصر المغولى .

٣ ــ أما الأوستياك والفوجول الذين يتكلمون اللغـــة الفنية الأوجرية

ويسكنون منقطة الغابات المستنقعيه فى شمال غرب سيبيريا ، وكذلك الساموبد على ساحل المحيط المتجمد فيمكن وصفهم بما يأتى :

أوستياك الأوبى (تمييزاً لهم من أوستياك الينسى القليين) يظهر أنهم خليط ، فجاجم الرجال القديمة تدل على أغلبية واضحة من الرءوس الطاويلة (أهمها أسلاف الاستراليين ثم البحر الأبيض) وأما الأقلية عريضة الرأس فترجـــع للعنصر الاورالى .وتدل جماجم النساء على وجود أغلبيه من أسلاف الاستراليين كالرجال ولكن العنصر التـالى فى الأهمية هو المغولى لا البحر الأبيض ، وأما رءوس السكان الحاليين فتدل على سيـــادة عرض الرأس ، وأما القـــامة فالأوستياك قصيرون (١٥٦) ورغم سيادة سواء الشعر والعيون إلا بهم نسبة كبيرة من

الشقر (١٥ ٪) ويشبه الفوجول الآوستياك فى اللغة وهم يعيشون الآن على السفوح الأسيوية للأورال فى القسم الشمالى من إقليم برم perm . وقبل ذلك كانوا يسكنون السفوح الغربية الجبالى ولم يعبروا إلى السفوح الشرقية إلا منذ ثلاثة قرون ، ويسود بينهم طول الرأس ، ولكن لا تصل بالنسبة إلى درجة الاوستياك ويمكن القول أن الاوستياك والفوجول هم بقايا سكان شمال شرق أوروبا القدماء عبروا الأورال حديثاً نحو الشرق ، الاستياك أولا ثم الفوجول .

٤ — أما السامويد الذين ينتشرون من البحر الأبيض الروسى حتى مصب نهر ينسى فيختلفون عن الجماعة السابقة فهم أقصر من الاوستياك (١٥٤) واقتم بشرة ، والعين المغولية أيضاً أكثر وضوحا ، وتسود بانهم الرأس العريض سيادة مطلقة . ويرى البعض وجود شبه بين السامويد وبين السويوت ، وبين السامويد وبين اللابس . ويمكن القول أن السامويد جماعة كانت تسكن جبال التاى الشمالية ، ثم اندفعت نحو الشمال نتيجة ضغط من الشعوب القزوينية المتقدمة من منطقة السهوب التى بعد أن وصلت ساحل المحيط القطبى نجدها تندفع غربا نحو أوروبا .

ولما كان يوجد بأمريكا عدة أجناس مختلفة بعضها عريق القدم كالهنود الحمر القدماء palao Amerib ذوى الرأس الطويلة فلا شك أن الهنود الحمر وصلوا إلى قارتهم من شمال شرق آسيا ، ومعنى هذا أن هذه الأجناس كانت يوما تسكن سيبيريا وأنه من الجائز أن بعض آثاوهم الجنسية مازالت توجد فيها . ولكن الهجرات الأحداث فى هذا الجزء من آسيا أخفت هذه الآثار إن لم تكن محتها وربما يؤدى البحث الجنسى فى سيبيريا إلى كشف هذه الآثار .

ومن المعقول أن نفرض أن عناصر قديمة من المجموعة الشمالية للإنسان

الحديث Neantrohpic تجولت فى هــــذه الجهات حينما كانت روءسها مازالت طويلة وسائر صفاتها الجنسية لم تثبت بعد. ويمكن أن نعتبر هذه العناصر من الكتلة التى تنزع منها أسلاف النرديين ، كما يمكن أن نفرض أن هؤلاء طردوا بواسطة عناصر متوسطة الرأس ، وأن هؤلاء بدورهم طردوا بواسطة العناصر العريضة الرأس القديمة ولاشك أن العناصر الصفراء العريضة الرأس كانت تنزح باستمرار نحو الشمال على عادتها دائما .

الصـــين

يمكن تقسيم الصين من حيث مظاهر السطح إلى أقسام ثلاثة :

١ — حوض الهوانجهو فى الشمال .

٢ — حوض اليانجتسى فى الوسط .

٣ — المرتفعات الجنوبية فى الجنوب .

وتحيط بحوض الهوانجهو من الشمال عدة تلال تتصل بهضبة منغوليا العالية، ولاتتفق الحدود الجغرافية فى هذه المنطقة مع الحدود الجنسية فى جميع الأحوال . والتكوينات الجيولوجية تحت هذه التلال عبارة عن طبقات أفقية من الصخور تكون سلسلة من الدرجات وقد بنى سور الصين العظيم على إحدى هذه الدرجات وتجرى الأنهار خلال هـذه المنطقة كما أن تربة اللويس تغطى بعض أجزائها . وتغرى طبيعة هذه المنطقة الغزاة باختراقها للوصول إلى سهول الصين . وتقع فى شمال التلال هضبة منغوليا ، وأما فى جنوبها فإن حافاتها تشرف على السهول ، وتتصل هذه التلال جيولوجيا بمجموعة تلال شانتونج التى تقوم كأنها جزر وسط السهل ، ويكون بعض هذه التلال شبه جزيرة شانتونج . ويفصل السهل منذ زمن بعيد هذه التلال عن كتلة الهضاب الرئيسية فى الغرب ، ويعتبر هذا السهل الذى يشمل حوض الهوانجو وجزءاً من حوض اليانجتسى كيانج أهم ظاهرة جغرافية فى شمال الصين ، وهو عبارة عن مثلث كبير رأسه فى شمال مدينة بكين التى عندها يبلغ عرض السهل ١٢٠ ميلا ، وأما قاعدة هذا المثلث فعبارة عن نهر اليانجتسى كيانج بين شنغهاى وأيشانج .

ورغم أن هـــذا السهل يكون وحدة من حيث مظاهر السطح إلا أنه ليس

كذلك من الناحية الجنسية ، فإن حوض نهر الهوانجهو أو النهر الأصفر هو الموطن القديم للصينيين ، وأما حوض اليانجتسى كيانج الذى يحد السهل العظيم من الجنوب فهو موطن مملكة السونج القديمة ولم يدخله الصينيون إلا أخيراً نتيجة لضغط الشعوب الأخرى عليهم من الشمال .

ويشمل حوض الهوانجهو مقاطعات كانسو وشينسى وشانسى وتشيلى وهونان وشانتونج ولا يقتصر الاختلاف بين شمال السهل وجنوبه على الناحية الجنسية بل يشمل الاختلاف المناخ ونوع الإنتاج الغذائى فإن شمال الصين يختلف فى هاتين الناحيتين عن سائر أجزاء الصين الأخرى ، ويعتبر الأرز الطعام المفضل فى شمال الصين للذين يستطيعون الحصول عليه ولكنه لا ينمو هناك بكميات كبيرة بل يعتبر القمح والدخن وسائر الحبوب الغير مائية أهم الغلات بشمال الصين . ولما كانت تربة اللويس هى السائدة فى هذا الحوض فإن نهر الهوانجو ينحت فى هذه التربة ثم بسبب عدم التزامه لمجرى محدد نجده ينشر رواسبه فى مساحات واسعة وكثيراً ما يتجاوز النهر شاطئيه فى فيضانات عاتية تهلك الزرع والنسل ولكن لا يلبث الناس بعد أن تعود المياه إلى المجرى أن يزرعوا وينتجوا ويتكاثروا من جديد . ويعتمد شمال الصين بصفة عامة فى زراعته على الأمطار ، ويعتبر معتدل الحرارة إلى حد ما مع ميل نحو التطرف بمعنى أنه حار فى الصيف بارد فى الشتاء .

وإذا انتقلنا إلى وسط الصين حيث يجرى نهر اليانجتسى كيانج نجد المناخ السائد شبه مدارى ونجد المياه وفيرة والحالة النباتية غنية ، وأما الأنهار فتجرى فوق أرض صلبة . ونتيجة لهـــذا كله اختلفت حياة الناس وطباعهم كما اختلفت صفاتهم الجسمانية إلى حـــد ما . ثم إذا تجاوزنا اليانجتسى كيانج جنوبا نجد حالة السطح تتحول إلى غابات ولكن الحالة الجنسية فى الجزء الجبلى من حوض اليانجتسى لا تختلف عنها فى الجزء السهلى من هذا الحوض .

ثم إذا انتقلنا إلى جنوب الصين نجد أن المرتفعات هى التى تسود هذا القسم ، وأن هـذه المرتفعات تتألف من عـدة ثنيات مرتفعة . ويعتبر هذا القسم الجنوبى الجبلى المرتفع موطناً للجماعات البدائية وهى قبائل قديمة من أصـــل غير صينى استطاعت أن تحافظ على كيانها بالتجائها إلى هـذه الجبال بعد أن احتل الصينيون المناطق السهلية فى شمالهم والسهول الساحلية فى شرقهم . ولقد كان لوعورة الإقليم أثر كبير فى عـدم صلاحية المجارى المائية كطرق مواصلات بين الشرق والغرب ولذلك كان اتجاه هجرات الجماعات الصينية نحو الجنوب بحذاء الساحل ولم تجذبهم الأرض المرتفعة الواقعة فى الغرب .

والتاريخ الجنسى للصين شديد الغموض ومن الصعب أن نقرر من هم السكان الأصليون للصين ، ولـكن يمـكن اعتبار بعض الجماعات التى تسكن الجبال الغربية خلفاً للسكان الأصليين. وأما فى منطقة السهول فمن الصعب أن نتتبع آثار السكان الأصليين وبقاياهم لأنها اختفت تحت الرواسب ، والأمر فى هذه الحالة شبيه به فى مصر إذ غطت رواسب النيل كثيراً من آثار العصور الحجرية فى مصر ولا سيما فى الدلتا .

ولقد كان علم الجمهورية الصينية مؤلفاً عن خمسة ألوان يمثل كل لون منها جنساً من أجناس الصين . أما هذه الأجناس الخمسة التى يمثلها العلم فيقال أنها الصينيون والمنشو والمغول والتبتيون والمسلمون.ويتبين من أول وهلة أن الأساس الجنسى لهذا التقسيم غير متين ولـكنه يعطى فـكرة عن فهم الصينيين لتكوين أمتهم من الناحية الجنسية ، ولعل أظهر عيب فى هذا التقسيم أنه يعتبر المسلمين جنساً خاصاً وما هم إلا طائفة من الصينيين اختارت الإسلام دينا ، وثانى عيب فى هذا التقسيم أنه لم يفرد مكانا فى العلم لبقايا سكان الصين القدماء .

وفيما يختص بالمخلفات الأثرية ، وجدت آلات العصر الحجرى الحديث فى منغوليا ومنشوريا والصين : كما اكتشفت حضارة غنية ترجع لأوائل عصر المعادن حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م فى وسط الصين وشمالها الشرقى وشمالها الغربى .

وتشبه الأوانى الفخارية الملونة المكتشفة بوسط الصين (حضارة يانج شاو) من بعض الوجوه الأوانى التابعة لحضارة ما قبل السومريين فى بابل التى ترجع لتاريخ سابق لسنة ٣٥٠٠ ق . م ، كما تشبه حضارة أ او الأولى بتركستان الروسية. ولقد كان أصحاب حضارة يانج شاو زراعا متحضرين يمكن اعتبارهم الامتداد الشرقى لحضارة عظيمة من حضارات عصر ماقبل التاريخ انتشرت من غرب آسيا. ولايستطيع العلماء فى الوقت الحالى معرفة الجنس الذى حمل تلك الحضارة نحو الشرق على وجه التحقيق .

وتدل أقدم الجماجم المكتشفة فى كانسو بشمال غرب الصين على وجود قرابة بين أصحاب هذه الجماجم وبين مجموعة البشرة البيضاء الأسيوية ، وهذه الجماجم عالية ومتوسطة بين الطويل والعريض (النسبة من ٦٩ إلى ٩٠) والأنف بين الضيق والمتوسط (من ٤٣ إلى ٤٩) ، وعظام الحاجبين معتدلة التقوس ، وعظام الخدين بارزة وعريضة ، والقامة متوسطة . وينتمى أصحاب هذه الجماجم إلى مجموعة الصينيين الشماليين . ويوجد فى جنوب الصين وغربها بقايا مبعثرة لجماعات أقدم تعيش فى الجبالى الوعرة بغرب الصين على كلا جانبي اليانجتسى فى مقاطعات يونان وششوان وهونان والنسبه الرأسية عند هؤلاء (٧٥ — ٧٧) والأنفية (٨٥) والقامة متوسطة أو طويلة ، وتوصف هذه الجماعات أن وجهها بيضاوى وعظام خدودها صغيرة وأنفها مستقيم معتدل البروز وعينها مستقيمة وليس فيها الميل المغولى ، ولون البشرة خفيف ليس أصفر بل أسمر كشعوب جنوب أوروبا ،

كما أن الشعر مموج يميل للون الستنائى ، ورأسهم على العموم طويلة إلا أنها تزداد طولا فى بعض الأحيان ، ويمكن اعتبارهم من مجموعة النزيوت Nesiot أو من مجموعة أخرى تشبهها وهناك جماعات أخرى عريضة الرأس قصيرة القامة (النسبة الرأسية ٨١ والأنفية ٨٨ والقامة ١٥٥ سم) تعيش فى كوانجسى Kwangsi وفى كوانجتنج Kwangtung فى جماعات مبعثرة فى المقاطعات الجنوبية ويمكن إلحاقهم بالسياميين والبرميين .

والمنطقة التى نشأت فيها الحضارة الصينية الزراعية (حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م) كانت شمال مقاطعة كانسو Kansu ثم منها انتشر أصحاب هذه الحضارة بالتدريج، حتى أنه فى القرن السابع قبل الميلاد لم يكن امتدادهم جنوباً قد تجاوز الوادى الأدنى لنهر اليانجتسى ، ولم يتجاوز امتدادهم شمالا وادى پى هو bie - ho وقد غزت قبائل وسط آسيا — مثل الترك والتنجوس والمغول والمانشو — شمال الصين فى أوقات مختلفة فتغير شكل الصينى الجنسى تبعاً لذلك . ولهذا نجد الصينى الشمالى أطول قامة ورأسه أقرب للتوسط ، ويظهر فيهم أثر بعض التبتيين لأن الوجه أطول والبشرة أخف .

وأما فى جنوب الصين فوجد أثر الباروى فى تغميق الجلد وتعريض الرأس والأنف وتقصير القامة ، وقبل بوجود أثر جماعة الشان Shan بمنطقة كانتون Canton وعلى أى حال حدثت هجرة إلى كوانجتونج عن طريق تاى منذ ستة قرون وهؤلاء يكونون فى الوقت الحالى جزءاً كبيراً من السكان فى المقاطعات الجنوبية الأربعة وهى يونان Ynnan وكوى شو Cieu Cwoh وكوانجسى Kwangsi وكوانجتونج Kwangtung وهم يكونون كتلة أمام الهاكا Hakka الذين ينتمون لمجموعة عراض الرأس .

منشوريا :

كان المانشو (وهم من التنجوس) العنصر الســـائد فى منشوريا ، ولـكنهم اختلطوا فى الوقت الحالى بالصينيين . والمانشو أطول قامة وأنحـــف عوداً من معظم التنجوس (١٦٣ سم) ورأسهم عريض مع ميل نحو التوســـط ، وأنفهم ضيق نسبياً ، ولهذا يمكن القول بوجود دماء من عنصر آخر رأسه بين الطويل والمتوسط .

كوريا :

نجد التعديل الذى طرأ على صفات التنجوس الذين يسكنون منشوريا فتـكون نتيجة له شعب المانشو يظهر بصورة أوضح عند الـكوريين ؛ فقامتهم متوسطة (١٦٨ سم) وعودهم أنحف والنسبة الرأسية عندهم ٨٣ ووجههم طويل ضيق بارز الفكين ، والأنف ضيق والعين ذات الثنية المغوليه المعروفة والذقن طويلة ورفيعة . ويقال أن الطبقة العليا من الـكوريين . وكثير من الـكواليين الجنوبيين لهم قامة طويلة وبشرة بيضاء وشعر أسمر أحياناًوذقن ممتلئة وقزحية خفيفة اللون وأنف عريض .

اليابان :

كان يسـكن اليابان قديما الأينو Ainu وربما كان هؤلاء هم العنصر الوحيد الذى كان يسـكن تلك الجزر فى العهد القديم وهم صيادون مهرة يدعون أنهم أبادوا عنصراً يسمى Koaopokgurtu أى سكان الأرض أو Koshito أى الإقزام ، وتوجد البقايا الأثرية لهؤلاء فى أكوا. عديدة من الأصداف ، وربما توجد قرابة جنسية بين هاتين الجماعتين (أى بين الأينو وسكان الأرض) ويظهر. أن الأينو كانوا يحتلون شريط الساحلى جنوب خليج عامور ثم دفعوا نحو الشرق

حتى استقروا فى سلسلة الجزر الممتدة من كوريل إلى ريو كيو Riu - Kiu .
ومن الجائز أن هذه الجزر كانت متصلة باليابس فى ذلك العهد السحيق . ويمكن
اعتبار الآينو بقايا هجرة شرقية لشعب متوسط الرأس أبيض البشرة مموج الشعر
لم تترك ممثلين لها فى قارة آسيا ، ولو أن السائحين يشيرون إلى وجود شبه بين
الآينوويين الموجيك Mujik الروسيين . وهؤلاء الآينو يقتربون فى شكل العين
ولون الجلد وشكل الشعر من الأوروبيين ؛ وقد دفعوا نحو الشمال نتيجة لقدوم
مهاجرين جدد فأصبحوا يوجد الآن فى يزو Yeso وسخالين . ولو أنه فى بعض
الأماكن يظهر خليط محقق بين اليابانيين والآينو .

أما اليابانيون المحدثون فالنسبة عندهم ٨١ رالنسبة الأنفية ٧٣ والقامة ١٦٢
أو أقل ، وينقسمون إلى شعبتين : ١ — الشعبة الخشنة وهم الآيشيكاوا
والساتسوما Satsuma وهؤلاء منحدرون من جنس ما قبل الملايو المسمى الباروى
وهو قصير القامة ضخم الجسم عريض الوجه وذو أنف قصير مقعر ذى خياشيم
مستديرة وعين مائلة وتنتشر فيها الثنية المغولية ، والبشرة داكنة . ٢ — الشعبة
الرقيقة وتسمى الدايميا Daimyo وهى أطول قامة وأنحف عودا وذات وجه
مستطيل وأنف ضيق مقوس ، وعين مستقيمة أو لائلة والبشرة خفيفة ، ويطلق
على هذه الشعبة أيضاً شعبة أو كاياما Okayama وأصلهم من كوريا .

الاوقيانوسية

يقصد بتعبير الأوقيانوسية جزيرة غينيا الجديدة والجزر المجاورة لها، ثم استراليا
وتسمانيا ثم كل جزر المحيط الهادى. ويمكن أن نحصر الجنسية التى تتكون العناصر
منها شعوب هذه الجهات فيما يلى :

١ — التابير Tapiro وهم شعبة من الأقزام وأهم صفاتهم : شعر أسو قصير،
البشرة سمراء مصفرة . والقامة ١٤٥ سم ، والرأس متوسط (٨٩ر٥) والأنف
مستقيم وفتحته متوسطة وهم يشغلون الجبال الغربية من غينيا الهولندية .

٢ — البابوان وأهم صفاتهم الجبهة متراجعة عظام الحاجبين بارزة الفكان بارزان الأنف بارز غالبا ومحدب وواسع الفتحة ، وينتشر فى معظم غينيا الجديدة. وكان فى الأصل ينتشر فى ميلانيزيا كما كان فى بعض أجزاء استراليا على الأرجح، وفى تسمانيا على وجه التحقيق ، وكذلك وجد فى أقصى الجزر الجنوبية الشرقية من أرخبيل جزر الهند الشرقية .

٣ — الميلانيزى : الشعر صوفى غالباً ، ولكنه فى بعض الأحيان مجعد ومموج ، ولون الجلد بنى غامق ، وفى بعض الأحيان يكون اللون أسوداً داكنا ، وأحياناً نحاسيا. القامة متوسطة أو قصيرة تتراوح بين ١٥٦ و ١٦٠ سم ، فيسود طول الرأس بصفة عامة إلا فى بعض البقع حيث يسود عرض الرأس عليا . الجبهة مستديرة ، وعظام الحاجبين غير بارزة فى الغالب ، والأنف واسع وهو مستقيم وأصغر من أنف البابوان . ومعظم الميلانيزيين منحدرون من عنصربابوانى اختلط مع عناصر من جزر الهند الشرقية ، ولهذا تختلف الصفات الجنسية فبهم عندالبابوانى الأصلى . وينتشر الميلانيزيون من جزر أدمير التى Admirltv إلى نيوكاليدونيا ، ويوجدون فى فيجى fiji وبعض الأجزاء الساحلية من غينيا الجديدة والجزر المجاورة فى الشرق والجنوب الشرقى .

٤ — الاسترالى : الشعر مجعد وبعض الأحيان مموج أو مستقيم ، اللون بنى غامق ، القامة متوسطة (١٦٧ سم) أو أقل ، الرأس طويل (٧٢) الجبهة متسعة متراجعة ، عظام الحاجبين بارزة . الفكان بارزان ، الأنف مضغوط عند الجذع وفتحته شديدة الاتساع .

٥ — الزيوت أو الأندونيسى : شعر أسود متماوج ، بشرة صفراء أوسمراء خفيفة فى لون القرفة ، والقامة قصيرة (١٥٤ — ١٥٧ سم) والرأس متوسطة

(٧٦ — ٧٨) ربما كانت فى الأصل طويلة ، عظام الخدين بارزة أحيانا . ومن الصعب أن نجد هـــذا الجنس نقياً ، بل فى كل مكان يوجد فيه يكون مختلطاً بالجنس الأصفر عريض الرأس . ومن أحسن أمثلة الزيوت الموروت Murut فى بورنيو ، على أنه ينتشر خلال جزر الهند الشرقية كلها ، ويكون جزءاً من سكان جنوب الصين والهند .

٦ — الباروى (المغول الجنوبيون) : شعر أسود ، لون الجلد يتراوح بين المصفر فى الشمال والزيتونى أو الأسمر النحاسى فى الجنوب . والقامة تختلف أيضاً تبعاً لذلك ، ولكنها قصيرة فى العادة (حوالى ١٦٩ سم) الرأس عريض (٨٠ - ٨٥) الوجه عريض والفكان بارزان قليلا ، عظام الخدين بارزة قليلا . والأنف قصير ذو خياشيم واسعة ، العين مائلة غالبا وذات ثنية مغولية .

واختلطت معظم شعوب هذه المجموعة حينما هاجرت نحو الجنوب بالأجناس غير المغولية . ويعتبر صينيو هوانجهو أنقى الممثلين لهذه المجموعه . وأما أهل التبت وهمالايا وجنوب الصين والهند الصينية واليابان فهم شعوب خليطة . ويطلق على أعضاء هذه المجموعة الذين هاجروا إلى جزر الهند الشرقية اسم المغول البحريون، ولكن يستحسن تسميتهم عنصر ما قبل الملايو Proto-Malay ، وقد اشتق منهم الملايو الحقيقى .

ويمكن أن نلخص التاريخ الجنسى للأوقيانوسية فيما يلى :

لا شك أن السكان الأول لهـــذه الجهات كانوا من أصحاب الشعر الصوفى الذين وفدوا إلى هـــذه الأنحاء عن طريق أندونيسيا ، وهو الطريق الذى وفدت منه جميع الهجرات إلى هذه الجهات ، ويظهر أنهم كانوا شعوباً متباينة ففيهم الأقزام وفيهم أصحاب القامة القصيرة والمتوسطة ، كما كانوا مختلفين فى شكل الرأس.

ومن أهم الجماعات القزمية فى هذه المنطقة التابير وبغينيا الهولندية ، وثانى عنصر بالجزيرة البابوانى الحقيقى ، فهو صوفى الشعر أسود البشرة ذو قامة قصيرة ورأس طويل ، ويوجد دليل على وصول شعوب عريضة الرأس إلى ساحل خليج پاپوان Papuan ويرى هادون Haddon أن المجموعة البابوانية كانت تنتشر فوق كل ميلانيزيا ، وهذا يفسر وجود القامة القزمية والرأس الطويل فى الجزر البعيدة المعزولة نحو الشرق من مجموعة ميلانيزيا مثل فيجى fiji ونيوكاليدونيا . ويتبع التسمانى هـذه المجموعة البابوانية ، وقد انقرض فى الوقت الحالى ، وكانت رأسه تتراوح بين الطويل والمتوسط ، كما كانت قامته متوسطة ، ويعتبر بصفة عامة من مجموعة البابوان الأقزام papuan Negrito التى اخترقت استراليا فى عهد بعيد ، ووصلت إلى تسمانيا ، ثم عزلت فى هذه الجزيرة بسبب تكون مضيق باس Bass قبل أن يصل الاستراليون إلى هـــذا المكان الجنوبى البعيد . ويقال إن الصفات الجنسية للبابوان الأقزام أكثر اتحاداً من البابوانى الحقيقى أو الاسترالى .

والاستراليون — كمجموعة جنسيه — لهم صفات بدائية كثيرة ، ولاسيما فى الجمجمة ، فهم يشبهون إنسان نياندرتال ، وكثير من الصفات البدائيه يمكن تعليلها بالشيخوخة الجنسية . وقد وجدت فى كوينزلاند جمجمه تالجاى التى أطلق على جنسها اسم ما قبل استراليين Proto-Australian لأنها تمثل صفات هذا الجنس إلى حـــد كبير ، وجد بهذه الجمجمة أكبر ناب بشرى معروف . وقد وجدت جمجمة شبيهة بها فى جاوة تسمى جمجمة واجاك wadjak . ورغم القدم العظيم الذى يعزى الجنس الاسترالى إلا أنه من الواضح أنه جاء استراليا بعد أسلاف التسمانيين الذين أبيد بعضهم فى استراليا بينما اندفع البعض الآخر نحو الجنوب حتى وصل تسمانيا ، ثم تكون المضيق بعد وصولهم فلم يصل الجنس الاسترالى إلى هذه الجزيرة . وكان يوجد تشابه عام فى الشكل الجسمانى فى كل

استراليا مع وجود اختلافات بسيطة ؛ فلا يوجد دليل على وفود مهاجرين آخرين القارة ولا على حدوث اختلاط جنسى ، ولكن يمكن أن يقال إنه توجد صلة قديمة بين الاستراليين وبين الجنس الصوفى الشعر فى مكان ما خارج استراليا ، ويمكن أن نستخلص من هذا أنه منذ وصول الاستراليين إلى هذه القارة لم تصل إليها أية هجرة جنسية ، وهذا لا يمنع وصول الثقافات المختلفة إلى القارة ؛ فإن هذه الثقافات كان يحملها عدد قليل من الناس لم يكن لهم أى تأثير فى تغيير الشكل الجسمانى الاسترالى .

وبعد هذا بفترة طويلة انتشرت عدة هجرات من أندونيسيا فى اتجاه جنوبى شرقى . وأولى هذه الهجرات جلبت معها حضارة أرقى لأن أصحابها كانوا يعرفون حرث الأرض ولهم لغة خاصة ويطلق على هؤلاء اسم الاسترانيزيين Austronesian وصفاتهم الجنسية كما يأتى : بشرة خفيفة اللون ، وأنف متوسط ، وشعر مموج أو مستقيم . وكانوا يمارسون ركوب البحر ويصنعون القوارب ، وقد ساحوا حتى غرب المحيط الهادى ووجدوا هناك البابوان السود البشرة ذوى الأنف العريض والشعر الصوفى فاختلطوا بهم فتكون من هذا الخليط الشعوب المعروفة باسم الميلانيزيين الذين نجد بشرة بعضهم أخف لوناً من البابوانى الأصل ولكن معظمهم فى سواد البابوانى أو أشد منه سواداً ، وكذلك نجد شعر هذا الخليط المسمى بالميلانيزيين يتراوح بين الصوفى والجعد والمموج ، وأما الأنف فمتوسط العرض ، كما تظهر فيهم بعض الرءوس العريضة . وقد تلت ذلك هجرات أخرى من أندونيسيا مكونة من الأوسترانيزيين أيضا أدت إلى زيادة تخفيف الصفات الجنسية البابوانى كما حدثت هجرات متفرقة من بولينيزيا إلى ميلانيزيا ، وبالمثل أدت الهجرات من ميلانيزيا إلى غينيا الجديدة إلى حدوث اختلافات جنسية فى الساحل الشمالى الجزيرة ولاسيما فى بروزها الجنوبى الشرقى والأرخبيل المجاور له .

أما سكان بولينيزيا فخليط معظمهم من أصل نزبوتى وما قبل الملايو . ولكن الصفات المغولية عندهم مخففة وبهم أيضاً عنصر غير مغولى شديد عرض الرأس ، كما أن الدماء الميلانيزية تدخل فى تركيبهم وهم ينتشرون من هواى إلى نيوزيلندا ومن ساموا إلى جزيرة أيستر Easter . وصفاتهم الجنسية كالآتى : الشعر مستقيم أو مموج ، والبشرة سمراء بدرجات مختلفة ، والقامة طويلة (١٧٢ سم) ومتوسط النسبة الرأسية ٨٢ ولكن بهم عناصر كثيرة طويلة الرأس وأخرى متوسطة الرأس ، والوجه بيضاوى ، وعظام الخدين بارزة ، والأنف بارز محدّب أحيانا ومستقيم غالباً (كالماورى) .

ويوجد دليل مستمد من نيوزيلندا بل ومن جزيرة أيستر أيضاً على وجود شعب قديم به دماء ميلانيزية قوية ، ولا شك أن الهجرات إلى الجزيرة الأخيرة اخذت طريق جـــزر تونجا Tonga وهرفى Hervey وسوسيتى Society وبامو تو Paumotu وربما جزر ماركيزاس Marquesas أيضا . وربما لا ترجع هذه الدماء الميلانيزية إلى هجرة البابوانى النقى وإنما قد ترجع إلى هجـــرة أحد الشعوب الميلانيزية ، وربما كان على رأس هؤلاء المهاجرين الميلانيزيين طبقة حاكمة ذات بشرة خفيفة اللون . ويتمثل العنصر الميلانيزى إلى حد ما فى جزيرة تونجا .

وتدل المعلومات الحالية على وجود مجموعتين رئيستين من البولينيزيين :

المجموعة الأولى ذات قامة أطول وعود أنحف ورأس أطول وعيون أوسع وأنوف أضيق وشفاه أرق وشعر أكثر استقامة وبشرة أخف لونا من المجموعة الثانية . وكذلك نجـــد رأس المجموعة الأولى متوسطة وشكلهم قريب من شكل القوقازيين . وأما المجموعة الثانية فرأسهم أعرض العرض وتظهر فيهم الصفات

المغولية ، ويمكن أن تعزى المجموعة الأولى إلى أصل نزيوتى قديم طويل الرأس كما تعزى المجموعة الثانية إلى عنصر ماقبل الملايو العريض الرأس ومن الجائز أن هاتين المجموعتين هما سلالة سكان أندونيسيا القدماء .

ويمكن أن يقال أن أقدم المهاجرين ذوى البشرة الخفيفة إلى ميلانيزيا كانوا من إحدى هاتين المجموعتين أو منهما معا ، ومثل هذا يقال عن الهجرات التالية لذلك . ولايعرف بالضبط هل وفدت الهجرتان فى وقت واحد أو وفدتا فى فترتين متباعدتين ، ومن الجائز أن الهجرات من أندونيزيا إلى بولينيزيا حدثت على فترات متباعدة وأن بعض الهجرات مر فى طريقه بميلانيزيا .

وتنتشر المجموعة الأولى فى كل بولينيزيا ولكنها تسود فى الوقت الحالى فى قسمها الجنوبى . وأما المجموعة الثانية لتسود فى بولينيزيا الوسطى والشمالية وهى توجد فى ساموا ولكنها مختلطة فيها اختلاطاً شديداً . وهى المجموعة السائدة فى تونجا مع اختلاط قليل ، وكذلك هى مجموعة ذات أهمية كبيرة فى جزر الماركيزاس ولكنها محصورة إلى حد كبير فى الجزر الشمالية الغربية من هذه المجموعة ، ثم هى فى هاواى هامة أيضاً ولكنها مختلطة بالمجموعة الأولى كما يتبع الماورى فى نيوزيلندا هذه المجموعة .

ولا يمكن أن يعزى عرض الرأس الشديد الموجود فى الوقت الحالى فى بعض جزر بولينيزيا مثل تونجا وساموا وتاهيتى وهواى إلى أى من هاتين المجموعتين ؛ ففى هذه الجهات نجد النسبة الرأسية ٩٠ فما فوق . ولكن يظهر أنه وصل إلى هذه الجهات عنصر شديد عرض الرأس ضيق الوجه والأنف خفيف اللون . فأدخل بعض الصفات الأوروبية فى تركيب البولينزيين ويطلق على هذا العنصر اسم الأرمنى أو الأناضولى . ولايعرف هل حمل هذا العنصر شيئاً من

الحضارة إلى پولينيزيا والجهات المجاورة لها أو أن التأثير كان مقصوراً على الصفات الجسمانية .

وأما ميكرونيزيا فالمعلومات عنها قليلة ولكنها تكفى للقول بأن سكانها خليط من الناحية الجنسية ، ففى غرب هذه المجموعة يسود عرض الرأس وفى شرقها يسود طول الرأس وفى نفس الوقت تتدرج القامة من المتوسطة والقصيرة فى الغرب إلى الطول الشديد فى الشرق ، وكذلك فى الشرق البشرة خفيفة كمعظم البولينيزيين ، والشعر مموج أومستقيم ، بينما فى الغرب نجد بعض الأفراد لهم بشرة سوداء وشعر مجعد وآخرون لهم بشرة خفيفة وشعر مموج أو مستقيم .

الفصل الثاني عشر

أجناس أوروبا

كيف عمرت قارة أوروبا :

للمداخل المؤدية لأوروبا نوعان :

(ا) مداخل بحرية . (ب) مداخل برية :

أما المداخل البحرية فأهمها طريق البحر الأبيض المتوسط الذى منه يمكن دخول أوروبا عن طريق بوغاز جبل طارق ، أو طريق تونس صقلية إيطاليا ، أو طريق جزر بحر إيجه . وقد استخدم هذا الطرق البحرى المعروف بجنس البحر الأبيض المتوسط فعمر الجزء الجنوبى من أوروبا وانتشر إلى بعض الجهات الساحلية الشمالية مثل انجلترا وإيرلندا .

وأما المداخل البرية فمنها : (١) ما يتبع السهول الساحلية ولا يبعد عنها كثيراً نحو داخـــل القارة . ومن الجائز أن جنس البحر الأبيض المتوسط سلك هذا الطريق أيضاً فى تعميره لقارة أوروبا . (٢) ومن المداخل البرية ما يتبع طريق الجبال ، فيمكن انتقال الإنسان من آسيا إلى أوروبا عن طرق هضبة الأناضول ثم إلى مرتفعات البلقان ثم إلى جبال الألب حتى فرنسا ، وقد سلك الجنس الألبى هذا الطريق .

(٣) ومن المداخل البرية ما يتبع طريق السهول الداخلية كالسهل المحصور بين جبال أورال وبحر قزين ، وقد استخدم هذا الطريق فى دخول أوروبا الجنس الشمالى ، وبعد أن استقر السهل الأوروبى الشمالى بعض الوقت سلك طريق بحر

الشمال وبحر البلطيق للوصول إلى انجترا والنرويج وايسلنده :

ويتبين من هذه المقدمة أن الأجناس الرئيسية التى دخلت أوروبا ثلاثة :

(١) جنس البحر الأبيض المتوسط . (٢) الجنس الألبي .

(٣) الجنس الشمالى .

وعدا هذه الأجناس الثلاثة الرئيسية توجد فى أوروبا عناصر مغولية فى جهاتها الشرقية والشمالية . ففى الشرق نجد الكالموك غرب مصب الفلجا ، ثم فى الجهات الشمالية فى اسندناوة نجد اللابس والساموبد وغيرهما ، وهذه كلها جماعات نزحت من آسيا واتخذت فى وصولها إلى أوروبا طريق سهول التندرا .

وكثيراً ما نسمع عن وجود الجنس الآرى فى أوروبا ، ولكن الحقيقة أن هذا تعبير لغوى وليس تعبيراً جنسياً ، وذلك أنه كانت توجد مجموعة من الشعوب تسكن السهول الواقعة بين جبال الكربات وجبال هندوكوش وكانوا يتكلمون لغة واحدة هى اللغة الآرية أو اللغة الهندية الأوروبية ومن الجائز أن هذه الجماعات كانت متشابهة فى مميزاتها الجنسية ولكن حدث بعد ذلك أن أخذ هذا الجنس فى الانتشار شرقا وغربا واندمجت عناصره الجنسية فى كثير من الأجناس الأخرى ففقدت بذلك مميزاتها الجنسية ولم يصبح هناك ما يجوز أن يسمى الجنس الآرى ولكن بينما فقدت هذه العناصر الجنسية مميزاتها الآرية تجدها تحتفظ بلغاتها وتفرضها فرضاً على العناصر الجنسية الأخرى التى اندمجت فيها فانتشرت هذه اللغات فى جهات كثيرة من العالم .

أما المميزات الجنسية للآريين القدماء فمختلف عليها ، وهناك ثلاثة آراء فى هذا الموضوع :

الرأى الأول يقول إنهم كانوا طوال القامة شقر الشعر بيض البشرة زرق العيون يمثلهم فى الوقت الحالى النيوتون أو النورديون .

الرأى الثانى يقول إن الجنس الآرى كان قصير القامة أسمر البشرة عريض الرأس يمثله الكلت والسلاف .

الرأس الثالث يقول : إنهم كانوا عناصر جنسيـــة مختلفة ارتبطت ببعضها برباط لغوى .

ولنذكر كلمة عن كل جنس من الأجناس الثلاثة الرئيسية :

١ — جنس البحر الابيض المتوسط :

بدأ هذا الجنس يدخل أوروبا فى الألف الخامسة قبل الميلاد وطريقة ساحلى (بحرى أو برى) . وصفاته الجنسية كما يأتى : شعر أسود مموج أو مجعد ، بشرة بيضاء . قامة متوسطة حوالى ١٦١ سم ، قوام نحيف ، رأس طويل (٧٣ - ٧٦) وجه ضيق ، أنف مستقيم ضيق ، عيون سوداء ، وكانت منطقة تخصيص هذا الجنس فى العنصر الحجرى الحديث فى غرب البحر الأبيض، انتشرت منه فى هذا العصر فروع نحو الشرق حتى جزر بحر إيجه ، ونحو الشمال إلى غـــرب فرنسا والجزر البريطـانية . وقـــد أطلقت عليه قديماً عدة أسماء هى الليبي والايبيرى والليجورى وتوزيعهفىالوقت الحـاضر قاصر على شبه جزيرة أيبريا وجزرالحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا وجزر اليونان وبقع صغـــيرة من الجزر البريطانية . ويقال إن العنصر الموجود فى سردينيا وكورسيكا هى أنقى عناصر البحر الأبيض المتوسطلأن عزلته منعت اختلاطه بغيره من العناصر منذ العصور الحجرية .وسكان هاتين الجزيرتين يعتبرون أقصر سكان أوروبا .

٢ — الجنس الالبى :

بدأ هـذا الجنس يدخـل أوروبا فى أوائل الألف الثـالثة قبل الميلاد وطريقه جبلى وقد دخل أوروبا من غرب آسيا فى موجات متتابعة عن طريقين :

١ — طريق جبالى البلقان والكربات والألب ومنها تفرع إلى سائر أجزاء أوروبا .

٢ — عن طريق الفتحة بين جبال أورال وبحر قزوين ثم إلى جبال الألب ومنها تتفرع إلى سائر أجزاء أوروبا . وقد سمى الجنس الألپي لأن هذه الجبال كانت المركز الذى انتشر منه إلى سائر أنحـاء أوروبا . ويوضع معظم عراض الرأس الأوروبيين تحت هـــذا الجنس الذى ينسب إلى مجموعة الشعوب المنتشرة فوق الهضاب والجبال من الهيمالايا إلى آسيا الصغرى إلى البلقان ثم أخيراً السلاسل الجبلية بأواسط أوروبا . ويمكن أن نقسم الجنس الألپي إلى مجموعتين :

(ا) الألپي الكرباتى وينتشر هذا الجنس فى هضبة فرنسا الوسطى وجبال السفن والأردن والفوج وجورا وجبال الألب ثم فى تشيكوسلوفاكيا والكربات والبلقان واليونان وروسيا . ويطلق على الشعبة الغربية من هـــذه المجموعة اسم السيفينول Cevenoles أو الأوفيرنـات Auvergnàtes ، وأما الشعبة الشرقية فتسمى الصقالبة ويوجد فى المنطقة الواقعة جنوب بحر بلطيق وشرقه وفى بولندة وأجزاء من روسيا وربما فى سكسونيا وسليزيا أيضاً شعبـــة من هذه المجموعة العريضة الرأس ولكنها شقراء الشعر زوقاء العيون ذات قامة متوسطه (١٦٣سم) وتسمى هذه الشعبة بالجنس الشرقى وربما نتجت من اختلاط الألبيين بالجنس النردى.

وصفات الألپي الكرباتى كما يأتى : لون البشرة اسمر كستنائى ، شعر أسود قامة

متوسطة (١٦٣ سم) قوام عريض ممتلىء . رأس شديد العرض (٨٥ — ٧٨) وجه عريض ، أنف ضيق ، عيون عسلية .

(ب) الألپي الدينارى (يسمى أيضاً الأدرياتى أو اليرى) وينتشر هذا الجنس من مجموعة جبال الليريا حتى الكربات ، ثم فى جبال الألب الدينارية فى غرب شبه جزيرة البلقان وغرب اليونان، وربما وجد هذا الجنس بين الروثينيين أو الروس الصغار .

وصفات الألپي الدنيارى كالآتى : شعر أسمر أو أسود ، قامة طويلة من ١٦٨ إلى ١٧٢ سم ، رأس عريض من ٨٥ إلى ٨٦ ، وجه مستطيل، أنف مستقيم ضيق .

وقد أطلق البعض على هذه العناصر الجنسية العريضة الرأس اسم السكلت وهذه تسمية خاطئة على مثال اسم الجنس الآرى لأن هذه التسمية لغوية فقط تضم عناصر جنسية مختلفة فيها الأشقر طويل الرأس وفيها الأسمر عريض الرأس .

والجنس الألپي هو ثانى الأجناس التى وصلت أوروبا من حيث الترتيب التاريخى وقد اختلط بالجنس السابق له وهو جنس البحر الأبيض وبالجنس اللاحق له وهو الجنس الشمالى . ولما كان عرض الرأس من الصفات التى تسود عند الاختلاط فقد سبب هذا الجنس الألپي كثيراً من عدم التجانس بين السكان فتجد الرأس العريض مع الوجه الطويل فى جهات كثيرة مثل جنوب ألمانيا ووسطها .

٣ — الجنس الشمالى :

ينتشر هذا الجنس فى اسكندناوة والأجزاء الشمالية من ألمانيا وأجزاء من هولندة وبلجيكا ، ثم فى شمال فرنسا والجزر البريطانية . وقد تفرع منه فرع كون الأساس الجنسى لولايات البلطيق الجنوبية الشرقية . ولقد كان لهذا الجنس منطقتا تكوين أو تخصص، المنطقة الأولى فى الاستبس الموجودة فى غرب آسيا وجنوب روسيا بين الفلجا وبحر آرال ، وهذا الجنس الشمالى الأول Proto - nordic

أو أسلاف النورديين . والمنطقة الثانية حول بحر بلطيق . ولم يكتسب الجنس النوردى صفات جديدة فى هذه المنطقة ، وإنما ثبتت صفاته فيها وظهرت بشكل أوضح وهى الصفات التى من أهمها طول القامة مع الشقرة (الصهوبة) .

ويعتبر الجنس الشمالى أحدث جنس دخل أوروبا ، وقد سلك فى دخوله إليها طريق السهول ثم انتشر إلى سائر أجزاء القارة متتبعاً الطرق السهلة أيضاً وطرق مجارى الأنهار كالأودر والألب والرين ، وكان يتحاشى الطرق الجبلية ويتحايل على اختراقها بسلوك الممرات التى بين الجبال . ومثال ذلك أنه سلك الممر الذى يكونه وادى الأديج واستطاع الوصول إلى شمالى ايطاليا . ولما كانت الجبال الإلتوائية الحديثة تعتبر بصفة عامة حاجزاً بين جنوب أوروبا وبين شمالها فإن تأثير الجنس النوردى ضعيف فى جنوب القارة . ويسميه البعض تيوتونى ولكن هذه تسمية لغوية لا جنسية .

وصفات الجنس الشمالى كالآتى شعر مموج ، أو مجعد ولون الشعر أصفر أو أسمر فاتح أو أحمر ، وبشرة بيضاء مشربة بحمرة ، وقامة طويلة ١٧٣سم ، ورأس طويل قريب من المتوسط (٧٦ - ٧٩) وأنف بارز ضيق مستقيم ، وذقن بارزة وعيون زرقاء أو رمادية .

ونلاحظ على أوروبا من حيث اللغة أنها تنقسم إلى ثلاث مجموعات لغوية كبرى :

١ ــ اللغة اللاتينية ويتكلم بها سكان ايطاليا وأسبانيا وفرنسا وكورسيكا وسردينيا .

٢ ــ اللغة السلافية يتكلم بها سكان شرق أوروبا مثل سكان روسيا وبولندة وبلغاريا ورومانيا .

٣ — اللغة التيوتونية ويتكلم بها سكان ألمانيا والسويد والنرويج والدانمرك وهولندة والنصف الشمالى من بلجيكا .

وهناك فى أوروبا أقليات لغوية مثل اللغة الكلتية وهذه موجودة فى أطراف اسكتلندة وويلز وإيرلندة ثم فى بريتنى بشمال فرنسا .

فرنسا :

لفرنسا من ناحية الدراسة الجنسية أهمية خاصة للعوامل الآتية :

١ — أنها تقع فى الطرف الغربى لقارة أوروبا فهى تعتبر المحطة الأخيرة التى تصل إليها الأجناس التى دخلت القارة .

٢ — أنها ذات أبواب ثلاثة تستطيع أن تستقبل بها الأجناس الرئيسية الثلاثة متى دخلت القارة ، الباب الأول السهل الشمالى المطل على بحر الشمالى وقد دخلها من هذا الطريق الجنس الشمالى ، والباب الثانى جبال الألب الفرنسية فى شرقها وقد دخلها عن هذا الطريق الجنس الألبى ، والباب الثالث ساحلها المطل على البحر الأبيض المتوسط فى الجنوب وقد دخلها عن هذا الطريق جنس البحر الأبيض المتوسط .

٣ — فرنسا متعددة مظاهر السطح ففيها الأحواض الثلاثة المعروفة ، حوض باريز وحوض أكويتين وحوض الساءون والرون ، وفيها مناطق المرتفعات الثلاثة المعروفة ، المرتفعات الشمالية التى تشمل جبال الألب الفرنسية وجبال جورا ثم المرتفعات الوسطى وتشمل هضبة فرنسا الوسطى ثم المرتفعات الشمالية الغربية فى بريتنى ونورمندى . ومعنى هذا أن كل جنس من الأجناس الثلاثة يستطيع أن يجد البيئة التى تلائمه .

٤ — فرنسا متعددة أنواع المناخ ، ففيها مناخ غرب أوروبا فى الشمال ومناخ وسط أوروبا فى الوسط ، ثم مناخ البحر الأبيض فى الجنوب . ومعنى هذا أن كل جنس من الأجناس الثلاثة يستطيع أن يجد المناخ الذى يلائمه .

٥ — بفرنسا مناطق عزلة كثيرة يستطيع أن يلجأ إليها المغلوب على أمره ، ويستطيع الباحث فى مناطق العزلة هذه أن يجد أنقى العناصر الجنسية . ومناطق العزلة بفرنسا أربعة هى : منطقة الألب الفرنسية فى سافوا Saovoie ثم منطقة الافرن Auver gue فى هضبة فرنسا الوسطى (المسيف سنترال) ثم منطقةبرتنى Britiany التى اعتبرت منطقة عزلة لوقوعها فى أقصى الطرف الغربى للقارة ، تحيط بها المياه من ثلاث جهات . ومنطقة العزلة الرابعة بفرنسا هى المثلث المحصور بين الجزء الأدنى من نهر الجارون وبين شاطىء خليج بسكاى وهى منطقة فقيرة كثيرة المستنقعات .

لكل هذه العوامل يعتبر العلماء فرنسا خلاصة قارة أوروبامن الناحيةالجنسية فقد دخلها جميع أجناس عصر ماقبل التاريخ القادمة من أفريقيا وانتشرت خلالها ، كما دخلها السولوتريون القادمون من الشرق من وسط أوروبا ، وكذلك دخلتها موجات الجنس الألبى القديمة والحديثة ذات القامة المتوسطة ، ثم غزاها النرديون وقد تركت كل هذه الأجناس آثارها الجنسية فى السكان الحاليين .

وإذا نظرنا إلى الصفات الجسمانية للسكان الحاليين نلاحظ أنه من حيث شكل الرأس يوجد نطاق من ذوى الرؤوس المتوسطة يشغل الشريط الخصب الممتد من سهول الفلاندرز حتى بردو وذلك نتيجة لغزوات النرديين العديدة التى وصلت إلى هذا الشريط براً وبحراً ، وأما طول الرأس الموجـــود فى جنوب مقاطعة شارنت Charente وشمال مقاطعة الدردنى فيعزى إلى أجناس العصر الحجرى القديم الأعلى وأما أصحاب الرأس المتوسط على الشريط الساحلى المطل على البحر الأبيض المتوسط فيعزى إلى جنس البحر الأبيض .

والمناطق التى توجد بها أعرض الرؤوس بفرنسا هى مناطق العزلة (الأردن والفوج وسافوى والمسيف سنترال) ، وهؤلاء من الجنس الألبى السكريانى

ومن حيث لون البشرة تتحقق الشقرة فى المناطق المطلة على القنال الانجليزى ثم فى مناطق الحدود الشمالية الشرقية . وأما مناطق السمرة فعلى طول ساحل البحر الأبيض وفى البرانس والأوفرن Auvergne .

ومن حيث القامة نجد متوسطها بفرنسا ١٦٨ سم ، ويمكن القول أن الخط الممتد من ليون إلى أورليان إلى شبه جزيرة كونتين Cotenti يفصل بين منطقتين من حيث طول القامة، منطقة شمالية شرقية تزيد فيها القامة عن ١٦٥سم، ومنطقة جنوبية غربية تقل فيها القامة عن ١٦٥ سم . ونجد القامة فى شمال برتنى أقل من ١٦٢سم فى أجزاء من هوت فيين وكوريز Hante Vienne , Correzè بالهضبة الوسطى تهبط إلى ١٦١ سم ، وأما سهول برجنديا الخصبه فهى منطقة عراض الرأس من العمالقة إذ أنهم ورثوا قامتهم عن البرجنديين المنحدرين من النورديين الذين وصلوا هذا المكان فى القرن الخامس الميلادى . وبالاضافة إلى قامتهم نجدهم مازالوا شقرانسبياً ولكن الألبي الجنس الكرباتى — المحيط بهم من كل مكان تقريباً — عرض رأسهم بالاختلاط .

ويوجد فى منطقة كوت دونور Cote ed Noad فى برتنى عراض الرأس بجانب العنصر النردى الطويل الرأس ويوجد الرأس ويوجد فى لانيون Lannionc فى الطرف الشمال من برتنى عنصر يعزى إلى جنس كرومانيون.ويوجد St'Brieu فى الطرف الشمالى من برتنى أيضاً عنصر يعزى إلى الباحثين عن المعادن .

الباسك . يوجد فى الطرف الجنوبى الغربى لفرنسا على حدود البرانس الشمالية شعب يسمى الباسك ظل منذ القدم محافظا على لغته وعاداته،وأهم صفاته الجسمانية عرض الرأس وطول الوجه ،ويتكلم لغة خاصة تسمى الباسك وهى لغة قريبة من لغة المجيار فهى مشتقة من اللغات الآسيوية . ويظهر أن هذا العنصر نفسه من

أصل سيوى . على أن الآراء مختلفة فى أصل هذه الأقلية الجنسية ، فيقول البعض إنهم منحدرون من جنس كرومانيون، ولكن يرد على هذا أن جنس كرومانيون طويل الرأس عريض الوجه أى عكس الباسك.وقيل بأن أصلهم من جنس البحر الأبيض اختلط بجنس مغولى كالابس ، ومما يستلفت النظر أن عنصر الباسك طويل القامة رغم فقر بيئته مما يدل على أن هـذا الطول صفة جنسية ثابتة ورثها عن أصله القديم .

شبه جزيرة أيبريا :

التاريخ الجنسى . سكن الإنسان القديم Paleancthropic Man شبه جزيرة أيبريا فى نهاية العصر الموستيرى : ثم حلت محله عدة أجناس من الإنسان الحديث Neanthropic Mrn وفدت من أفريقيا أهمها. (ا) البرانس Pyrenean الذى شغل كل شمال أسبانيا وما زالت بقاياه موجودة ولا سيما عند شعب الباسك . (ب) الأوروبى الأفريقى (كوم كابل) Eurafrican الذى نقل الحضارة القفصية من شمال أفريقيا إلى أيبريا وهى الحضارة التى تحولت إلى الاوريجناسية ، ومازالت توجد بقايا شبيهة بإنسان كوم كابل واسعة الانتشار فى أسبانيا والبرتغال . (حـ) أقدم جماجم عريضة كشفت فى شبه الجزيرة ترجع للعصر الحجرى الأوسط (الحضارة التردنوازية) وقد وجدت فى بلدة موجم Mugem على نهر التاجة . (د) أقام جنس البحر الأبيض المتوسط حضارة العصرى الحديث فى جنوب شرق أسبانيا . (هـ) قد استقر الباحثون عن المعادن فى عدة مناطق شاطئية من شبه الجزيرة . (و) أما غزوة الكلتيين لشبه الجزيرة فقد جاءت من الشمال فى القرن السادس قبل الميلاد وعبرت منطقة الباسك ثم استقرت فى الهضبة الوسطى. (ز) ثم وفدت شعبة أخرى من الأيبيريين (البحر الأبيض) من الجنوب وانتشرت بالتدريج فوق شبه الجزيرة كلها ما عدا منطقة الباسك حتى إذا كان

القرن الثالث استولوا على أسبانيا الوسطى وتكون نتيجة لذلك الخليط السكلتى الأيبـــيرى .

أما القرطاجنيون والفينوقيون فمع أنهم استقروا فى بعض أجزاء شبه الجزيرة إلا أنهم يتركوا بها أثراً جنسياً . وأما غزوات المسلمين وهم العرب والبربر فى سنة ٨١٠م فقد تركت أثرها فى الجنوب . ولكن هذه العناصر الجنسية الجديدة كانت شديدة الشبه بالسكان الأصليين .

ومن حيث النسبة الرأسية فى شبه جزيرة أيبريا نجدها متوسط (حوالى ٧٧ فأقل) مع ميل نحو الطول فى الشرق ونحو العرض فى الشمال والجنوب (٥ر٧٨) ، كما أن سكان السواحل الشرقية أخف بشرة من سكان الوسط . وأما البرتغاليون فتسودهم السمرة . ومن حيث لون الشعر والعيون نجد السواد هو الغالب فى أسبانيا والبرتغال ، وتظهر بعض الشقرة نتيجة لتأثير النرديين فى القسم الشمالى من شبه الجزيرة بالقرب من البرانس . ومثال ذلك بعض أجزاء من غاليسيا Galicia فى الطرف الشمالى الغربى من أسبانيا . وتوجد أطول قامة بشبه الجزيرة على الساحل الشرقى (حوالى ١٦٥ سم) وفى منطقة الباسك ثم فى معظم البرتغال . وأما فى وفى وسط أسبانيا فالقامة ١٦٢ سم فأقل .

إيطاليا :

يمكن أن يعتبر نهر التيبر فاصلا بين قسمين مختلفين من الناحية الجنسية ، القسم الواقع فى جنوبه مضافاً إليه الجزر ، والقسم الواقع فى شماله .

فأما جنوب إيطاليا فيسوده فى الوقت الحالى جنس البحر الأبيض المتوسط ويتلخص تاريخه الجنسى فيما يلى :

(ا) وصل الجنسى الأوروبى الأفريقى إلى هـذا الجزء فى العصر الحجرى القديم الأعلى .

(ب) هاجرت فى العصر الحجرى الحديث جماعة من أفريقيا فسكنت صقلية وكالابريا ويعرف هؤلاء الصقليين Siculians .

(ج) جاء إلى شرق أبوليا غزاة الليربون والألبانيون فى فترات مختلفة .

(د) جاء إلى جنوب إيطاليا بعد ذلك مستعمرون يونانيون .

فأما (ا) و (ب) فهم من جنس البحر الأبيض المعروف وهو الجنس السائد حالياً فى جنـــوب إيطاليا . وأما (ج) فهم عراض الرأس ولذلك سببوا عرض الرأس فى الجهات التى استقروا فيها . وأما (د) فمع أنهم كانوا فى الغالب من جنس البحر الأبيض المتوسط الطويل الرأس إلا أن مجيئهم من الشرق يبعث على الاحتمال بأنهم جلبوا معهم الدم الأوروبى الأسيوى الذى يظهر آثاره فى عرض الرأس الموجود فى سالونو Salerno وشك أن جنـــوب إيطاليا تعرض للهجرات التى تعرض لها حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة مثل الباحثين عن المعادن وغيرهم .

وأما شمال إطاليا : فيسود فى الوقت الحالى الجنس الألپى ، ويتخلص تاريخه الجنسى فيما يأتى :

(ا) سكن شمال إيطاليا فى العصر الحجرى الحديث عنصر وافد من أسبانيا ، ويطلق على هذا العنصر اسم الليجوريين أو الليجوريين الأيبيريين Ibero-Ligurians

(ب) فى أوائل عصر البرونز أى سنه ٣٠٠٠ ق.م جاء إلى شمال إيطاليا سكان البحيرات السويسريون Lake - Dwellers واستقروا فى لمبارديا .

(ج) فى منتصف عصر البرونز أى سنة ١٧٠٠ ق.م جاء من أقليم الدانوب عنصر ألپى آخر يسمى أسلاف الإيطاليين Proto Italiei واستقر فى مقاطعة أميليا الواقعة جنوب البو .

(د) فى أوائل عصر الحديد أى سنة ١٠٠٠ ق.م جاء من أقليم الدانوب أيضاً عنصر ألبي آخر يسمى الأمبريان Umbrians تحت قيادة نردية . وقد جلب هذا العنصر معه شمالى إيطاليا حضارة عصر الحديد المسماة هلشتات Hılstaat حيث ازدهرت بهذا المكان وسميت باسم محل هو حضارة Villanova .

(ه) كان مجيء الأمبريان شمال إيطاليا سبباً فى دفع أسلاف الإيطاليين نحو الجنوب فدخلوا الاتيوم Latium وأسسوا روما سنة ٧٥٣ ق.م وفى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد نشأت فى مقاطعة تروريا Etruria حضارة ممتازة بأبهة شرقية تنسب كما يقول هيرودوت إلى عنصر وفد من ليديا بآسيا الصغرى. ويسمى هذا العنصر الاتروسكان Etruscans .

(ز) فى أواخر القرن الخامس الميلاد جاء القوط Ostrogoths بقيادة تيودوريك واستولوا على إيطالية، وقد تأثر شمال إيطاليا فى بعض صفاته الجنسية بهذه الغزوات النردية ، فإن سكان شمال إيطاليا أكثر سكان هذه الدولة شقرة وأطولهم قامة ، ولكن رءوسهم عريضة. وتظهر هذه الصفات بوضوح على طول الحدود الشمالية وفى الوديان الجبلية البعيدة ومعنى هذا أن شمال إيطاليا حافظ على صفاته الألبيه فى معظم الحالات كما يدل على ذلك شكل الرأس .

اليونان :

اليونانيون الحاليون من أصل شديد الاختلاط. ويظهر أن تأثير الشعبية الشرقية من جنس البحر الأبيض المتوسط اقتصر على الجزر والوديان الساحلية اليونانيه وعلى وديان جنوب شبه جزيرة البلقان ، وذلك لأنه خلال العصر الحجرى الحديث كان الجنس الأوروبى الاسيوى Eurasiatic العريض الرأس يسكن كل الجزء الداخلى من اليونان وما يليه شمالا . بل وصل تأثيرة إلى السواحل الجنوبية وربما إلى الجزر أيضاً . ثم فى عصر البرونز حوالى القرنين ١٦ و ١٥ ق.م تخللت

الحضارة المينوية من كريت إلى وديان اليونان الجنوبية حيث قضت على شعوبها التى كانت مازالت فى حالة بدائية وحيث تطورت إلى الحضارة المسينية Mycenean وأما أرض اليونان الأصلية فقد سيطر عليها الآخيون Achaens الطوال القامة الذين وفدوا إلى هذه الجهات من سهول الدانوب وأثروا فيها جنسيا فيما عدا بعض الجهات الداخلية وهؤلاء الآخيون ينتسبون إلى أسلاف النورديين وكانت شقرتهم واضحة بالنسبة لسكان جنوب اليونان السمر ولكنهم كانوا متأثرين بدم الجنس الاوروبى الآسيوى (الألبى) وثقافته. ثم فى أواخر القرن ١٠ وخلال القرن ١١ ق . م حدثت على اليونان عدة غارات من الشمال والشمال الغربى قام بها عراض الرأس أيضاً ، ولكن ربما كانوا تحت قيادة نردية ، فاكتسحوا الحضارة الآخية وأقاموا حضارة جديدة تمتاز بصنع الأوانى الفخارية الهندسية الشكل وبالنظام الاسبرطى المعروف ، وقد أطلق على هؤلاء فيما بعد اسم الدوريين فى أسبرطه وكورنث وأرجوس . ثم منذ ابتداء العصر المسيحى تعاقبت غزوات الأجانب على اليونان ، ففى القرن السادس غزاها الأفار والصقالبة ، ثم ابتداء من أواخر القرن السابع نجد الصقالبة يدخلونها دخولا سلميا وينتشرون بها ثم ابتداء من القرن الثالث عشر نجد الألبانيين يتوغلون فيها ، وأخير غزاها الترك سنة ١٦٤٠ .

والصفات الجنسية لليونان الحاليين هى الرس المتوسطة بصفة عامة (ولكن الرأس الضيقة تسود تساليا وأتيكا ثم فى الجزر) واليونانيون سمر ونسبة شقر الشعر فيهم أقل من ١٠ ٪ ونسبة أصحاب العيون الزرقاء أو الرمادية حوالى ٢٥ ٪ وربما نتج هذا من تأثير الألبانيين ، وأما طول القامة فحوالى ١٦٢ سم .

ونفهم مما تقدم أن التاريخ الجنسى لليونان معقد ، وأن الطبقة الاولى من السكان كانت من جنس البحر الابيض غالباً . ومن الجائز أن الحضارة المينوية

قامت على أكتاف الجنس الأوروبى الآسيوى القادم من آسيا الصغرى (الجنس الألبي) ثم قضى على هـــذه الحضارة الميسينيون والآخيون ، ثم بعد ذلك جاء الدوريون ، وأما الفينيقيون والأتراك لم يتركوا أثراً جنسياً يذكر فى اليونان .

شبه جزيرة البلقان :

تتبع شبه جزيرة البلقان وسط القارة الأوروبية من الناحية الطبيعية أى من ناحية السطح والمناخ والنبات ، ولذلك تتبع هـــذا الأقليم من الناحية الجنسية كذلك . ويضم إقليم البلقان يوجوسلافيا وألبانيا وبلغاريا ، وصلة هذه الوحدات بالقارة الأوروبية أقوى من صلة كل من إيطاليا وأيبريا بهذه القارة . ولذلك نجد أنه بينما يدخل جنس البحر الأبيض المتوسط فى التكوين الجنسى لكل من إيطاليا وأيبريا فإنه لايدخل فى التكوين الجنسى لألبانيا أو يوجوسلافيا أو بلغاريا رغم أن ألبانيا ويوجوسلافيا تطلان على بحر الأدرياتيك إحدى شعب البحر الأبيض المتوسط ورغم أن بلغاريا تطل على البحر الأسود إحدى شعب هذا البحر أيضاً . وهذا مثل واضح لأثر الظروف الطبيعية فى التكوين الجنسى لاى وحدة جغرافية . فإن هذه الوحدات الثلاث تشترك مع وسط أوروبا فى ظاهرة الفقر فى المنافذ البحرية لأن الجبال تقف سداً بينها وبين البحر الذى تطل عليه ، كما تشترك هذه الوحدات الثلاث مع وسط أوروبا فى التضاريس والمناخ .

ويعتبر الاليريون المحدثون — سواء أكانوا من الصرب أو الكروات أو الالبانيين — وحدة جنسية متشابهة فيما بينها ومختلفة عما عداها من جماعات الجنس الألبي الأخرى ، حتى أن دنكر اعتبرهم شعبة جنسية قائمة بذاتها أطلق عليها اسم الجنس الادرياتى نسبة إلى بحر الادوياتيك أو الجنس الدينارى نسبة إلى جبال الالب الدينارية التى تخترق إقليمهم من الشمال إلى الجنوب ويتصف هؤلاء الاليريون بصفتين جسمانيتين واضحتين ، فأولاهم يضمون بعضاً من أطول

الناس قامة فى العالم أجمع وثانياً يعتبر هؤلاء الألليريون من أعرض الناس رأساً فى العالم .

ولكن بينما تتضح هاتان الصفتان — طول القامة وعرض الرأس — عند سكان الهرسك وشمال ألبانيا نجدهما أقل درجة فى اتجاه نهر الساف ونهر الدانوب وفى اتجاه سهول تساليا وأبيروس ، إذ أن الاختلاط فى هذه الجهات غير من المميزات الجنسية الأصلية .

وكذلك تضعف هاتان الصفتان فى الاتجـاه الشرقى عند البلغاريين فى مقدونيا وترافيا . كما تضعف صفة طول القامة وحدها فى الاتجاه الجنوبى الغربى كما هو عند الشكوبيتار (الألبانيين) والدلماشيين فى ألبانيا .

وفيما يلى تفصيل المميزات الجنسية فى شبه جزيرة البلقان :

يوجوسلافيا

يعتبر الشعب الصربى الكرواتى من الصقالبة الجنوبيين . وينسبون للجنس الأليرى بصفة خاصة . ويعتبر الصرب الذين يسكنون صربيا أكثر الصقالبة الجنوبيين نقاء ولو أن أشكال الصقالية متعددة تشمل ما يأتى :

١ — الشكل الأساسى أصحاب سعر كستنائى ، وغامق ، وعيون رمادية غامقة، وبشرة سمراء وتزداد سمرة مع ازدياد طول القامة . وقامة هؤلاء ٥ر١٧٢ سم .

٢ — شكل يتصف بشقرة الشعر وزرقة العين ، وله قامة حوالى ٥ر١٨١ سم ورأس شديد العرض (٨٦ — ٨٧) .

٣ — شكل أقصر قامة ربما يمثل الموجة الأولى من هجرات الجنس الاوروبى الآسيوى أى موجة الجنس الالبى الكرباتى ، ويكثر هذا الشكل فى مناطق الغابات

وأما الأشكال الطويلة القامة فتوجد فى مناطق المراعى فى الجبال وتنسب إلى الجنس الالبى الألليرى .

وأما سكان الهرسك Herzegovinians فقامتهم ١٧٥ سم . وأما سكان البوسنة فقامتهم ١٧٢سم وهم أقل بياضا من سكان الهرسك ومن الألبانيين أيضاً. وأما سكان الجبل الأسود Montenegrins فهم يشبهون الألبانيين ولو أنهم يتكلمون لغة صربية .

البانيا

ويبلغ طول القامة عند الألبانيين (الشكوبيتار — Shkupetar) وعند الدلماشيين ١٦٨ سم فقط ، ولكنهم يحتفظون بعرض الرأس الشديد المعروف عند سائر الأليريين ، كما أن بعض الألبانيين أخف فى لون البشرة من سكان البوسنة. ورغم ذلك يعتبر الألبانيون إلى حد ما الخلف المباشر للأليريين القدماء الذين كانوا يتكلمون لغة « ما قبل الآريين » .

بلغاريا

يعتبر البلغاريون من أصل أجرى Ugrian والاجريون عنصر أسيوى ينتمى للجنس القطبي القديم الذى كان يسكن منطقة التندرا بشمال آسيا Palaercticus ويسمى أيضاً الجنس الاسيوى القديم Palaeo - Asiatic وقد هاجرت هذه الشعبة الأوجرية نحو الغرب إلى أن استقرت على نهر الفاجا ثم عبرت الدانوب حوالى منتصف القرن السابع الميلادى واستقرت فى منطقة بلغاريا الحالية بعد أن أخضعت سكانها من الصقالبة ، ولكنهم تصقلوا منذ هذا الوقت تماما .

والنسبة الرأسية ٧٨ على الساحل و ٨٥ فى الغرب ولهم وجه عريض مسطح وحوالى ٦٣ ٪ منهم لهم شعر أسود وعيون سوداء ، وحوالى ٦٠ ٪ منهم لهم

بشرة سمراء . وقامة هـذا النوع حـوالى ١٧٠ سم ، وأما قامة الذين تميل بشرتهم البياض فحوالى ١٦٩ سم ، وعودهم ممتلىء .

رومنيا :

يدعى الرومانيون أنهم منحدرون من الرومان الذين أسسوا ولاية داشيا فى عهد الامبراطور تراجان، إذ أرسل هذا الامبراطور سنة ١٠٦ م ٢٤٠ ألف مستعمر أقاموا فى هذه الولاية . ولـكن الصحيح أن الرومان منحدرون من الجنس الألبى الألليرى (الدينارى) مع أقلية من العناصر الجنسية الأخرى دخلت فى تركيبهم والنسبة الرأسية تتراوح عندهم من ٧٩ على الساحل الشرقى إلى ٨٥ فى الغرب وترتفع فى بعض الأماكن إلى ٨٧,٨ والصفات الجنسية للرومانى القديم هى قامة متوسطة ١٦٥ ، رأس عريضة ، شعر أسود ، عيون سوداء ، أنف مستقيم . وأما الأقلية ذات الرأس الطويل فربما هى أعقاب سكان السهوب فى العصور الحجرية . وأطول سكان رومانيا قامة يوجد فى الوديان العليا وفى الـكربات الجنوبية ، ويوجد عنصر طويل جداً فى السهول الغربية . ويتكلم الرومانيون لغة لاتينية حديثا ، وسكان ولاشيا متوسط الحجم ولهم عود نحيف وبشرة بيضاء وشعر أسمر .

المجر :

يتصف المجيـار بالسمرة الخفيفة . ويجتمع للمجيـارى العيون الزرقاء مع الشعر الـكستنائى. والنسبة الرأسية حوالى ٨٤، وطول القامة يتراوح بين ١٦٢ و ١٦٥ سم ولغة المجيار أو جرية متأثره باللغة التركية. ثم جاء بعد المجيار الهنغاريون Hungars الذين وفدوا من غرب آسيـا ووصلوا الدانوب فى أواخر القرن التـاسع الميلادى فاتحدوا مع المجيار وغيرهم من القبائل التركية وسيطروا على الصقالية وأسسوا مملـكة المجر التى استوعبت كل ما تبقى من أمبراطوريتى الهون والآذار الذين سبقوهم إلى هذا

المكان (الهون وصلوا من آسيا فى القرن الخامس والآفار فى منتصف القرن السادس) ويحتمل أن يكون الجزء الأكبر من المجريين الحاليين من أصل ألبي كرباتى مع بعض التأثير النردى .

النمسا

توجد بالنمسا عناصر شقراء صرفة وعناصر سمراء صرفة ، فأما العنصر الأشقر فيزداد عدد أفراده من الشرق للغرب ، وأما العنصر الأسمر فيتناقص من الجنوب للشمال . ونجد متوسط طول القامة فى النمسا العليا والسفلى وفى سالزبرج Salzburg ١٦٨ سم ، ونجد البشرة بيضاء فى الغالب ، والشعر أسمر والعين غير داكنة ، ونجد فى النمسا السفلى أصحاب الشعر الأشقر أطول قامة ، وأما فى المقاطعتين الباقيتين فنجدهم أقصر من أصحاب الشعر الأسمر . ويسود فى النمسا كلها عرض الرأس (٨٣) وقد تصل إلى (٨٩) . وتوجد الرأس المتوسطة فى مناطق قليلة متفرقة ، ويتناقص عددهم من الشرق للغرب ولكنه تزيد مرة أخرى فى سالسبرج .

ويوجد فى جنوب النمسا عنصر ألبى عريض الرأس قامته بين ١٦٨ سم و ١٧٢ سم ، والنسبة الرأسية عنده من ٨١ إلى ٨٦ والشعر أسمر والأنف مستقيم ضيق .

ونجد فى التيرول النمساوى عرض الرأس يزداد كلما زدنا فى خط العرض ، ونجد الوديان الواسعة المفتوحة للشمال تلقى تأثيرات نردية من الشمال بينما الوديان المفتوحة للجنوب تلقى تأثيرات من جنس البحر الأبيض . ويوجد فى مناطق كثيرة بالنمسا عدم تناسب ؛ فالوجه الطويل موجود مع الرأس العريض .

تشيكوسلوفاكيا :

التاريخ الجنسى : وجدت فى مورافيا بقايا الحصان والماموث التى كان يصطادها الموراريون مدفونة فى طبقات اللويس التى رسبت فى نهاية فترة مناخية فارية

جائفة،ويرجع عهد السولتريين إلى فترة لاحقة بآخر دور من أدوار تقهقر الجليد. وقد وجد هيكل فى بريدموست Predmost طويل جداً (١٧٧ سم) وأما باقى الهيا كل فذات قامة متعدلة. والجماجم التى كشفت فى برون وبركس Brunn و Brux كانت طويلة (٦٦-٦٩) وبها بعض الصفات البدائية ، ويمكن اعتبار هذه المجموعة أول موجة من موجات الشعوب التى ستعرف فيما بعد باسم الجنس النردى .

ثم فى العصر الحجرى الحديث يمكن التمييز بين عنصرين مختلفين فى بوهيميا :

١ — عنصر ذى رأس بين المتوسط والعريض، الوجه عريض والأنف بين المتوسط والوسع، عظام الخدين بارزة والفك يميل للبروز والقامه قصيرة ولكنها قريبة من المتوسط ١٥٩ سم .

٢ — عنصر شديد طوال الرأس وذو وجه طويل وأنف ضيق ومتوسط القامة . غير بارز الفكين .

أما العنصر الأول فجاء من الشرق والجنوب الشرقى ويمكن أن يعتبر فرعا من الجنس الأوروبى الآسيوى. أما العنصر الثانى فيمكن أن يكون من سلالة الإنسان السولترى أى أنه يعزى للنرديين ، ويجوز أنه طعم بهجرات من سكان السهوب الغربية (النرديين) التى أغارت على العنصر الأول وهزمتــــه وأكثرت من نسبة طوال الرأس فى هذه المنطقة .

وفى نهاية العصر الحجرى الحديث كان شعب البيكر موجوداً فى مورافيا . وقد استمر وجودهم خلال عصر البرونز رغم غارات النرديين . وحوالى القرن ٨ق.م كان السكان من النرد والألبين وشعوب أخرى خليطة،وكذلك كان حالهم فى فترة عصر الحديد المعروفة باسم لاتين La Tene .

وفى الفترة بين ٥٠٠ — ٢٠٠ ق . م أصبح الصقالبية فجأة عديدين . وآخر هجرة صقلبية كان من ضمنها الشلك حدثت فى القرن الخامس الميلادى :

الصفات الجسمانية للتشيكوسلوفاكى الحالى هى رأس عريض ، لون بشرة بين الأشقر والأسمر مع زيادة السمرة ، والقامة ١٦٩ سم .

ألمانيا :

تنقسم ألمانيا من الناحيـــة الطبيعية إلى قسمـــين كبيرين : السهول الشمالية والمرتفعات الجنوبية فأما السهول فقد سكنها قديماً أسلاف النورديين الذين قدموا من جنوب روسيا والذين أطلق عليهم فى هـــذا الموطن الجديد اسم النورديين . وأما المرتفعات الجنوبية فقد شغلها باستمرار الجنس الأوروبى الآسيوى .

ويرى بعض العلماء الألمان أن جنس كرومانيون يدخل فى تركيب الشعب الألمانى ولاسيما فى تركيب السكسون.ثم خلال العصر الحجرى الحديث كان يشغل جهات ألمانيا الحالية عدة شعوب يمكن أن ندمجها تحت اسم النورديين وكانت هذه الشعوب تختلف عن بعضها فى الحضارة وفى شكل الرأس بدرجة قليلة وقد هاجرت شعوب من هذه المجموعة إلى شـــبه جزيرة اسكندناوه حينما أصبح المناخ ملائماً بعد الفترة الجليدية الأخيرة ، ثم حدث أن ساءت الحالة المناخية فى اسكندناوة فى أواخر عصر البرونز (٣٥٠ ق . م) فعادت جماعات عديدة منهم إلى ألمانيا كالقوط واللبارد ، والبرجنـــديين ، والشعب النردى لا يحب الاستقرار وهذه الطبيعية فيه منذ العصر الحجرى الحديث ، ولذلك تجول فى جهات كثيرة وفرض نفسه على أقاربه وجيرانه .

وبعد الهجرات التى حدثت بين القرنين السادس والتاسع الميلادى نجد بعض الصقالبة الذين ينتمون إلى جنس الفستولا يشغلون المنطقة الواقعة شرق نهر الألب كما تدل على ذلك أسماء المـــدن الحديثة . ورغم استعادة الألمان لهذه المنطقة نجد العنصر الصقلبي مازال واضحاً فى السكان ولا سيما فى بروسيا الشرقية .

وأما الشعوب الألبية فرغم أنها تلزم غالباً المناطق الجبلية إلا أنه يظهر أنهم انتشروا فى غرب ألمانيا منذ العصر الحجرى الحديث واستمر توغلهم فى القسم الشمالى من ألمانيا مدة طويلة ، وعلى هذا يندر أن نجد جزءاً من ألمانيا لم يتأثر جنسياً بالألبين (الصقالبة وغيرهم) .

والأجزاء التى نجد فيها الجنس النردى أكثر نقاوة هى سلزويج ، هلشتين ومكلنبرج mecklenburg والأقليم الشمالية غرب نهر الألب .

سويسرا :

دلت الآثار على أن سكان سويسرا فى أوائل العصر الحجرى الحديث يسود بينهم أصحاب الرءوس العريضة ويقل أصحاب الرءوس المتوسطة . ولكن بعد ذلك أخذ أصحاب الرءوس العريضة فى القلة وأخذ أصحاب الرءس المتوسطة فى الزدياة ، ثم أخذ أصحاب الرءوس الطويلة فى الظهور بكثرة فى أواخر هذا العصر ، ويظهر أن العنصر الذى كان يسكن هذه المنطقة فى أوائل العصر الحجرى الحديث هو العنصر الألپي مما أدى إلى سيادة عرض الرأس . وفى عصر البرونز قل العنصر العريض الرأس عن ذى قبل ، كما وجد التجانس بين شكل الرأس وشكل الوجه . وينسب طوال الرأس فى العصر الحجرى الحديث إلى جنس البحر المتوسط. الأبيض ولكن النرديين أخذوا أيضاً فى دخول سويسرا من الشمال فأثروا فى القسم الشمالى منها،ولازال أثرهم قوياً فى الوقت الحاضر ، كما توجد منطقة وسطى شقراء، ويسود فى الوقت الحالى عرض الرأس مما يدل على أن الجنس الألپي استعاد سلطانه فى هذه الجهات .

هنولندة :

يعتبر الهولنديون عادة من أصل ألمانى كما تدل على ذلك لغتهم . ولكن رغم نجد بها أثر عنصرين جنسيين :

١ — عنصر عريض الرأس والوجه،أسمر العين قصير القامة يسود فى جنوب غرب الرين وفى زيلندا وبرابانت الشمالية North Brabant ولمبورج Limbura، ويعزى هذا الجنس الألپي ، وهو عنصر قديم،وتشتهر زيلندا بصفة خاصة بوجود عنصر سديد عرض الراس (٧٨) .

١ — عنصر الثانى فى هنولندة عريض الوجه والرأس كذلك — وهذا يوجد فى الشمال الشرقى — ولكن العين زرقاء أو رمادية والقامة أقصر ، ويعزى هذا للجنس الفستولى،ولكن فى الوقت الحاضر نجد متوسط النسبة الرأسية فى هولندة كلها ٧٩،٥ ، ولذلك يمكن أن يقال أن سكانها بصفة عامة نرديون .

بلجيكا :

تنقسم بلجيكا إلى قسمين طبيعيين : قسم شمـــالى منخفض ، وآخر جنوبى مرتفع ، يفصل بينهما خط يسير من الشرق الغرب جنوب برسل وشمال لييج .

ويسكن الفلنك فى القسم الشمالى ويتكلمون لغة مشتقة من الهولندية ، ويعتبرون — إذا قورنوا بالجنوب — من الشقر ذوى رءوس أطول (٧٩) وقامة أطول . وأما القسم الجنوبى فيسكنه الوالون walloons وهم يتكلمون لغه فرنسية عتيقة ورأسهم عريض (٨٢) . وتوجد أطول رءوس فى لمبرج (٧٨) ، وأعرضها فى لكسبرج (٨٣) . ويوجـــد فى مقاطعة هينوت Hainault أكثر البلجيكيين سمرة وأقصرز قامة . وسكان لكسبرج متحدون فى صفاتهم الجنسية وينسبون للشعبة الغربية من الجنس الألپي .

الجزر البريطانية :

تأثر التاريخ الجنسى للجزر البريطانية بعاملين جغرافيين .

العامل الأول موقعها الجزرى فإن هذا الفاصل البحرى الضيق بين دوفر وكاليه

أثر تأثيراً كبيراً فى التاريخ الجنسى للجزر البريطانية لا يقل عن تأثيره فى أمنها السياسى وغناها المادى . ولقد منع هذا الفاصل البحرى كثيراً من الغزوات من الوصول إلى بريطانيا فإذا ما تمكنت غزوة من الوصول إليها تعذرت عليها العودة وبذلك تستقر بالجزر وتندمج فى سكانها . غير أنه ينبغى أن يلاحظ أن عزلة الجزر البريطانية لم تكن تامـــة بحيث تؤدى إلى ركودها الجنسى بل كان لضيق الفاصل البحرى أثر كبير فى وصـــول كثير من الغزوات التى جددت من دماء البريطانيين بين حين وآخر . وفيما يختص بايرلندا يلاحظ أن كثيراً من الغزوات التى وصلت الجزيرة الكبيرة (انجلترا واسكتلندا) لم تستطيع عبور البحر الايرلندى والوصول إلى إيرلندة وهنا يفسر ضآلة العنصر التيوتونى بهذه الجزيرة .

وهذا الاختلاف الجنسى بين الجزيرتين شبيه بما بينهما من اختلاف فى الحالتين النباتية والحيوانية لجزيرة ايرلنده لاتضم جميع الأنواع النباتية والحيوانية الموجودة فى جزيرة انجلترا واسكتلندة ، وكذلك لا يوجد بين سكان ايرلندة ذلك التفاوت نجده بين سكان المرتفعات والمنخفضات فى اسكتلندة ، أو بين الإنجليز فى كل من كورنوال ويوركشير .

العامل الثانى تضاريس الجـــزر البريطانية وهنا يظهر الفرق مرة أخرى بين جزيرة انجلترا واسكتلندة وبين جزيرة إيرلنـــدة حيث تمل السهول فى الجزيرة الأولى وتكثر فى الجزيرة الثانية . ثم إن سلسلة المرتفعات فى الجزيرة تقع إلى الغرب ومعنى هذا أنها تطل على القارة بجبهة من السهول الغنية تمتد من كنت Kent فى الجنوب إلى كيثنس Caithness فى الشمال بينما تعطى ظهرها لجزيرة ايرلندة ، وتمتد على طول هـــذا الظهر السلسلة الفقرية المؤلفة من جبال كامبريان وبنين وجرامبيان .

ونستطيع أن نلخص التاريخ الجنسى لبريطانيا فيما يلى :

١ — تدخل دماء انسان جريما لدى ذى الصفات الزنجية فى تكوين البريطانيين الحاليين ، كما يدخل فى تركيبهم إنسان كوم كابل وتدل على ذلك البقايا التى كشفت فى جهات مختلفة من ويلز . ويتصف كل من الجنسين برأس شديد الطول بارز القذال وعين عميقة وأنف تميل للإتساع.ويمتاز انسان جريما لدى بالشعور المجعد وبروز الفم وبالقامة القصيرة وعدم بروز عظام الحاجبين .وأما انسان كوم كابل فيمتاز بشعر مموج (بين المجعد والمرسل) وعظام الحاجبيين قوية والفم أقل بروزا وهيكل الجسم على العموم أكبر ، فالنسبة الرأسية ٧١ — ٧٤ والقامة ٥ر١٦٧ سم .

٢ — يقال أن جمجمة انسان جالى هل المفرطة فى الطول تتبع العصر الشيلى، ولكن كثيرين يرفضون هذا الرأى ويعتبرون صاحب هذه الجمجمة من الإنسان الحديث ويعبرونه معاصرا للانسان السولترى المكتشفة جماجمه فى برون Brunn فى تشيكوسلوفاكيا وفى غيرها من الجهات ، ويعتبرون أصحاب الجماجم المكتشفة بانجلترا والتى وضعت اسم River - bed type من هذا الجنس . والصفات الجنسية لاصحاب هذه المجموعه من الجماجم هى نسبة رأسية ٧٠ — ٧٥ وقامة من ١٦٣ إلى ٥ر١٦٤ سم وتوضع هذه المجموعة فى بدء العصر الحجرى القديم الأعلى ولا يمكن نسبتها لا إلى أسلاف جنس البحر المتوسط أو أسلاف الجنس النردى . ويمكن اعتباراصحاب المقابر المستطيلة الذين عاشوا فى انجلترا فى العصر الحجرى الحديث من سلالة هؤلاء . وصفات المقابر المستطيلة كالآتى :

متوسط النسبة الرأسية ٧٢ ، عظام الحواجب واضحة ، والوجه قصير وواسع بالنسبة للجماجم النردية ، الأنف ضيق والقامة حوالى ١٦٧ ويشبه هذا الجنس أصحاب المبانى الميجاليثية بجزيرة أران Arran فى جنوب غرب اسكتلنده.وقد قيل بأن أصحاب هذه المبانى هاجروا إلى تلك المنطقة من فرنسا عن طريق الشمال

الانجليزى إلى الساحل الشرقى أو عن طريق قنالى سنت جورج إلى ايرلندة ثم إلى الساحل الغربى لانجلترا محترفين منطقة أصحاب المقابر الطويلة إلى غرب اسكتلندة وجزر أران وهبريدة .

٣ — من المسلم به أن الذين أدخلوا حضارة العصر الحجرى الحديث إلى بريطانيا هم أفراد الشعبة الغربية من جنس البحر الأبيض المتوسط ، وهى الشعبة المسماة بالجنس الأيبيرى التى انتشرت فوق جميع أجزاء هاماً فى سكانها الحاليين . ولكن الأيبيريين عند ما وصلوا انجلترا لم يجدوها خالية بل كان قد سبقهم إليها عناصر جنسية أخرى من جنوب أوروبا ، وربما من وسطها أيضاً . وعلى هذا لايجوز أن نقول أن جميع سكان انجلترا السابقين للهجرة السكلتية pre Celtic كانوا من جنس البحر الأبيض المتوسط الصرف . وتوجد بقايا هذه العناصر السابقة للبحر الأبيض فى غرب انجلترا وفى اسكتلنده بصفة عامة ثم ايرلنده .

٤ — وصلت بريطانيا العناصر العريضة الرأس الآتية .

فى أواخر العصر الحجرى الحديث وصلت إلى انجلترا حضارة جديدة على يد الباحثين عن المعادن وهم من جنس عريض الرأس يوجد ممثلا حالياً فى كورنوال وديفن وويلز وساحل ويكلو Wicklow وأرجيل Argyll انفرنس Inverness وفى جزر شتلند وفى هبريدة الخارجية وغرب كيثنس Caithness وشرق سذرلند Sntherland وقد تكون هذا الجنس فى شرق البحر الأبيض المتوسط وهو عريض الرأس (٨٢ — ٨٤) ويظهر أنه كان حلقة الاتصال فى عصر البرونزيين البحر الأبيض وبين غرب بريطانيا وشرق ايرلنده .

٥ — نزحت إلى انجلترا فى بدء عصر المعادن شعبة أخرى من عراض الرأس تتصف بقصر القامة (١٦٠ سم) والنسبة الرأسية من ٨٤ إلى ٨٥، وعظام الحاجبين

بارزة قليلا والوجه قصير وعريض،وكانو يدفنون موتاهم فى مقابر قصيرة توجد فى الوقت الحالى فى غرب اسكتلندة وشمالها وفى جهات أخرى ، وينسب هذا الجنس إلى الألپي الكرباتى بصفة عامة ، وقد بدأ ظهور هذا فى أوروبا فى العصر الحجرى الأوسط وربما كان هذا العنصر شعبة من هجرات شعب البيكر Beaker .

٦ — غزت الساحل الشرقى لبريطانيا شعبة ثالثة من عراض الرأس تتصف بطول القامة (١٧٠ سم) وبرأس عريض (٨٠ — ٨٤) وجبهة متراجعة ووجه طويل وعظام الحاجبين بارزة وأنف متوسط الاتساع . وتدل البقايا الحية لهؤلاء على أنهم كانوا شقرا بعض الشيء ، وقد أدخل هذا الجنس إلى انجلترا نوعا خاصاً من أقداح الشرب ولذلك سمى شعب الأقـــداح Beaksrfolkوربما كان هؤلاء نتيجة اختلاط جنس ألپي نردى . وكانوا نستخـــدمون آلات برونزية ولذلك أطلق عليهم أيضاً شعب البرونز ، كما أطلق عليهم أيضاً أصحاب المقابر المستديرة لأنهم كانوا يدفنون موتوهم فى مقابر مستـــديرة . وربما وصلوا انجلترا حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م وانتهت هجرات حوالى سنة ١٥٠٠ ق . ، وكانوا رعاة كما كانوا يعرفون القمح،وتنتشر أقداح هؤلاء ومقابرهم على طول الساحل الشرقى لاسكتلندة، كما تمتد جنوباً على طول الهمبر إلى بيك، كما تركوا آثاراً على التلال الطباشيرية فى أيست أنجليا East Auglia ونورث دونز North Downs ويظهر أن شعبة منهم وصلت همبشير ودورست وسومرست ، ويمـــكن التعرف على خلفهم فى الوقت الحالى فى أجزاء عديدة من الجزر البريطانية ، مثل يوركشير ونرثمبرلاند وكمبرلاند وفى شمال ايرلندة وشرقها ، وبعض،وبعض عائلات انجلترا الراقيةمن سلالة هؤلاء .

٧ — مضت على بريطانيا بعد غزواة البيكر فترة طويلةقضتهافى تقدم هادىء سلمى ، ثم فى أواخر عصر البرونز تعرضت سواحلها الشرقية والجنوبيةلغزوات

قامت بها موجات شعوب وسط أوروبا التى تتكلم اللغة الكلتية، وقد جلبت معها هذه الغزوات سيوفا برونزية على شكل ورق الشجر وعناصر حضارية جديدة أخرى ، ويمكن القول أن أفراد هذه الغزوات كانوا من الجنس الألپي تحت قيادة نردية .

٨ — قبل سنة ٩٠٠٠ ق.م كانت مساكن البحيرات فى سويسرا قد دمرت وطرد سكانها نتيجة إغارة مجموعة من الشعوب الكلتية الأخرى المسلحة بسيوف حديدية طويلة، فاضطر سكان البحيرات — وكانت أسلحتهم أحدث من السيوف البرونزية ذات شكل ورق الشجر — إلى الهجرة شمالا وغربا ، فوصل عدد كبير منهم إلى مصب التيمس وتوغلوا فيه حتى ردنج .

٩ — يعزى انتشار استعمال الحديد فى بريطانيا سنة ٤٥٠ ق . م إلى وصول عنصر جنسى طويل القامة يدين متوسط الرأس أحمر الشعر، يتكلم لغة كلتية شبيهه بلغة أصحاب السيوف الحديدية الذين دمروا مساكن البحيرات السويسرية . وقد وصل هذا العنصر الجنسى عن طريق شمالى بلاد الغال وجلب معه حضارة لاتين La Tene ، ويظهر أن هذا العنصر نشأ فى وسط أوروبا من اختلاط الألبيين بالنرديين ثم ازدادت النسبة النردية فيه بمرور الزمن .

١٠ — تتابعت أسراب من الشعوب الكلتية لغة فطنت على معظم أجزاء الجزر البريطانية ، وانتقلت حضارة هاتين La Tene إلى إيرلندا وينتسب إلى هذه المجموعة الجماعة المسماة البريطانيون القدماء Ancient Ancitone الذين كانوا يربون الحصان ويستخدمون العجلات الحربية والذين سببوا متاعب عظيمة للرومان أثناء احتلالهم انجلترا .

١١ — وأما الاحتلال الرومانى لبريطانيا فلم يغير فى الغالب من حالتها الجنسية ولو أن مستعمرات الوندال والبرجديين أحدثت بعض التأثير المحلى .

١٢ — وحتى قبل أن يغادر الرومان بريطانيا كانت الشعوب النردية والشعوب الخليطة من النرد والألبين مازالت تفد فى جماعات صغـــيرة إليها ، فوصل إليها جماعات الإنجليز Angles الذين يسمون السكسون Saxons فى الفترة بين سنة ٤٤٩ إلى سنة ٥٨٠ ، وانتشروا وأجزاء فوق انجلترا كلها ، ووصلوا حتى جرامبيان وأما شمال اسكتلندة وأجزاء من ويلز وديفون ، وكورنوال فلم يحتلها الرومان ولا الانجلوسكسون .

١٣ — وقد وصلت أولى السفن الدنمركية إلى انجلترا سنة ٧٨٧ وبعد ذلك بسنوات قليلة وصل الدنمركيون فى جماعات مع غيرهم من الشماليين Norsemen إلى الساحل الشرقى لانجلترا وثبتوا أقدامهم فيها بعد ذلك بمائة عام ، وأهم مناطق استيطانهم كانت فى نورفلك Norfolk ونرثهمبشير ويوركشير وخصـــوصاً فى لنكولنشير Lincolnshire .

١٤ — ثم فى أواخر القرن التاسع وصل النرويجيون إلى السواحل الشمالية والغربية من اسكتلندة وجزرها وإلى لا نكشير ومنطقة البحيرات وجزيرة مان وفى بضع نقط حول ايرلنده . وقـــد نتج عن غزوة النرمانيين Norman إقامة أستقراطية نرونجية ولكنهم لم يغيروا الشكل الجنسى فى انجلترا أو اسكتلندة .

١٥ — ثم حدثت بعد ذلك هجرات عديدة لم تؤثر إلا تأثيرا محليا ، ومثال ذلك تسرب الفرنسيين إلى جنـــوب انجلترا وشرقها ولاسيما فى المدن ، وهجرة الفلمنك التيوتون دما ولغة بأعداد كبيرة . ولا شك أن أهم الهجرات التى وصلت بريطانيا منـــذ القرن ١٣ كانت من فرنسا وهولنده وبلجيكا ومعظمها نتج عن الاضطهادات الدينية . ثم نزح إلى بريطانيا الهوجـــونوت من جنوب فرنسا ، فكانوا عنصراً جـــديداً حقيقه ولكنهم امتازوا بأثرهم الثقافى أكثر من أثرهم الجنسى .

١٦ — وأخيراً وصل إلى بريطانيا بعض الألمان العراض الرأس الذين فروا من Palatinata بسبب اضطهاد لويس ١٤ وقد نشأوا فى موطنهم الأصلى من خليط .

والمهاجرون إلى بريطانيا خلال القرنين الأخيرتن معظمهم من الألمان ، والألمان اليهود بصفة خاصة ، وقد استقروا فى بعض المدن الكبرى ، ويقال إن النسبة الرأسية ارتفعت فى مدينـــة لندن فى المائة سنة الأخيرة من ٧٧ إلى ٧٩ ، وربما كان هذا نتيجة هجرة عناصر صقلية إلى هذه المدينة . ولاشك أن هجرات الاسكتلنديين والولش والإيرلنديين إلى انجلترا غـــيرت من الصفات الجنسية الإنجليزية السكسونية .

ويمكن أن نلخص الصفات الجسمانية للبريطانيين الحاليين فيما يلى :

شكل الرأس : نجـــد الرأس المتوسطة هى الســـائدة فى معظم أنحاء الجزر البريطانية إذ تتراوح النسبة الرأسية بين ٧٧ و ٧٩ على أنه توجد بعض الرءوس شديدة الطول تصل النسبة فيها النسبة ٦٦ كما توجد بعض رءوس شديدة العرض تصل النسبة فيها ٧٧ .

طول القامة : توجد أقصر قامة عند البريطانيين فى ويلز والمقاطعات المتطرفة مثل جلوستر وسومرست،على طول وادى التيمس ثم إلى حدمافى أقليم فن fen وتتراوح القامة فى هذه الجهات بين ١٦٧ ، ١٧٠ سم . بينما تبلغ طول القـامة فى كيثنس Caithness فى أقصى شمال شرقى اسكتلندة ومعظم إقليم الميدلاندوسفولك وكل المقاطعات الجنوبية ما عدا كورنوال بين ١٧٠ ، ١٧٢ سم. ثم فى جهات بريطانيا الأخرى تصل القامة إلى ١٧٢٫٥ سم أو أكثر .

لون البشرة : تنقسم بريطانيا من حيث لون البشرة إلى قسمين شرقى وغربى ،

فأما القسم الشرقى فأكثر بياضا من القسم الغربى . وقد لوحـــظ أن طول القامة يجتمع مع البياض وإن قصر القامة يجتمع مع السمرة ، ولـكن توجد استثناءات لهـذه القـاعدة ، فنى أنفرس وأرجيل باسكتلندة نجد أشـد سكان اسكتلندة سمرة وأطوالهم قامة فى نفس الوقت إذ تتراح قامتهم بين ١٧٣ و ١٧٥ سم .

وفيما يختص بإيرلندا نجد أن أهم صفات سكانها العين الخفيفة مع الشعر الأسود، ويزداد الشقر على الساحل الشرقى ، ويزداد السمر على الساحل الغربى . أماالرأس فطويل (النسبة ٧٥) ، وعظام الخدين بارزة ، والقامة ١٧٠ سم . ويمكن القول أن تركيب سكان إيرلندة شبيه بتركيب سكان غرب بريطانيا .

شبة جزيرة اسكندناوة :

تكون الدانمراك النهايه الشمالية الغربية لطريق الهجرات الممتد بين غاليسيا والدانمرك على طول نطاق اللويس . ولهذا كانت الدانمرك مكونه من شعوب خليطة،فجاء إليها فى العصر الحجرى الأوسط قوم عرائض الرأس جلبوا معهم حضارة مجلموز التى انتشرت فى الدانمرك وغرب بحر البلطيق بصفة عامة ، ويقال إن هؤلاء الأقوام جاءوا من الجنوب الشرقى . وكذلك جاءها أصحاب الحضارة السكمبينية فى نفس العصر الحجرى الأوسط وهم الذين تركوا مخلفاتهم على طول سواحل الدانمرك ، وكانوا طوال القامة والرأس . ثم جاء النرديون واختلطوا مع بقايا الشعوب السابقة وعبروا الدانمراك إلى السويد ، وربما يرجـــع وجود الآثار الميجاليثية بالدانمرك إلى وصول عنصر الباحثين عن المعادن إلى الجزر الدانمركية . وقد نتج عن هذا دخول عنصر عريض الرأس إلى القسم الجنوبى من اسكندناوة فى عصر ما قبل التاريخ . وكذلك كان شعب البيكر Beaker العريض الرأس يعيشون فى الدانمرك فى أواخر العصر الحجرى الحديث ، ومن الجائز أن هؤلاء أيضاً عبروا الجزر إلى جنوب اسكندناوة .

وبعد سنة ٥٠٠ ق م . سكن شعب نردى الفيوردات النرويجية وافتتح عصر الفرصنة الذى استمر مدة ١٥٠٠ سنة .

ويعتبر سكان اسكندناوة عادة — فيما عدا اللاب — من أنقى عناصر الجنس الشمالى، ومع ذلك فالأدلة موجودة على وجود عناصر غير شمالية فى هذه الجهات .

— ومثال ذلك بقايا كرومانيون فى النرويج بصفة عامة — ثم فى غرب النرويج وجنوبها الغربى يوجد شعب عريض الرأس والوجه ، وأكثر سمرة واقصر قامة من سائر النرويجيين ، وينسب هذا الشعب إلى الجنس الألپى أو إلى الباحثين عن المعادن . وأما العنصر النردى النقى فممثل فى وديان النرويج الداخلية وفى مديريات السويد الوسطى . وأما فى مديريات السويد الشمالية فنتيجة لتأثير اللاب فى الشمال الغربى والفن على طول السواحل نجد عرض الرأس يسود كما تسود السمرة وقصر القامة . وتتكرر نفس هذه الصفات فى جنوب السويد ولكن هذا نتيجة لتأثير جنس آخر . وصفات السويدى النردى هى قامة طويلة ١٧٠ سم ورأس طويل (٧٥) والشقرة ، وأنف قصير مستقيم . وكذلك فى الدانمرك نجد القامة الطويلة مصحوبة بالعين الزرقاء والشعر الخفيف ثم تقصر القامة عند أصحاب الشعر الأسود والعين السوداء.ومتوسط القامة عندهم ١٦٩،ويقال إن قامتهم ازدادت فى الخمسين سنة الأخيرة حوالى ٤ سم ومثل هذا حدث فى السويد والنرويج .

بولندة وروسيا :

تشغل بولندة وروسيا حوالى نصف مساحة القارة الأوروبية ويسودهما معا العنصر الصقلبي بحالة يتعذر معها دراسة كل منهما على حدة إذ أنه لاتوجد بين الدولتين حدود طبيعية من أى نوع ، لا جغرافية ولا جنسية ولا لغوية .

بولندة :

رغم أن العنصر الصقلبي يسود پولندة كما ذكرنا إلا أنها مع ذلك لاتؤلف وحدة

من الناحية اللغوية أو من الناحية الجنسية ، فإن البولونيين أنفسهم الذين يشغلون معظم النصف الغربى من بولندة تتخللهم جماعات ألمانية عديدة كأنها جزر وسط بحر بولونى، وأما القسم الشرقى من بولندة فيقتسمه الأوكرانيون فى الجنوب والروس البيض فى الشمالى مع أقلية ليتوانية تعيش فى منطقة فلنا . ويعيش البولونيون فى القسم الأوكرانى من بولندة فى جماعات متفرقة هى عبارة عن أقليات مبعثرة وسط أغلبية أوكرانيه . وتعتبر بولندة وعلى الأخص منطقة غاليسيا الموطن الأكبر ليهود أوروبا .

وتعتبر بولندة من الناحية الجغرافية شبيهة بألمانيا إذ يشغل معظمها سهل خصب عظيم الاتساع ، ولا يتصل هذا السهل ببحر البلطيق إلا عن طريق الممر البولندى ، وفيما عدا ذلك تفصل بينه وبين هذا البحر بروسيا الشرقية وليتوانيا وترتفع الأرض تدريجيا نحو الجنوب حتى تصل إلى جبال الكربات التى تؤلف حدوداً طبيعية لبولندة من هذه الناحية على مثال ما تفعل جبال الألب فى جنوب ألمانيا ، وهذا وجه شبه آخر بين بولندة وألمانيا فكلاهما يطل على البحر بسهل منخفض وكلاهما يحده من الجنوب جبال عالية . وفى حين أن الانتقال من بروسيا الغربية إلى بولندة إلى روسيا تدريجى من الناحية الجغرافية ثم هو كذلك من الناحية الجنسية ، نجد الانتقال الجنسى من الشمال إلى الجنوب فى بولندة انتقالا فجائياً ، فبينما نجد البولونيين يشغلون السهل فى الشمال نجد الألبيين يشغلون مرتفعات الكربات فى الجنوب .

ونستطيع أن نلخص التاريخ الجنسى لبولندة فيما يلى :

فى العصر الحجرى الحديث كان يسودها أسلاف الصقالبة Por Slav أى الجنس الفستيولى ، وهو يكون حتى الآن أساس السكان ليس فى بولندة فقط ، وإنما يمتد سلطانه حتى جنوب الكربات . وهو عريض الرأس (٨٢) قصير القامة

طويل الوجه ، أسمر البشرة . وفى أواخر هذا العصر ظهر فى سيليزيا عنصر طويل الرأس ولكنه قليل العدد فى بولندة فى الوقت الحاضر ، وهؤلاء كانوا قصار القامة ، شقر الشعر ، وهو منتشر الآن عند الاستونين ، ويوجد متفرقا شمال الفستيولا . وخلال عصر البرونز كان العنصر العريض الرأس هو السائد ، وربما كانوا ينتمون إلى شعب البيكر ، وبعد عصر البرونز نجد طوال الرأس قلة شديدة فى بولندة، ثم جاء بعد العناصر السابقة عنصر ألبي أكثر فى عرض الرأس وذو قامة متوسطة وعيون رمادية وشعر أسود وأنف بارز ، وهؤلاء يوجدون فى غاليسيا حيث تتصل بولندة بتشيكوسلوفاكيا . ويوجد فى شرق غاليسيا فى الوقت الحاضر عنصر الليرى أسمر طويل ، عريض الرأس . وأخيراً جاء إلى بولندة هجرات نردية عديدة من ساحل البلطيق .

وبناء على دراسات علماء الإنسان البولونيين المعاصرين أمكن التمييز بين عدة نماذج جنسية فى بولندة أهمها النرديون والدانوبيون واللاب والألبيون والديناريون والارمن والبحر الابيض ويقال كون Coon إنه يمكن إهمال النماذج الثلاثة الأخيرة لضآلة عددها ضآلة تصل إلى حد العدم . فأما النرديون فيكثرون فى الممر البولندى وعلى الحدود الألمانية وحول المجارى المائية الرئيسية وعلى طول الطرق البرية الرئيسية من الشرق للغرب، وهم يكونون الطبقة العليا من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية فى الجهات التى يوجدون فيها . وأما الدانوبيون فيتصفون بطول القامة وشقرة الشعر والبشرة مع العين الرمادية ، وتفسر شقرتهم بأثر النرديين فيهم وبأن شرق أوروبا وحوض الدانوب كانا فى فترة من الوقت مسرحا لغزوات هـذا الجنس الأشقر . وأما اللاب فعنصر مغولى دخل ما يعرف الآن ببولندة من الشمال ، وأما الألبيون فيؤلفون العنصر السائد فى منطقة الكربات ثم ينتشرون كأفراد ، كما ينتشر تأثيرهم فى جهات بولندة الأخرى شمال الكربات .

وهكذا لاتعتبر بولندةوحدة جنسية كما أنها لا تكون وحدة فىاللغة أو الدين، والسبب فى هذا هو أنها ليست وحدة من الناحية الجغرافية بمعنى أنها ليست ذات حدود طبيعية واضحه يمكن أن تتخذ حدوداً سياسية بينها وبين جيرانها لا سيما فى الشرق والغرب . وليس أدل على ذلك من أن التأثير اللغوى الغالب بها هو التأثير الشرقى بينهما التأثير الدينى الغالب بها هو التأثير الغربى . وبذلك يمكن اعتبارها منطقة انتقال بين الشرق والغرب فى النواحى الجنسية والاجتماعية والثقافة . ورغم أن نهرى الدنيبر والفستو لا يجريان اتجاهين متضادين بالقرب منالحدود المصطنعة بين بولندة وروسيا — فإنه لا يوجد مرتفع واضح بينهما يمكن اعتباره خط تقسيم مياه بين النهرين . ومن أجل هذا عانت بولندة فى الماضى أزمات سياسية كبيرة فاقتسمتها الدول الكبرى فيما بينها أكثر من مرة ، ثم هى تعانى نفس الأزمات فى الوقت الحاضر ، وهى تشبه فى هذه الناحية إقليم الألزاس واللورين .

روسيا :

تبدأ روسيا من الناحية الطبيعية من جبال الكربات وتشغل السهل الفسيح الذى يمتد من هذه الجبال شمالا وشرقا حتى المحيط المتجمد الشمالى وجبال أورال . ولا يتخلل هذا السهل الفسيح مرتفعات تستحق الذكر ، فإن تلال والدى وهى أعلى مرتفعات هذا السهل لا يتعدى ارتفاعها ألف قدم وهى أقرب إلى شكل الهضبة منها إلى شكل الجبل ، وتجوس خلال هذا السهل أنهار عديدة يعتبر بعضها من أطول أنهار العالم . ولايوجد تنوع فى شكل السطح الروسى فالمناظر خلاله تكرر باستمرار وهو فى هذا يختلف عنأقاليم أوروبا الأخرى. وهذا هو الوصف العام للبيئة الجغرافية التى يعيش فيها الشعب الروسى ، سطح مستوى يغرى الغزاة باختراقه ، وأنهار عديدة تيسر لهم الانتقال خلاله ، والعوائق الطبيعية الوحيدة فى

البيئة الروسية هى الغابات والمستنقعات . ولقد كان لاستواء السطح أثره فى اتحاد الصفات الجسمانية فى أنحاء روسيا ولا سيما شكل الرأس .

ويمكن تقسيم روسيا من الناحية النباتية إلى ثلاثة نطاقات تسير من الغرب الشرق . (١) النطاق الشمالى يمتد شمال خط يسير من كييف إلى كازان وهو نطاق الغابات وتربته خفيفة ، على أن هذه الغابات تقل فى الكثافة كلما اتجهنا شمالا إلى أن تتلاشى وتحل محلها نباتات التندر القطبية (٢) النطاق الأوسط ويمتد جنوب الخط السابق وهو نطاق الحشائش الغنية وهو أكثر النطاقات الروسية استواء سطح ففى مساحة تبلغ قدر مساحة فرنسا سبع مرات لا نجد تلا يصل ارتفاعه إلى ٣٠٠ قدماً ، ويمتاز هذا النطاق بالخصوبة الشديدة . (٣) النطاق الجنوبى ويقع جنوب النطاق السابق وفى أقصى جنوب روسيا فى نفس الوقت ، وهو نطاق الحشائش الفقيرة والصحارى المالحة التى تتركز حول بحر قزوين وتمتد شمال شبه جزيرة القرم إلى أن تنتهى غرباً فى حوض الدنيبر الأدنى .

ويرى ربلى Ripley أن الفاصل بين أوروبا وآسيا من الناحية الجنسية ليس هو الفاصل الطبيعى الممثل فى جبال أورال ونهر أورال وإنما هو خط يمتد من الدون إلى انحناء الفلجا فعلى أحد جانبي هـــذا الخط نجد حياة الحضر ممثلة فى الأجناس الأوروبية وأما على الجانب الآخر فنجد حياة البداوة ممثلة فى الأجناس الآسيوية .

وينقسم الروس الحقيقيون إلى ثلاث مجموعات :

١ ـــ الروس العظام ويحتلون قلب روسيا وشمالها وشرقها وهؤلاء هم المسكوف نسبة إلى مدينة مسكو حاضرتهم الرئيسية .

٢ — الروس الصغار ويسكنون أوكرانيا أو روسيا الصغرى وحاضرتهم الرئيسية كييف .

٣ — الروس البيض وهؤلاء يمتدون من شمال بولندة ويكونون نطاقاً حول لتوانيا .

وفيما عدا الروس تضم روسيا أقليات لتوانية وبولونية وفنية ويهودية ومغولية وعدداً قليلا من الألمان .

وتدل الآثار المستمدة من المقابر فى النطاقين الأوسط والجنوبى على وجود جنس طويل الرأس كان يسكن هذه المنطقة فى العصر الحجرى الحديث ثم قل عدده فى عصر البرونز ثم اختفى بعد ذلك . ويغلب الظن على أن هذا الجنس الطويل الرأس كان ينتشر فى كل أجزاء روسيا القديمة ولكن بقاياه لا توجد الآن إلا فى منطقة لاتفيا ، وأما فى الجهات الأخرى فقد طغت عليه موجات عراض الرأس التى وفدت إلى روسيا من الشرق والغرب . ولقد كان هذا الجنس الطويل الرأس يدفن موتاه فى مقابر بعد دهنهم بصبغة حمراء . ويظهر أن موجة من الجفاف اضطرته إلى مغادرة روسيا فى النصف الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد فاتجه بعضهم نحو الجنوب الغربى واتجه آخرون نحو الشمال إلى حوض الفلجا حيث اختلطوا مع الأجريان Ugrians الذين كانوا قد وفدوا فى نفس الوقت من غرب آسيا إلى روسيا فأوجدوا بها الجماعات المعروفة باسم الفن الحمر مثال البرمياك Permiak والفوتياك Votyak ولكن الجزء الأكبر طوال الرأس استمر فى سيره غربا فوق نطاق اللويس والشبان الرملية خلال ألمانيا والدانمرك حتى انتهى به المطاف جزيرة اسكنديناوة .

وفى نفس الوقت كانت قبائل الأوجريان التى تسكن الفلجا تتقـــدم تقدما

متخطيا نحو الشمال الغربي حتى إذا كان منتصف عصر البرونز كان بعضهم قد استقر على شواطىء البحيرات الفنية واتصلوا هناك بالنرديين الذين كانوا يستقرون فى ذلك الوقت على شاطىء بحر بلطيق .

ثم جاءت موجة أسيوية أخرى عريضة الرأس قصيرة القامة تتألف من الشعبين القطبين اللاب والساموييد وكلاهما من الجنس الأوجرى أيضا . كما وفد القرغيز واستقروا شمال بحر قزوين وغربه وكذلك جاء التتار وسكنوا جهات الفلجا فى شرق روسيا وسكنوا القرم فى الجنوب، وهؤلاء التتار من مجموعة الشعوب التركية وكذلك جاء الكالموك واستقروا بين الدون والفلجا وهؤلاء من الجنس المغولى ، وهذه الموجات كلها وافدة من الشرق .

وأما موجات عراض الرأس التى وفدت إلى روسيا من الغرب فقوامها الصقالبة من الألبيين الكرواتيين . ومن هؤلاء الأكرانيون والروس الصغار جنوب مستنقعات بربت وهم يمتازون بعرض الرأس والبشرة السمراء والقامة الطويلة نسبيا (١٦٨ سم) وقد توغل هؤلاء الصقالبة فى إقليم الغابات أيضا متجهين نحو الشرق والشمال الشرقى ، وكان ذلك حوالى القرن التاسع وهؤلاء الروس العظام من ذوى الوجه المربع والتقاطيع الواضحة والشعر الأحمر والعيون السمراء .

ويعزى انتشار الشعر الأحمر فى روسيا إلى تأثير الصقالبة وبذلك يدل على مدى انتشارهم العظيم فى جهات هـــذا الإقليم . ويقال إن كلمة روسيا معناها « الأحمر » وكذلك كلمة الروثينيين وهم سكان غاليسيا معناها الحمر ، وهذه وتلك تسمية مشتقة من لون الشعر ، وينتمى الروثينيون والروس إلى مجموعة جنسية واحدة . ويعتبر الروس البيض أنقى الجماعات الصقلبية وأقلهم عدداً وهم يستقرون

فى الغرب ولم يختلطوا إلا بالليتوانيين. وأما الروس العظام فيعتبرون أكبر المجموعات الصقلبية عدداً وأقصاهم بعداً نحو الشرق وأحدثهم استقراراً فى شرق أوروبا . وهؤلاء الروس العظام هم الذين دفعوا قبائل الفنيين نحو الشمال على طول أنهار روسيا الوسطى والشرقية حتى البحر الأبيض الروسى مستوعبين بعضهم ولافظين البعض الآخر . كما أن هؤلاء الروس العظام هم الذين وقفوا سداً منيعاً بمساعدة الأوكرانيين أمام غزوات المغول والتتار ، بل يكتفوا بصد الغزو المغولى التتارى وإنما اندفعوا هم شرقاً فنشروا العنصر الصقلبي فى قلب مناطق المغول والتتار فى وسط آسيا .

وبينما نجد التأثير الجنسى القديم الذى تعرض له الروس البيض ناجماً عن البالتيين (سكان بحر بلطيق) والذى تعرض له الأكرانيون ناجماً عن الإيرانيين نجد أن التأثير الجنسى الذى تعرض له الروس العظام مشتق من الفنيين فى الشمال ومن الإيرانيين فى الجنوب .

دويلات بحر بلطيق :

تشمل هذه الدويلات لاتفيا وليتوانيا واستونيا وفنلندا ، فأما سكان لاتفيا وليتوانيا واستونيا فيمكن اعتبارهم بقايا سلالة نردية قديمة . أو مرحلة انتقال بين أسلاف النرديين من ناحية ، وبين النرديين من الناحية الأخرى وهم يتكلمون أقدم اللغات الآرية ، كما أنهم آخر شعب أوروبى اعتنق المسيحية . وهم متوسطو الطول حيث يسود التأثير الصقلبي ولكن قامتهم تطول فى الجهات التى يقل فيها هذا التأثير .

ويسودهم الشقرة والشعر الأحمر والعيون الزرقاء ، وبينما نجد الرأس متوسطة نجد الوجه طويلا ويمكن اعتبار هذا عدم تجانس إلى حد ما. ولاشك أنهم كانوا

يمتازون بالرأس الطويلة ، ثم ازداد عرض الرأس حتى تحول إلى حالة التوسط بسبب التأثير الصقلبي .

وأما فنلندة فتختلف الحالة الجنسية فيها فى الجنوب عنها فى الشمال . ففى الجنوب نجد التأثير النردى هو السائد، ويسكن السويديون مناطق آلاند والأراضى الساحلية والجزر . وأما فى الشمال فالتأثير المغولى هو السائد حيث كان عنصر اللاب منتشراً فى هذا الإقليم ، ولكن عددهم قل الآن وأصبحوا مقصورين على الأطراف الشمالية .

وينتمى اللاب إلى الجنس المغولى وهم عراض الرأس والوجه والأنف . وعيونهم مائلة فى الغالب ، وبشرتهم صفراء ، وشعرهم بين الأسمر والأسود . ووجوههم مبططة ، وقامتهم قصيرة . وهم يمتدون من شمال النرويج خلال شمال السويد وشمال فنلندة إلى شبه جزيرة كولا فى روسيا ، وهم يتكلمون لغة فنية . أو جرية ويعتبرون من بقايا الجنس القطبى القديم .



الفصل الثالث

أجناس أفريقيا

يتحكم المناخ تحكما كبيراً فى توزيع الجماعات البشرية بقارة أفريقيا ولذلك يتمشى التوزيع الجنسى بهذه القارة مع توزيع الأقاليم المناخية أو بمعنى آخر مع توزيع الأقاليم النباتية الذى هو نتيجة لتوزيع الأقاليم المناخية . ويتوسط القارة الغابات الاستوائية التى تشمل حوض الكنغو وساحل غانة وتعتبر هذه الغابات الموطن الرئيسى للزنوج ، ثم تحيط بهذه الغابات حشائش السفانا التى تشمل السودان وهضبة شرق أفريقيا وروديسيا وتمتد حتى أنجولا، وتعتبر هذه السفانا موطناً لطائفة أخرى من الزنوج بالإضافة إلى المتزنجين . ثم تتحول السفانا فى الشمال والجنوب إلى صحراء، ويستمر امتداد هذه الصحراء إلى قرب ساحل البحر حيث نجد شريطاً خصيباً فى تربته معتدلا فى مناخه فى كل من جنوب أفريقيا وشمالها ، وتحتل جماعات من الجنس الأبيض هذا الشريط فى الوقت الحالى فى شمال القارة وجنوبها .

وليست الصحراء الجنوبية - صحراء كلهارى — فى امتداد الصحراء الشمالية وقسوتها ، فالصحراء الكبرى فى الشمال تكون نطاقا صحراويا متصلا عظيم الاتساع يمتد من ساحل المحيط الأطلسى فى الغرب إلى شبه جزيرة العرب فى الشرق ، لا يقطعها إلا نهر النيل وأخدود البحر الأحمر. وفى العصور التى كان الجليد يجثم فيها على قلب أوروبا كان يعم الصحراء مناخ معتدل مطير ثم بمجرد أن انقشع الجليد عن أوروبا فى الفترات الدفيئة التى تخللت الأدوار الجليدية تلكان

يعود إلى الصحراء جفافها وتطرف مناخها فتستأنف وظيفتها كحاجز بشرى بين الشمال والجنوب يفصل شمـــال أفريقيا عن باقى القارة ويلحق هذا القسم الشمالى بجنوب أوروبا وغرب آسيا مناخيا ونباتيا وجنسيا .

ومن أجل التحكم المنـاخى فى التوزيع الجنسى بأفريقيا نجـــد هذا التوزيع بسيطا للغايه فالجنس القوقازى يسود شمال القارة والجنس الزنجى يسود وسطها وجنوبها ثم بين القسمين منطقـــة اختلاط تشغلها جماعات تسود فى بعضها الدماء الزنجية ، وتسود فى أخرى الدماء القوقازية حسب نصيب كل منها من الاختلاط ولأفريقيا ثلاثة أبواب رئيشية : —

(١) برزخ السويس (٢) بوغاز جبل طارق (٣) بوغاز باب المندب .

١ — أما برزخ السويس فقد كان منذ استخدامه باب دخول إلى القارة إلا أنه لم يستخدم إلا فى غصر متأخر أى بعد أن عمرت القارة بأجناسها الرئيسيه ، لأنه لم يكن فى الماضى صالحا لمرور الهجرات بسبب كثرة المستنقعات فى منطقة البرزخ وفى الدلتا ولذلك لم يكن ذا أثر كبير فى تعمير أفريقا بأجناسها الحالية .

(٢) أما بوغاز جبل طارق فلم يكن اتساعه قديما يزيد على أربعة أميال وكان من السهل على الإنسان أن يعبره إلا أنه لم يستخدم منذ أقدم العهود إلا مخرجا من افريقيا ، خرجت منه الاجناس إلى أوروبا ، ولم يستخدمه كمدخل إلا الوندال والالان Alans فى القرن الخامس الميلادى ثم المغاربة حينما تقهقروا من أسبانيا فى أواخر القرن العاشر ، ولذلك يهمل هذا الباب أيضا عنـد البحث فى طرق تعمير هذه القارة .

(٣) لم يبق أمامنا إلا الباب الثالث وهو بوغاز باب المندب فهو الطريق الذى دخلت منه معظم الأجناس إلى أفريقيا منذ أقدم العهود . وكان عبور هذا البرزخ

سهلا فهو إن لم يكن أرضاً يابسة فى وقت نشأة الإنسان فقد كان على الأقل ذلى ضئيل الاتساع . ومما يرجع دخول الأجناس الإفريقية من هذا الباب قربه من الموطن المفروض لنشأة الإنسان (جنوب غرب آسيا) ووجود أقدم الأجناس الأفريقية بقرب هذا الباب (كالجنس الزنجى والبشمن) فى حين أن أثر هذه الأجناس القديمة معدوم أو تافه فى شمال القارة أى بالقرب من البابين الآخرين.

وأقدم العناصر التى دخلت أفريقيا هى التى نجدها فى الوقت الحالى فى الأطراف الغربية والجنوبية للقارة حيث اتخذت من هذه الأطراف أماكن عزلة والتجاء بسبب ضغط العنصر الجديدة القوية من الشرق،فنجد البشمن فى صحراء كلهارى .

وربما كان هؤلاء أقدم جنس وصل إلى أفريقيا وانتشر فى أجزاء كثيرة فى الجزء الشرقى من وسط القارة ، ثم اضطروا إلى التقهقر نحو الجنوب الغربى أمام ضغط زنوج البانتو كما نجد الأقزام فى منطقة الغابات الاستوائية ، فهذا الجنس أيضاً من الأجناس القديمة التى وصلت أفريقيا واضطر إلى التقهقر نحو غابات الكنغو أمام ضغط البانتو ، ويختلف الاقزام عن الزنج جنسياً فقامتهم قصيرة ورأسهم عريضة .

وبعد ذلك دخل الزنوج أفريقيا ، ومن الجائز أن الصفات الزنجية الحالية لم يتم تكوينها إلا فى قارة أفريقيا نفسها . ومعروف أن صفات الجنس الزنجى هى الشعر المفلفل والفك البارز واللون الأسود ولقد كسب هذا الجنس الصفة الأخيرة فى البيئة الأفريقية لظروفها الطبيعية المعروفة، ولما دخل الزنوج إفريقيا استقروا أولا فى القرن الأفريقى (الصومال) ثم تحركوا منه نحو داخل القارة ولم يتوغلوا كثيراً نحو الشمال ، فأقصى ما وصل إليه الزنوج نحو الشمال عبارة عن جهات قليلة فى جبال تبستى وبلاد النوبة. والزنوج الصرف يوجدون جنوب الصحراء ، وقد ظلت هذه المنطقة خالصة لهم لأنهم هم الجنس الوحيد الذى يحتمل

ظروف البيئة القاسية السائدة هناك. ثم دخل أفريقيا عن طريق باب المندب عنصر زنجى آخر هو البانتو واحتل كل منطقة الصومال ومنها انتشر حتى ملأ نصف أفريقيا الواقع جنوب خط الاستواء وبذلك أصبح لدينا فى أفريقيا نوعان من الزنوج : —

(١) زنوج البانتو .

(٢) الزنوج السودانيون .

ثم ظهر الجنس القوقازى فى أفريقيا فدخل العنصر الحامى إليها عن طريق باب المندب أيضاً ووصل إلى الصومال فوجدوا الزنوج هناك فحاربوهم وانتصروا عليهم وأجلوهم عن القرن الإفريقى واحتلوه ، وتراجع الزنوج إلى الغابات الاستوائية وإلى منطقة نهر النيجر ، ثم حدث بمضى الزمن اختلاط بين العنصرين وبذلك تكونت الجماعات التى نسميها أنصاف الحاميين كما هو الحال فى هضبة أفريقيا الوسطى .

أما الحاميون أنفسهم فإنهم لم يتجهوا نحو وسط القارة كما فعل الزنوج السودانيون ولا نحو جنوبها كما فعل زنوج البانتو، وإنما اتجهوا نحو شمال القارة متتبعين ساحل البحر الأحمر فاخترقوا حوض النيل الأزرق والعطبرة ووصلوا إلى حوض النيل النوبى والمصرى ثم إلى شمال أفريقيا .

وبناء على هذا يمكن تقسيم أفريقيا إلى قسمين جنسيين كبيرين :

(١) القسم القوقازى فى الشمال .

(٢) القسم الزنجى ، فى الجنوب .

ويمكن تصور خط فاصل بين الجهات التى يسود فيها الجنس القوقازى والجهات التى فيها الجنس الزنجى، يسير من مصب نهر السنغال عند خط عرض ١٦

شمالا إلى انحناء النيجر عند بلدة تمبكتو ، ثم إلى بحيرة شاد ثم يستمر فى الاتجاه الشرقى بميل نحو الجنوب حتى تصل إلى أعالى بحر العرب أحد روافد بحر الغزال وبذلك يكون الخط قد انحدر إلى عرض ٨ شمال خط الاستواء . وإذا اقتربنا من منطقة مستنقعات بحر الجبل نجد الخط ينحرف نحو الشمال حتى عرض ١٠° حيث يدور حول جبال النوبا ويستمر فى الاتجاه شمالا حتى عرض ١٢° (أى أنه يسير من أواسط بحر العرب إلى أواسط النيل الأبيض) ثم يتجه شرقا حتى النيل الأزرق وحدود هضبة الحبشة فيسير معها نحو الجنوب إلى بحيرة رودلف تاركا الطرف الجنوبى الغربى لهضبة الحبشة فى منطقة الزنوج ، ثم من رودلف إلى ساحل المحيط الهندى عند مصب نهر جوبا Jnba بالقرب من خط الاستواء .

ومن حيث المخلفات الأثرية نجد أنه عثر على آلات العصر الحجرى القديم الأسفل فى جنوب أفريقيا وفى شمالها الشرقى ثم فى أجزاء من وسطها فى كينيا .

وأوغندة ومن المحتمل أن الآلاب الأفريقية كانت معاصرة للآلات الشبيهة بها فى أوروبا .

وكذلك وجدت آلات العصر الحجرى القديم الأوسط (الموستيرى) فى شمال أفريقيا وفى مصر وأوغندة وفى جنوب أفريقيا .

وكذلك وجدت آلات العصر الحجرى القديم الأعلى بشمال أفريقية حيث تعرف باسم القفصية وتسمى أيضاً جتولية ، وقد هاجر أصحاب الحضارة القفصية السفلى إلى غرب أوروبا حيث اتخـــذت حضارتهم طبعاً جديداً وهى ما يسميها العلماء بالحضارة الأورينياسية (الأوريجناسية) ويظهر أن الحضارة القفصية العليا تطورت إلى الحضارة الغردنوازية وانتشرت فى هذا المظهر الأخير انتشاراً واسعاً فى أوروبا ووصلت إلى شرقى أفريقيا وجنوبها .

شمال أفريقيا :

يشتمل تعبير شمال أفريقيا طرابلس وتونس والجزائر ومراكش :

ومن حيث التاريخ الجنسى لهذه الجهات نجد أنه من المسلم به أن الإنسان الحديث الذى افتتح حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى بغرب أوروبا وصل من شمال أفريقيا عبر أسبانيا وإيطاليا ومن هذا الإنسان كان كوم كابل وجريما لدى ولا يعنينا فى هذا المقام كرومانيون وشانسليد لأننا لم نجد بعد بقايا لهما بأفريقيا .

ويختلف إنسان كوم كابل عن جنس البحر الأبيض المتوسط الذى سيظهر فيما بعد ، ولذلك أطلق عليه اسم الإنسان الإفريقى القديم Enrafrican أو الحبشى القديم Proto - Ethiopian ، وصفات هذا الجنس: الشعر الأسود والبشرة تميل إلى السواد والقامة متوسطة الطول (١٦٨ سم) ، والرأس شديدة الطول (٧٠ - ٧٣) والجبهة متراجعة ، قنطرة الأنف عالية وعظام الخدود عريضة بعض الشىء ، وأحيانا يكون بارز الفكين قليلا ، والأنف عريض أحيانا ، ويوجد فرعان من هذا الإنسان .

— ١ — فرع مموج الشعر — ٢ — فرع مجعد الشعر ذو صفات زنجية تقربه من إنسان جريمالدى .

وجدت جماجم إنسان كوم كابل فى أوروبا فى عدة جهات منها جنوب ويلز وغرب البرانس ، بأسبانيا وشمال البرتغال وشمال إيطاليا وسردينيا ، كما وجدت بأفريقيا فى الجزائر ومصر وشمال الحبشة والصومال .

وتوجد صفات هذا الإنسان ممثلة فى الموجود Mogod فى شمال تونس وفى سكان الحبشة والصومال الحاليين .

وإذا نظرنا إلى شمال أفريقيا بصفة عامة نجد أن الطبقة الأساسية من السكان تتبع الجنس الحامى أو الأثيوبى ذى البشرة السوداء والتقاطيع المعتدلة والشعر الناعم وتتلو هذه الطبقة طبقة أخرى من جنس البحر المتوسط ذى البشرة البيضاء . على أن العنصر عريض الرأس غير منعدم تماما ولا سيما فى جزيرة جربا Jorba والساحل الشرقى لتونس، وقد يرجع تاريخ هذا العنصر العريض الرأس إلى العصر الحجرى الأوســـط (مثل عراض الرأس فى موجم Mugem أى إلى الأرمن البحريين Maritime Armenoids حسب اصطلاح اليوت سمث ، وهم الذين يسميهم فلير الباحثون عن المعادن Prospectors نه اعتبرهم جماعة تجارية تؤم السواحل وفدت من شرق البحر المتوسط ، وكانت إحدى الجماعات التى ساهمت فى الحضارة الميجاليثية وتجولت على الشواطىء باحثة عن النحاس والقصدير وربما عن الذهب بصفة خاصة . ويظهر أن هذه الجماعة تألفت من خليط قديم من سكان البحر المتوسط وسكان آسيا الصغرى ، وتتمثل هذه الجماعات فى الوقت الحالى فى سكان السواحل ، كما فى ساليرنو Solerno وبارى Bari وغيرهما من الأجزاء الشاطئية بجنوب إيطاليا ثم فى شرق صقلية وجنوبها الشرقى وفى أجزاء ساحلية مختلفة من أسبانيا وفى مصبات اللوار والشارنت ثم خلال شبه جزيرة بريتون Breton إلى كوت دونور Cote du nord بفرنسا ، وعلى الساحل الغربى لبريطانيا والساحل الشرقى لإيرلندا وفى جنوب غرب النرويج .

ولكن الجنس السائد بشمال أفريقيا هو البربر وينحدر البربر من مجموعة الشعوب التى كان يطلق عليها اليونان والرومان اسماً عاما هو الليبيين .

ويمكن القول أن القبائليين Kabyles الذين يسكنون التلال بين الجزائر وبوجى Bougie وكذلك الشوايا Shawia التى تسكن جبال أورز Aures فى الجزائر يمثلون البربر الحقيقيين رغم أنهم يمتازون ببياض بشرتهم حتى بعد أن

تلفحها حرارة الشمس ، وهم غالبا أصحاب شعر أسود وعيون سمراء أو عسلية ، ويقول سلجمان إنهم لشقرتهم يمكن أن يعتقد الإنسان أنهم اسكتلنديون أو إيرلنديون وأن الأولاد فى سن ١٥ أو ١٦ يمكن أن يعتقد الإنسان أنهم انجليز لولا أن نسبة الشعر الأسود بينهم أكبر منها عند الأولاد الانجليز . ثم إن الشقرة التامة عندهم موجودة فنجد فيهم من يشبه سكان شمال ألمانيا ولكن هؤلاء أقلية ، وحوال ١٠ ٪ منهم أصحاب شعر غير أسود وعيون غير سمراء وبعضهم ذو شعر أصفر وعيون زرقاء (النسبة الرأسية ٧٧ والنسبة الأنفية ٦٩ والقامة ١٧٠ سم) وتوجد فى المقابر الملكية بطيبة بعض صور الليبيين ترجع لسنة ١٣٠٠ ق . م ، تبينهم بيض البشرة زرق العيون شقر اللحى . ويظهر أن هذه القلة فى المادة الملونة التى يمتاز بها طوال الرأس فى شمال غرب أفريقيا ليس مرجعها الظروف الجغرافية وإنما قد ترجع إلى نزحات جنسية .

ولقد فنى الشقر من شرق ليبيا ولكن ما زالت بقع من هذا الجنس فى غرب شمال أفريقيا ولا زالت مصادر الشقر فى ليبيا مشكلة لم تحل فيرى البعض أنهم وفدوا من أسبانيا ويرى آخرون أنهم من إيطاليا ويرى غير هؤلاء أنهم وفدوا من الشرق مع غزوة إلى شمال أفريقيا انتشرت فى أصقاعه وكونت طبقة حاكمة ، وكذلك يرى البعض أن هؤلاء هم أجداد النرديين الذين كانوا إحدى الجماعات الآسيوية التى غزت مصر بعد سنة ١٣٠٠ ق . م ثم تحركوا غربا .

ولا يعرف مدى امتداد الزنوج نحو الشمال ، ويقال إنهم ظلوا موجودين بحالة نقية إلى حد ما على الحدود الجنوبية لطرابلس وغرب مراكش حتى العصور التاريخية ، على أن معظم الآثار الزنجية الموجودة بشمال أفريقيا مرجعها إلى الرق .

وربما حدث أواخر الألف الثالثة ق.م أن مهاجرين وفدوا إلى شمال أفريقيا بحضارة جديدة من آسيا الصغرى وبحر إيجه ثم استعمروا عدة أماكن به خلال ظروف الاضطرابات التى تلت تدمير طرواده سنة ١٢٥٠ ق . م —

كما أن الفينيقيين استقروا حوالى سنة ١١٠٠ ق . م فى أماكن على سواحل تونس وشمال مراكش وأسسوا قرطاجنه سنة ٢٢٨ ق.م ولكن يظهر أن تأثيرهم الجنسى بشمال أفريقيا كان أضعف من تأثير الأجانب الآخرين الذين استقروا فى هذا المكان ثم فى سنة ٦٣١ استعمر اليونان عدة أماكن فى برقه ، ولقد نتج من الاحتلال الرومانى ومن غزوات الوندان والبيزنطيين ومن عودة المغاربة من أسبانيا اختلاط جنسى طفيف ولا سيما فى المدن ولم يلاحظ هذا الاختلاط الجنسى فى الأقاليم ، ولهذا يمكن القول أن التكوين الجنسى بشمال أفريقيا متشابه فيما عدا وجود النورديين ، فإن عنصر البربر كان يمتص كل جنس جديد يصل إلى هذا المكان .

ولقد استقر اليهود بشمال أفريقيا قبيل الميلاد ثم وفدت أعداد منهم بعد ذلك إلى هذا المكان . ثم غزا العرب شمال أفريقيا ولكنهم لم يغيروا الحالة الجنسية هناك ، إذ أن العرب أنفسهم ليسوا متجانسين جنسيا فى بلادهم ثم إن شمال أفريقيا كان شديد التبربر من الناحية الجنسية فلم يحدث العرب به تغييرا جنسيا يذكر .

ويميز سلجمان Seligman فى شمال غرب أفريقيا بين الشعب الجنسية الآتية :

(ا) شعبة ذات نسبة رأسية من ٧٢ - ٧٣ متوسطة القامة (١٦٢٫٥ سم). القذال بارز فى الغالب . الوجه قصير عريض . عظام الخدود بارزة والأنف متوسط والذقن بارزة فى الغالب والشفاه ممتلئة والعظام الطويلة سميكة وذات عضلات قوية . الجلد قاتم والعيون سوداء وتوجد هذه الشعبة فى جبال وسطى

تونس ثم بالجزائر فى ولاية قسطنطين ، وبالقرب من مدينة الجزائر ثم فى أقصى جنوب الجزائر حيث تظهر فيهم بعض الصفات الزنجية .

(ب) شعبة مستطيلة الرأس أيضاً (نسبة ٧٤ — ٧٥) ولكنها طويلة القامة (١٦٧٫٥ سم) . ويبدو شكل الرأس بيضاويا إذا نظر إليه من أعلى . عظام الحاجبين واضحة . الوجه طويل مع ميل لأن يكون بيضاويا. الأنف طويل ضيق . الذقن مربعة . ويسود أصحاب هذه الصفات فى وسط تونس وينتشرون منها حتى الجزائر ، ولكن وجودهم مقصور على الجهات الداخلية . وأما على الساحل فتزداد الرأس عرضاً نتيجة للاختلاط بالأجناس عريضة الرأس .

(ح) شعبة عريضة الرأس (نسبة حوالى ٨٠ مع وجود أفراد بين ٨٥ و ٩٠) وهذه الشعبة قصيرة القامة (أقل من ١٦٢٫٥ سم) الوجه عريض قصير . الجبهة مستديرة . الأنف قصير يميل للعرض . ويسود أصحاب هذه الصفات فى طرابلس وجزيرة جربا والساحل المقابل لها وعلى الشاطىء المجاور لأبو عجيلات . ويظهر هذا العرض بوضوح بالجزائر عند القبائليين (جماعة القبايل) ثم عند بنى مراب أقصى الذين يظهر فيهم بياض البشرة بوضوح .

شمال شرق افريقيا :

تدل الآلات القديمة التى وجدت مع الهياكل البشرية على أن مصر وبلاد النوبة سكنهما منذ أقدم العصور شعب متحد الصفات هو الشعب الحامى الذى يعتبر فرعاً من الجنس الأسمر Brown Race حسب تعبير أليت سمث. وقد وصف أليت سمث الجنس الأسمر بأن رأسه طويل وقامته قصيرة (١٦٢ سم) والشعر نادر على جسمه ووجهه ، نحيف الجسم ، والجمجمة طويلة ضيقة ، أما الجبهة فضيقة وأما القذال فبارز وحافات الجبين بارزة قليلا وغالباً غير بارزة . والأنف

متوسط البروز وهو عادة صغير الحجم وبيضاوى نسبيا ومسطح عند القنطرة، والذقن مدببة والفك غير بارز . أما الوجه فقصير وضيق وبيضاوى ومتناسب ، والأسنان متوسطة الحجم أو صغيرة . وعلى العموم يمكن القول أن الهيكل كله دقيق التركيب . ويدخل تحت هـذا الجنس سكان العصر الحجرى الحديث فى الجزر البريطانية وفرنسا لشواطىء البحر المتوسـط الشمالية والجنوبية وأجداد الليبيين والمصريون القدماء والمحـدثون والنوبيون والبيجا والدناقل والهدندوة والحبش والجلا والصوماليون وكل شبه جزيرة العرب وشواطىء الخليج الفارسى (أى جنوب إيران) وسومر والعراق وسوريا وأجـزاء ساحلية من آسيا الصغرى وأناو فى تركستان والاندونيسيون وهم الزيوت الأصليون والدرافيديون .

ثم يقول أليت سمث باننا لا نستطيع أن نسمى هذه المجموعة بالجنس الحامى لأنه تدخل فيها جماعات سامية كالعرب كما أننا لا نستطيع أن نسميها جنس البحر الأبيض المتوسط لأنها تنتشر فى أجزاء شديدة البعد عن هذا البحر ولذلك فهو يفضل تعبير الجنس الأسمر .

التأثير الزنجى فى جنوب مصر :

ولقد سكن بلاد النوبة فى الفترة الواقعة بين ٤٠٠٠ و ١٥٠٠ ق . م ثلاث مجموعات بشرية متتابعة . (١) المجموعة حامية صرفة (٢) ثم فى عهد الدولة المصرية القديمة (٣٠٠٠ — ٢٦٢٥ ق . م) نجـد خليطاً زنجيا فى سكان النوبة السفلى نتج من اختلاط الزنوج بالحاميين فى جنوب بلاد النوبة ثم تحرك هذا الخليط نحو الشمال (٣) فى سنة ٢٠٠٠ ق . م نجد مجموعة أخرى من الحاميين أكثر تزنجاً من سابقيهم تتحرك شمالا نحو بلاد النوبة وهم ما يسمون نوبيو الوسط، وهذ يفسر تحدث قدماء المصريين عن بلا بنت كوطنهم الأصلى. وتدل اللوحات الأردوازية

على أنه فى عصر ما قبل الأسرات — بل فى فجر الأسرات كان هناك نوع من الاتصال بين مصر وبلاد الصومال ، وإذا استبعدنا العنصر الزنجى نجد أن الفرق قليل فى شكل الوجه بين أقدم هذه الجماعات وأحدثها .

وفيما يختص بمصر نجد أنه فيما عـدا العناصر الحامية السابقة يظهر فجأة فى أوائل عصر الأسرات أى قبل بدء الألف الثالثة قبل الميلاد عنصر أجنبي يمكن الحكم من صفاته بأنه أرمنى ، وقد دفن أفراد من هذا العنصر فى مقابر الجيزة التى ترجع للأسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق . م) وقد أثر هذا العنصر فى إنتاج نوع أقوى بنية وأضخم عظاما وأكبر فى حجمه وأكثر امتلاء ، والجبهة أكثر عرضا . وأحيانا تكون عظام الحاجبين بارزة ، وكذلك الجمجمة نجدها أكثر عرضاً وارتفاعاً . والأنف أطول وأضيق نسبيا والفك الأسفل أقوى . ويوجد تنوع أكبر فى صفات جماجم الأرمن عنه بين أسلاف المصريين ، وقد جاب هذا العنصر القوى إلى مصر عناصر جديدة من الحضارة وتدل مقابر الدولة الوسطى على استمرار وجود هـذا العنصر الأجنبي وعلى انتشاره نحو الجنوب حتى وصل فى أواخر الدولة الوسطى إلى بلاد النوبة. وما زال الأثر الجنسى لهذا الخليط موجوداً حتى الوقت الحاضر بين المصريين .

ولكن يمكن القول أنه رغم تسلل العناصر الزنجية إلى بلاد النوبة والعناصر الأرمنية والعربية إلى مصر ورغم دخول الجيوش الحبشية والأشورية واليونانية والرومانية إلى مصر وتوغلهم حتى طيبة (الأقصر) فإن سكان الصعيد ما زالت لهم الملامح والتركيب الجسمانى اللذان كانا عند المصريين القدماء الذين نسميهم أسلاف المصريين **Proto Egyptians** .

ويوجد البرابرة غرب النيل فى مصر العليا الجنوبية وفى بلاد النوبة ويسمون أيضاً البربرين وهم عادة نحاف الجسم ولونهم أسمر يتراوح بين الأصفر والبنى

وشعرهم مموج أو مجعد وأحيانا يكون مرسلا أو صوفيا ، ولكن تقاطيعهم ليست زنجية مطلقا فهم حاميون ، وشكلهم كذلك منذ أقدم العصور . أما الزنوج الذين أتوا إلى بلاد النوبة قبل عصر البطالسة فمن النوع القصير عريض الرأس نسبياً . وقد ظل تأثيرهم — رغم ضآلته — فى السكان حتى الوقت الحاضر . ويجب التفرقة بين النوبيين سكان بلاد النوبة وبين شعب النوبا ، فالنوبيون حاميون . وأما النوبا فزنوج يسكنون كردفان ولكن نصفهم الشمالى استعرب إلى حد كبير ، وهم ضخام الجسم ولونهم شديد السمرة وشعرهم صوفى ورأسهم متوسطة ولكن بعضهم له رأس طويل ووجه عريض وأنف مفرطحة وبعض الصفات الزنجية الأخرى .

ويمكن تلخيص التاريخ الجنسى لشمال شرق أفريقيا بعد العصر الحجرى القديم الأوسط فيما يلى :

فى القسم الجنوبى كان يسكن الزنوج ، وجنوب هؤلاء كان يوجد النجريللو فى الغرب وأسلاف البشمن فى الشرق ، وكانت تفد بين الحين والحين جماعات من الحاميين (أو الأحباش) ، ويمكن تقسيم هؤلاء إلى قسمين : حاميين شماليين وحاميين جنوبيين .

(ا) أما الحاميون الشماليون فبشرتهم أقل سمرة وقامتهم أقصر . وأول هجرة لهؤلاء هى التى تسمى أسلاف الإفريقيين Eurafrtcan ويظهر أن هذه الجماعة هى التى جلبت الحضارة القفصية إلى شمال أفريقيا . وأفراد هذه الجماعة الذين سكنوا مصر هم الذين صنعوا آلاتها الحجرية التى تنتمى لعصر ماقبل الأسرات فى الصعيد ويمثل الحاميين الشماليين فى الوقت الحالى البيجا وهم البشاريون وبنى عامر والهدندوه وهى الجماعات التى تسكن المنطقة المحصورة بين النيل والبحر الأحمر ، غير أن هذه القبائل وصلت إلى هذا المكان فى فترات متفاوته . وكذلك دخل مصر جنس البحر المتوسط . وثقافته فى العصر الحجرى الأوسط mesolithic والعصر الحجرى

الحديث ، وبذلك تحولت الحالة الجنسية فى مصر السفلى إلى صفات جنس البحر المتوسط . ثم ظهر العنصر الأرمنى فى بدأ عصر الأسرات فكون فى المبدأ أرستقراطية قليلة العدد ثم زاد عددهم بعد ذلك . وقد دخلت الهجرتان الاخيرتان (البحر الأبيض والأرمن) إلى مصر عن طريق برزخ السويس .

(٢) وأما الحاميون الجنوبيون ويسمون أحيانا الكوشيون Cushites فهؤلاء أكثر سواداً وأطول قامة من سابقيهم . وربما كونت إحدى الجماعات القديمة من هذه الشعبة الخليط الزنجى الحبشى الذى يتمثل فى بعض الجماعات من أريتريا إلى العطبرة إلى النيل الأبيض حول مرو وقد دخلت إلى أفريقيا شعب أخرى من الأثيوبيين (الحاميين الجنوبيين) أحدث من السابقة مثل الجالا Galla الذين يسكنون جنوب الحبشة وشرق النيل الأزرق ومثل الدناقل ، وهؤلاء يسكنون جنوب أوريتريا وشمال الصومال الفرنسى . وبعد هؤلاء جاءت جماعات من العرب قبل الإسلام وهم السبأيون ثم الحميريون . وقد كون هؤلاء الاحباش نصف البيض مثل الأمهرة Amhara الذين يسكنون شرق الحبشة ، وقد تم هذا نتيجة لاختلاط العرب البيض بعنصر الأجو Agou الأسود الذى يسكن غرب الحبشة ، ثم جاءت هجرة عربية بعد الإسلام كونت الصوماليين نتيجة لاختلاط العرب مع الجالاه Galla أجلوا إلى الشمال .

ومن هجرات البيض الهامة أيضاً جماعة الحبشات الذين أقاموا حضارة عالية بالحبشة بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد. وقد توغل الدم الزنجى حديثاً فى الصومال ، وتؤدى الحركات الحبشية إلى إبادة بقايا أسلاف الحبشيين المتزنجين . ويقسم النيل شرق أفريقيا شمال خط عرض ١٥ شمالا إلى قسمين جنسيين :

١ ــ قسم شرقى يسكنه الحاميون .

٢ ــ قسم غربى يسكنه العرب الساميون. ويدعى هؤلاء النقاوة الجنسيةرغم

أنهم اختلطوا مع الحامية مثل البيجا Beia والبربرين Eerberine ومع الزنوج ، وتعتبر الكبابيش أنق القبائل العربية فى السودان الذين لم يتلوثوا كثيراً بدماء غير عربية .

ويعيش البيجا شرق النيل وشمال الحبشة ويشملون من الشمال الجنوب قبيلة البشاريين وقبيلة الهدندوه وقبيلة بنى عامر ، وهذه القبيلة الأخيرة أكثرها نقاء . أما فى الشمال فالصفات الارمنية موجودة ، ثم فى أريتريا الجنوبية يوجد الدناقل أو الآفار ، أما سكان الحبشة نفسها فخليط إذ أن أساسهم الجنسى من الحاميين، ثم دخل فى تركيبها عنصر حميرى وفد من جنوب بلاد العرب :

أما النيلوتيون فهم متزنجون طوال القامة وطوال الرأس ولونهم شديد السواد وشعرهم صوفى وتقاطيعهم كبيرة وأنفهم شديد العرض وفيهم تنوع يدل على اختلاط جنسى ، ولكن هذا الاختلاط لابد وأنه حصل فى عهد قديم ، ويقوم الدليل على أنهم نشأوا من خليط من الزنوج والحاميين القدماء . وتسود الدماء الحامية فى الشلوك الذين يسكنون الشاطىء الغربى للنيل من بلدة كاكا Kaka فى الشمال إلى بحيرة نو No فى الجنوب ، ثم على الشاطىء الشرقى من بلد كودوك Kobok إلى التوفيقية ، كما يمتدون قليلا على السوباط ، وربما كان موطنهم الأصلى بين فيكتوريا نيانزا والسوباط ، ثم هاجروا شمالا وجنوباً وغرباً . وتوجد مجموعة من القبائل تعرف باسم الدينكا تمتد من نقطة تقع على بعد ٣٠٠ ميل جنوب الخرطوم إلى نقطة تقع على بعد ٢٠٠ ميل من ريجاف وتنتشر خلال مديرية بحر الغزال

شرق افريقية :

يقصد بتعبير شرق أفريقيا حماية أو غنده ومستعمرة كينيا ومقاطعة تنجانيقا

وولاية نياسا . ويمكن أن تلخص التاريخ الجنسى لهذا الإقليم فى الخطوات الآتية :

١ — أقدم جنس سكن هذا الإقليم هم أجداد البشمن .

٢ — وفدت إليه بعد ذلك هجرة قديمة من الحاميين فاختلطت بأجداد البشمن وعلمتهم تربية الماشية وأعطتهم شيئاً من لغتهم ، وقد نشأ من هذا الخليط الجماعة التى تعرف الآن فى جنوب أفريقيا باسم هوتنتوت .

٣ — تحرك أجداد البشمن والهوتنتوت نحو الجنوب الغربى أمام دفع العناصر الاقوى منهم التى كانت تفد باستمرار إلى منطقة القرن الأفريقى ، ويمكن أن نعتبر جماعات الباريا من بقايا البشمن والهوتنتوت وهم يوجدون فى كينيا وأوغنده والصومال حيث يعتبرون من الجماعات المنبوذة التى تحترف الحرف اليدوية ، وهى الحرف التى يحتقرها الرعاة عادة .

٤ — بعد ذلك جاء إلى شرق أفريقية زنوج البانتو أو بتعبير أدق « الزنوج الذين يتكلمون لغة البانتو » والفرق بين الزنجى الحقيقى وبين زنجى البانتو فرق لغوى إلى حد كبير . ويرى هادون أن زنوج البانتو عبارة عن زنوج تدخل فيهم دماء أجنبية مختلفة ويستدل على أثر الحاميين فيهم من تقاطيعهم المعتدلة ومن حرفة تربية الماشية السائدة بينهم ، وهى حرفة حامية ، وليست حرفة زنجية . على أن هذا التأثير الجنسى والثقافى فى الزنوج يختلف من جماعة لأخرى .

٥ — أدى تسلل العرب إلى شرق أفريقية مدة قرون عديدة إلى تلطيف الصفات الزنجية ، ولكن رغم هذا كله ما زالت أغلبية السكان واضحة الصفات الزنجية .

٦ — تحرك النيليون وهم خليط « زنجى حامى » — كما أسلفنا — فى اتجاه

جنوبى شرق حتى وصلوا الطرف الشمالى الشرقى لبحيرة فيكتوريا نيانزا ومن هؤلاء جماعة الجالو والكافيروندو .

٧ — حدث اختلاط حديث بين النيليين بشرق أفريقية وبين جماعة الجالا الحامية ، ونتج عن هذا الخليط « أنصاف الحاميين » ومن أهم جماعاتهم اللمبوا الذين يسكنون حول جبل ألجون والمرتفعات الواقعة شرق بحيرة بارينجو ، ثم الماساى الذين كانوا بين النيل وبحيرة رودلف ، ثم تحركوا جنوباً حتى وصلوا إلى جنوب هذه البحيرة بعد أن أخضعوا جماعة البارى Bari النيلية . وأنصاف الحاميين رعاة ، وهذا الأثر الثقافى فيهم ناشىء من أن نسبة الدماء الحامية فيهم ترجع على نسبة الدماء الزنجية . غير أن القبائل الضعيفة فقدت ماشيتها واشتغلت بالزراعة والصيد. والصفات الجنسيةالعامة لأنصاف الحاميين هى طول القامة ونحافة العود ثم التقاطيع المنتظمة والأنف البارز الضيق ، وتظهر فيهم إلى جانب ذلك بعض الصفات الزنجية ولكنها مخففة إلى حد كبير .

مدغشقر :

يتلخص التاريخ الجنسى لمدغشقر فيما يلى :

١ — أقدم سكان مدغشقر كانوا أقزاماً سوداً ينتسبون إلى أقزام آسيا وليس إلى أقزام أفريقيا .

٢ — جاء بعد هؤلاء قبل بدء العصر المسيحى شعب أسمر من إقليم أندونيسيا .

٣ — ثم جاء جنس زنجى خليط من أفريقيا ووصلوا إلى ساحل الجزيرة الغربى وشقوا طريقهم إلى الداخل دافعين الشعب الأسمر أمامهم .

ثم أخذت تفد منذ عصور ما قبل الإسلام عدة جماعات عربية استقرت فى الجزيرة وفرضت نفسها على السكان ، وجلبت إلى الجزيرة من أفريقيا أفراداً من البانتو كعبيد وقد أسست المستعمرات العربية على ساحل الجزيرة الشرقى بين القرنين الثامن والحادى عشر بعد الميلاد . وأخيراً تأثر الطرف الجنوبى للجزيرة بهجرات هندية فهاجرت جماعة الأنتى ميرينا Antimerina (ويسمون أيضاً الهوفا) من أرخبيل جزر الهند الشرقية — ربما من جاوة — منذ أربعة قرون وسرعان ما أصبحوا الشعب السائد فى الجزيرة .

ومعنى هذا أن التأثير الأسيوى هو الغالب فى الجزيرة لأنه يشمل الأقزام والنزبوت والعرب . وأما التأثير الأفريقى فمقصور على الزنوج .

وسط أفريقيا :

تقع أفريقيا الزنجية بصفة عامة جنوب الصحراء الكبرى وتمتد إلى أقصى جنوب القارة . ويمكن أن نميز فى هذا القسم بين المجموعات الجنسية الآتية :

١ — النيجريللو وهم الأقزام الأفريقيون .

٢ — الزنوج الحقيقيون وهم الزنوج السودانيون .

٣ — النيليون وهم زنوج متأثرون بدوماء حامية .

٤ — البانتو وهم زنوج يتكلمون لغة خاصة تسمى البانتو .

ويمكن تلخيص الحالة الجنسية فى المنطقة المحصورة بين الصحراء الكبرى والزمبيزى فيما يلى :

١ — نجد النجريللو يعيشون فى جماعات متفرقة مستقلة عن بعضها فى منطقة الغابات الاستوائية ولاسيما فى إقليم الكنغو، ونجدهم مختلطين بالزنوج الطوال

ونجد اختلاطاً جنسياً بين الجنسين . أما الصفـات الجنسية للقزم الافريقى فهى شعر شديد القصر لونه أسمر قاتم (مصلدى) . شعر الوجه قليل ، أما الجسم فمغطى بشعر يشبه الزغب مائل الصفرة . لون الجلد أصفر مشرب بحمرة أو أصفر يميل للسمرةوأحياناً أسوداً . يبلغ متوسط طول القامة من ١٣٦—١٤٢ سم مثل قبيلة أيتورى Ituri (١٣٧) . الجذع قصـــير والأذرع طويلة والأرجل قصيرة . والأرداف ضخمة ولاسيما عند النساء . والرأس متوسطة تميل للعرض (٧٧ — ٨١) والفك الأسفل بارز . الشفة العليا عميقة ومحدبة وممتلئة ولكن غير مقلوبة والذقن ضيقة وصغيرة ورأس الأنف عريض والعين بارزة . وأما القزم الأسود الطويل فمتأثر بالدماء الزنجية الحديثة .

ويمكن القول أن الأقزام عبارة عن بقايا متخلفة عن جنس قديم من الزنوج كان يسكن أفريقيا الاستوائية وينتشر من جنوب الصحراء حتى خط تقسيم المياه بين الكنغو ولزمبيزى ومن الساحل الشرقى حتى الساحـــل الغربى ، والدليل على ذلك أنه ما زالت توجـــد بقايا قزمية حول جبل الجون فى أوغنده بل وفى بلاد الجالا الغربيـــة . ثم انحصروا فى الوقت الحاضر فى حوض الكنغو ولكنهم يمتدون من جهة الشرق حتى حدود أوغنده فى غابات أيتورى Ituri ومن جهة الشمال الشرقى حتى حدود بحر الغزال ومن ناحية الغرب الكنغو الفرنسى والكمرون والجابون وحدود أنجولا .

ويمكن تقسيم النيجريللو إلى مجموعتين :

(ا) مجموعة ذات جلد أحمر أو أسمر مشرب بصفرة مع ميل إلى الحمرة فى شعر الرأس ، والأرداف غير ضخمة .

(ب) مجموعة ذات جلد أسود وشعر أسود وأعجاز ضخمـــة وقامة أطول

قليلا . ويقال هذه الصفحات نتجت من اختلاطهم بالزنوج الحاليين . وقد لوحظ أن الذين يعيشون فى الخلا أكثر سواداً من الذين يعيشون داخل الغابات ويظهر أن لون الجلد عندهم كثير التنوع . أما الرأس فتوصف بأنها مستديرة وقد سبق القول أن قامتهم تطول إذا تحسنت ظروف حياتهم . ويمكن اعتبار الأقزام والبشمن فرعين منسلخين من كتلة الزنوج الحقيقين فى عصر قديم .

ويوجد نوع من الأقزام بارز الفك هو عبارة عن مخلوق بشع شديد القصر شبيه بالقرد يوجد فى أوغنده وغابات وسط أفريقا وغربها ولا وتنطبق عليه كل صفات الأقزام ولكنه مخلوق قصير يمكن اعتباره نوعاً بدائياً من الزنوج يقترب من النيجرالو من ناحية ومن النجرو من ناحية أخرى وتوجد قبائل كاملة مؤلفة من هذا النوع ولكن يوجد منه أفراداً يظهرون بين القبائل ويوصف هذا النوع بأنه « بارز الفك وبارز الحاجب قصير الأرجل طويل الأزرع » .

٢ — أما الزنجى الحقيقى فلا بد أنه كان ينتشر قديماً فى معظم القارة الأفريقية ولكنه انحصر الآن فى منطقـــة المجارى العليا لبحر الغزالى وويلى Welle أحد روافد الكنغو ثم المنطقة التى تجرى فيها الأنهار المنصرفة نحو بحيرة شاد والمنطقة الواقعة غرب هذه حتى المحيط الأطلسى ثم من جنـــوب النيجر حتى خليج غانة. وصفات هذا الجنس هو ما يأتى : البشرة سوداء أو أسمراء غامقة . القامة طويلة (حوالو ١٨٠ سم) بدين قصير الأرجـــل طويل الأزرع . أما الرأس فطويلة (٧٣ — ٧٥) . الجبهة بارزة غالباً كما أن الفك غالباً ، الشفاه سميـــكة وغالب مقلوبة ، والأنف مفرطحة . وهذه الصفات هى الموجودة فى السودان الجنوبى حيث البيئة الطبيعية مكشوفة .

أما زنوج زنوج الغابات فهم ضخام الوجه والجسم ومتوسطو القامة (١٦٠ سم)

ومتوسط الرأس (٧٨) وأنفهم شديد التفرطح . وهؤلاء يوجدون فى غابات غانة وأفريقية الاستوائية .

ولاشك أن صفة الرأس الغالية فى الزنوج هى الطول ولكن يوجد بهم عنصر عريض الرأس لا يعرف مصدره . ولقد كان معظم الزنوج الذين أتوا إلى بلاد النوبة فى الألف الثالثة قبل الميلاد قصار القامة وعراض الرأس ، وأقرب الناس شبهاً بهؤلاء فى الوقت الحاضر هم سكان إقليم فروع بحر الغزال وأوبانجى Ubangni أحد روافد الكنغو وشارى Shari . كما أن الرءوس التى تتراوح بين التوسط والعرض موجودة بين الأزاندى (نيام نيام) وفى بعض القبائل التى تسكن جنوب مديرية بحر الغزال .

ويمكن القول أن النوع العريض الرأس يمتد من الطرف الغربى للسودان الشرقى خلال القارة ولكنه لا يظهر فى حالة نقية ، وأصل هذا النوع غير معروف وربما يمثل هجرة قديمة من جنوب بلاد العرب وهجرات من منطقة السودان الأوسط اتجهت نحو الجنوب فعرضت رؤوس شعوب مختلفة من أجزاء عديدة من حوض الكنغو . ويقال أحياناً إن منشأ هذا العرض فى الرأس تأثير النيجر يللو ولكن يرد على هذا بأن النيجر يللو متوسط الرؤوس وأن النوع العريض الرأس الذى نحن بصدده ذو قامة عظيمة الطول كما إن به أحياناً أنوفاً ضيقة وهاتان الصفتان ليستا من صفات الأقزام فلا بد أنهما نشأتا عند الزنوج من تأثير جنس آخر غير الأقزام .

ويوجد عرض الرأس فى القسم الشمالى من ساحل العاج وفى الكمرون وفى بعض جهات وادى الكنغو كما توجد بقع عريضة الرأس (٨١) جنوب بحيرة شاد بين المياه العليا لكل من شارى وبنو Shari & Benue وفى منتصف المسافة الاويانجى Ubangni والكنغو شمال أوپوتو Upoto كما توجد أيضاً بقع متفرقة فى

مقاطعة الكنغو على نهر لولوا Lalua جنوب مدينة لولوا برج بخمسين ميلا فى مديرية أروا Urua .

وبالإضافة إلى ما طرأ على الزنوج من عرض الرأس نجد أن الشعوب الحامية (أو الأثيوبية) بدأت فى العصر الحجرى القـــديم الأعلى تنتشر غرباً خلال أفريقيا على طول منطقة السفانا والغابات المفتوحة ، وأن أقدم هـــذه الهجرات اختلطت دون شك بزنوج من أنواع مختلفة فأنتجت عناصر زنجية أحسن من حيث الصفات ، ومن المحتمل أن هـــذه الهجرات تكررت فيما بعد لمـــدة طويلة جداً .

وتوجد بجموعة قبائل النيام نيام عند منبع فروع بحر الغزال وويلى ومن أسمائهم الأزاندى والماكاراكا Makaraka وهم طوال ولو أنهم ليسوامفرطين فى الطول وتتراوح رأسهم بين المتوسط والعرض ولون بشرتهم أخف من لون بشرة جيرانهم أما تقاطيعهم فزنجية ويقال إن الطبقة الارستقراطية فيهم أقرب إلى الصفات الحالية منها إلى الصفات الزنجية .

وإلى الجنوب من المجموعة السابقة توجد جماعة المانباتو Manbattu وهم شعب خليط تتراوح صفاتهم بين زنوج الغاباب ذوى البشرة الخفيفة اللون وبين الارستقراطية ذات اللون الزيتونى الأسمر الباهت ، التى ـ ا صفات تدل على تأثرهم بالدماء الحامية .

ويوجد الهوصا فى شمال نيجريا ويمكن القول أنهم خليط من الزنوج والحاميين مع زيادة النسبة فى الحامية ما عدا عند الفولا الذين يحكمون الهوصا فى الوقت الحاضر . وكان مركز الهوصا فى السنغال ثم تحركوا شرقاً فى الفترات الأخيرة وتأثروا فى نفس الوقت بدماء بربرية قوية ولهذا يعتبرهم البعض من البربر . وهم

طوال وبشرتهم تميل للحمرة أو الصفرة وشعرهم مجعد ولكنه ليس شـــديد التجعيد وشعر الجسم ضئيل عندهم بعكس الحـال عند زنوج الغابات أو البربر ووجههم طويل بيضاوى وأنفهم بارز وقد حدث اختلاط كثير بينهم وبين الشعوب الزنجية وخصوصاً مع الفولا المستعمرين .

ثم فى إقليم بحيرة شـاد يوجد الـكانمبو Kanembo والباجرمى Bagirmi والبارنو Barno والـكانورى Kanuri وغيرهم وهم متأثرون بالدماء الحامية ولو أنه من الجائز أن بهم عنصراً بربرياً أيضاً .

ويعتبر التبو Tibo وهم سكان جبال تبستى أكثر القبائل الخليطة بياضاً فى السودان الأوسط وهذا نتيجة لتأثير الدماء البربرية والعربية ، والقسم الشمالى من التبو لا يمكن التمييز بينهم وبين الطوارق ، أما القسم الجنوبى فإنه يندمج فى الزنوج السودانيين أما الطوارق فيعتبرون عادة ضمن البربر المسلمين .

وقد تلقى قسم الساحل الغربى المحصور بين بلدتى غمبيا وشربورو النفايات التى لفظتها شعوب السودان ومثال ذلك المـاندنجو Mandingo وهم شعب خليط من الفولا والزنوج متأثر بدماء الطوارق والعرب . وهؤلاء الماندنجو اندفعوا فى عصر قديم نحو الجنوب من أعالى البحر فتوغلوا فى شمال غرب ليبريا وشرق سيراليون وتوجد فى ليبريا فى الوقت الحاضر ثلاث جماعات رئيسية هى الماندنجو والـكرو والـكبويزى Kpwesi وقد هاجر الـكرو منذ ثلاثة قرون إلى الساحل متراجعين أمام الماندنجو والفولا وما زال الماندنجو المسلمون يفدون من الشمال فيؤثرون فى شمال ليبريا وغربها .

وفى منطقة ساحل الذهب نجد الأشانتى Ashanti والفانتى Fanti ويمكن

اعتبارهما شعباً واحداً هاجر نحو الساحل أما الأشانتى فظلوا خلف نطاق الغابات عند المدرجات السفلى للمرتفعات وأما الفانتى فوصلوا إلى الساحل .

ثم فى ساحل العبيد نجد جماعة اليوروبا Uoruba التى يظهر أنها لم تتأثر بالدماء الزنجية فقد تحركت من الداخل إلى الساحل فى أوائل القرن التاسع عشر بسبب ضغط الحوصا على القسم الشمالى من منطقتهم . وهؤلاء الحوصا بدورهم اندفعوا إلى هذه المنطقة أمام ضغط الفولا فى شمالهم ، وقد سكنت موانى دلتا النيجر بقايا مختلفة هاجرت إلى هذا المكان نتيجة للحركات البشرية السابقة .

٣ — النيليون : هم جماعة من الزنوج متأثرة بدماء حامية ، وهم يلزمون من الناحية الجغرافية وادى النيل ولا يبتعدون عنه كثيراً ، ويمتدون من نقطة واقعة جنوب الخرطوم بحوالى مائتى ميل إلى بحيرة كيوجا فيما عدا جماعة الجالو التى تصل إلى الشواطىء الشمالية لبحيرة فكتوريا ، ولكن مع أنهم يصلون حتى أوغندة فإن مركزهم الرئيسى فى السودان المصرى ، ويتكلم النيليون لغة سودانية . ومع أن تعبير نيليين معناه فى الأصل نسبتهم إلى وادى النيل غير أنه يمكن القول أنه يدل على جماعات ذات صفات جسمانية وذات ثقافة خاصة .

ويقسمهم بعض الباحثين إلى ثلاث مجموعات كالآتى :

(ا) مجموعة عليا تشمل جماعات الميتو Mitto والمادى Madi والأباكا Abaka والمورو Moru وغيرهم .

(ب) مجموعة وسطى وتشمل الشلوك والأنواك والبير والجور وكثير من جماعات شرق أوغندة ثم الأشولى والجالو وغيرهم .

(ج) مجموعة سفلى وتشمل الدنكا والنوير .

والصفات الجسمانية للنيليين كما تظهر فى أفضل الجماعات التى تمثلهم وهم الشلوك والدنكا هى كالآتى :

القامة شديدة الطول (حوالى ١٥٧ سم أو أكثر) ، الرأس شديدة الطول كذلك (النسبة الرأسية حوالى٧٢) البشرة سوداء . ويظهر التأثير الحامى بوضوح فى الشلوك ، فمن الأمور المألوفة أن نجد بين الشلوك أفراداً من أصحاب التقاطيع المعتدلة والشفاه الرقيقة والأنوف الشم والخياشيم الضيقة ولذلك يعتبرون متزنجين وليسوا زنوجا ؛ ومن حيث الصفات الثقافية يعتبر النيليون بصفة عامة أكثر قربا للحاميين منهم إلى الزنوج فهم رعاة أكثر منهم زراع .

٤ ــ البانتو : يمكن القول بصفة عامة أن زنوج البانتو (الزنوج الذين يتكلمون البانتو) ينتشرون فوق جزء أفريقيا الواقع جنوب خط عرض ٤ شمالا مع إدخال الكمرون معهم وإخراج هضبة الأخدود العظيم والطرف الأقصى الجنوبى الغربى للقارة .

وزنوج البانتو عظيمو التباين فيما بينهم ولكن على العموم تجدهم يقتربون من الحاميين فى تلك الصفات الجسمانية التى يبتعدون فيها عن الزنوج ، وتباينهم الشديد فى الصفات الجسمانية يظهر أنه نشأ من اختلاطهم بنسب مختلفة مع كل أجناس أفريقيا مثل الحاميين والنيجريللو .

وصفات البانتو الجسمانية هى كالآتى : ــ شعرهم كشعر الزنوج المعتاد . أما اللون فمن كل الدرجات إذ يتراوح بين الأسمر وبين الأسود ولكن اللون الغالب هو البنى الغامق المشرب بحمرة ،وقامتهم فوق المتوسط (١٦٨ ــ ١٧٣ سم) ورأسهم طويلة تماما ولكن توجد بهم جماعات عريضة الرأس بعضها من قصار القامة . وفى البانتو جماعات ذات بشرة أخف فى المادة الملونة وقامة أقصر ورأس

أقل طولا وجبهة أكثر تسطحا ثم قلة فى بروز الفك ، وأنف أكثر بروزا وضيقاً من الزنجى الحقيق .

وقد حدث فى أفريقيا الاستوائية اتجاهان من الهجرات : (١) بعض قبائل الكنغو تحركت نحو الجنوب . (٢) ومن جهة أخرى تحركت بعض القبائل نحو الشمال .

وتذكر القصص أن هجرات متعاقبة من الشعوب تحركت من شمال شرق أفريقيا إلى أنجولا متخذة عدة طرق ، وكانوا يتجمعون فى عدة أماكن يتخذونها مراكز لابدء بهجرات جديدة وهكذا . ولكن هذه الهجرات لم تغير من الحالة الجنسية لأنها من عناصر متشابهة .

جنوب افريقيا :

تتنوع الأجناس بجنوب أفريقيا لأن بعض جهاته تعتبر من مناطق العزلة التى تلجأ إليها الأجناس المستضعفة بعد المعركة الجنسية التى كانت تدور دائماً بمنطقة القرن الأفريقى ، ولذلك نجد الشعوب بجنوب أفريقيا أقدم العناصر الجنسية التى وفدت إلى هذه القارة مثل البشمن والهوتنتوت كما نجد بهذا الإقليم جماعة البانتو الذين لجأوا إلى هذا المكان أمام ضغط الحاميين ، ولم يكن أمام البانتو مفراً من الهجرة جنوباً لأن النصف الشمالى من القارة كان تحت السيادة الجنسية للحاميين بينما كان النصف الغربى تحت السيادة الجنسية لزنوج الغابات أو الزنوج الحقيقيين أو الزنوج السودانيين على اختلاف فى التسمية . وأخيراً نجد بجنوب أفريقيا جماعات ذات شكل غريب وأصل غامض يمكن اعتبارها نفايات من أجناس شديدة القدم . ومعنى هذا أننا نستطيع أن نميز فى جنوب أفريقيا بين العناصر الجنسية الآتية :

١ — البشمن .

٢ — الهوتنتوت ،

٣ — البانتو .

جماعات غامضة الأصل .

أما البشمن فإن صفاتهم كما يأتى : —

شعر قصير جداً يتكور فى عقد صغيرة فيترك أجزاء جرداء من الشعر بين هذه العقد ، شعر الجسم قليل ، الجلد فاتح أو أصفر مائل للسمرة،القامة ١٤٥ سم الأرداف عظيمة التضخم ، الأيدى والأقدام صغيرة ، والرأس صغيرة ذات قمة هابطة وهى متوسطة منخفضة ، والوجه مسطح معين الشكل ، عظام الخدين بارزة والشفة العليا محدبة والأنف فطساء جداً والعيون غالباً ضيقة وذات ثنية مغولية وليس للأذن صرصور .

وقد كان البشمن ينتشرون فى كل جنــوب أفريقيا ثم انحصروا الآن فى صحراء كالهارى . ويمكن اعتبار البشمن الجنوبيين وهم الذين يعيشون فى جنوب نهر مولوبو Molopo أكثر نقاء ، أما شمــال هذا النهر فإن القامة تطول ثم تزداد طولا كلما تقدمنا شمــالا أو شرقا نتيجة لاختلاطهم بالبانتو ، ومع أن البشمن قصار القامة عادة فقد قيل إن كثيرين من بشمن مستعمرة الكاب الذين يستطيعون الحصول على كميات أوفر من الصيد لهم قامة عادية جداً ، وحتى فى الوقت الحالى إذا أخذ أطفال منحدرون من أبوين قصيرين من البشمن وربيا فى مزرعة غنية وغذيا جيداً فإن قامتهم تطول .

وتوجد جماعة تسمى رواد الشواطىء Strand - Eoopers وليست هذه

الجماعة جنساً مستقلا وإنما هم من البشمن، وكان من عاداتهم الذهاب إلى الشاطىء لجمع القواقع وأكلها كما يدل على ذلك مخلفات الطعام على طـــول ساحل جنوب أفريقيا . ولا يمكن التفرقة بين جماجمهم وبين جماجم البشمن ولو أنها أعرض بعض الشيء ولكنها تشبهها فى أنها رأس متوسطة صغيرة الحجم ، هابطة القبو ، كما أن الوجه متناسب وهذه الجماعة المنقرضة يمكن أن تسمى البشمن الساحليون.

أما الهوتنتوت فانهم يشبهون البشمن فى صفاتهم الخارجيـــة مثل الأنف المسطحة ولكن شعرهم أكثر غـــزارة كما أنه يمكن تمييزهم من رءوسهم الطويلة الضيقة ثم العالية نسبياً . ومن الجائز أنهم انحدروا من أصل واحـــد ، وصفات الهوتنتوت هى كما يأتى :

البشرة صفراء مشربة بحمرة خفيفة ، طـــول القامـــة ١٦٠ سم ، تضخم الأرداف موجود أحيانـاً ، الظهر محدب ، الأيدى والأقدام صغيرة . والرأس صغيرة مستطيلة وعالية، والوجه متناسب غير متناسب مع الرأس بعض الشيء. عظام الخدين شديدة البروز الذقن صغـــيرة ، الأنف مسطح عريض ، الآذان غالباً بلا حلمات .

ويستنتج من هذا أن الهوتنتوت أطول من البشمن ورأسهم عموماً أطول وأضيق وأعلى ، والوجه أقل انسجاما ، وهم فى هذه الصفات يقتربون من زنوج جنوب أفريقيا ، ولكن هذا الاختلاط — على فرض حصوله مع أى جنس من الأجناس — كان قديماً جداً وتدل الهياكل القديمة التى للهوتنتوت النقى على أنهم جنس طويل قـــوى ، مستطيل الرأس عاليها ، منخفض الجبهة ، والأنف بارز عريض والوجه بارز بعض الشيء ، ويوجـــد بهم عدم تناسب فيما تحت الأنف . وتوجد جماعة تسمى الكورانا Korona تسكن وادى الأورانج والفال

ويقال إنها وصلت إلى هذا المكان منذ مائتى عام يمثلون هجرة شرقية مستقلة وقدت من الشمال ويعتبرون عادة كفرع من الهوتنتوت ، ويظهر أنهم كانوا فى الأصل ينتمون إليهم غير أنهم يختلفون عنهم فى شدة سواد البشرة وفى كثرة الشعر على الرأس والوجه ، وفى ضخامة تقاطيع الوجه وشدة عرض الرأس ، ويستنتج من هذه الصفات أن جماعة الكورانا تأثرت بدماء أجنبية ، وقد يكون هذا الاختلاط حدث فيهم شمال هذه المنطقة ثم وصلوا إليها بعد اكتساب هذه الصفات . ومن صفاتهم أيضاً أن حافتى الحاجبين شديدتا البروز وهى صفة لاتوجد عند أى جنس من أجناس جنوب أفريقيا الحاليين .

وكذلك وجدت بعض جماجم تمتاز بشدة بروز الحاجبين إلى درجة شبيهة بما يوجد عند الجنس الاسترالى ولكن الجبهة أكثر انسجاماً من جبهة الاسترالى كما أن قبو الجمجمة يختلف عن البانتو والاسترالى فى هبوطه وهى صفة بدائية تدلى على وجود جنس قديم منحط الصفات الجنسية أما فى جنوب أفريقيا أو فى أى إقليم آخر مر به الهوتنتوت فى طريقها نحو الجنوب فاختلطوا بهم وكان من نتيجة هذا الاختلاط ظهور هذه الفئة القليلة .

أما شعوب البانتو بجنوب أفريقيا فهم من الزنوج الذين اختلطوا قديماً بالحاميين منشأ شعب خليط تتباعد فيه الصفات فى بعض الأحيان تباعداً عظيما . فبعض جماعاته أقرب للحاميين وأخرى أقرب للزنوج ، غير أن بعض الصفات الزنجية تسود الجميع مثل حالة الشعر . ويظهر الدم الحامى واضحا عند الزولو والقبائل المجاورة فى ضيق الأنف نسبياً ، وقد دخل تعديل آخر على صفات البانتو فى مناطق مختلفة نتيجة اختلاطهم بالبشمن والهوتنتوت .

وقد حدثت هجرات شعوب البانتو من منطقة البحيرات الأفريقية فى فترات مختلفة ويمكن التمييز بين ثلاث مجموعات من البانتو فى جنوب أفريقيا .

(أ) القبائل الشرقية وتتألف من الأمازولو Ama Zulu والأماكسوزا Ama Xosa وهـــذه القبائل عبارة عن هجرة جاءت من الشمال إلى ساحل الشرقى حوالى القرن الخامس عشر ، ويمتد فرع من الشعوب الشبيهة بالزولو حتى قرب خط الاستواء .

(ب) القبائل الوسطى وتتألف من البتشوانا Be Chuana وتسكن هذه القبـائل الإقليم الأوسط بهضبة جنوب أفريقيا أى فى بتشوانا لاند وما جاورها ولما وصل البتشوانا إلى هذا المكان وجدوا البشمن قد سبقوهم إليه .

(ج) القبائل الغربية وتتألف من جماعات الأوفاهيرورو Ova Heroro والأوفامبو Ovampo وتسكن هذه القبائل إقليم دامار الاند .

وإذا أردنا أن نربط بين المعلومات المستمدة من علم الآثار وبين المعلومات المستمدة من علم الشعوب نجد أن الآلات المكتشفة بهذا الإقليم تتفق مع مايرويه البشمن من أنهم ليسوا أول من سكن جنـــوب أفريقيا بل سبقهم إلية قـــوم شداد كانوا يستخدمون آلات ضخمة من الحضارة تختلف عن آلات البشمن ، ثم جاء بعد ذلك البشمن الصيادون الرحل . ولـكن حينما بدأ التاريخ المكتوب لجنوب أفريقيا نجد أن الهوتنتوت الرعاة الرحل قـــد طغوا عليهم ويظهر أن هؤلاء تلقوا ماشيتهم فى نفس الوقت الذى تلقوا فيـه الصفـات الحامية فى لغتهم وكان ذلك فى منطقه البحـــيرات ، كما يظهر أنهم فى هجراتهم نحو الجنوب عبروا أعالى الزمبيزى ثم تتبعوا الساحل الغربى نحو الجنـــوب حتى وصلو إلى الساحل الجنوب . ومعنى هذا أن الإقليم الذى يعرف الآن باسم مستعمرة الكاب كان حتى سنة ١٦٥٢ — أى قبل نزول الهولنديين فى هذه المنطقة — مسكونا بالبشمن والهوتنتوت وحدهم ، ثم نزل الهولنديون بهذا المكان فدفعوا هذه الشعوب نحو الشمال ، ولـكن شعباً خليطاً قد نشأ نتيجة اختلاط البوير مع الهوتنتوت بصفة

خاصة ، وقد اضطر هذا الخليط إلى الهجرة أيضاً نحو الشمال ، وتقيم فى الوقت الحالى هذه الجماعات الخليطة جنوب دامارالاند . ويمارس البانتو الزراعة إلى جانب قيامهم برعى الماشية ، أما حرفة الرعى فقد تلقوها عن الحاميين وأما حرفة الزراعة فقد أخذوها عن جدودهم الزنوج ، ولكن الماشية أهم لديهم ، ومن النادر أن تتحول جماعة منهم إلى جماعة زراعية صرفة .

أما عن الجماعات الغامضة الأصل فيوجد فى القسم الجنوبى من أفريقيا عدة جماعات تختلف عن البانتو منها جماعة الكاتيا أو الوالبن Vaalpens (Kattea) فى منطقة الاستبس من شمال الترانسفال حتى اللمبوبو ، ويثير هذا الشعب عدة مشاكل جنسية إذ أن بشرتهم سوداء داكنة وقامتهم حوالى ١٢٢ سم ومعنى هذا أنهم يختلفون عن البانتو من حيث القامة ، فالبانتو طوال كما يختلفون عن البشمن من حيث اللون فالبشمن صفر ، ويسميهم الزولو الكلاب أو الصقور ، ويصفونهم بأنهم أحقر الحقراء . ويمكن أن نضيف إليهم الأقزام الموجـــودين على نهر نوزوب Nosob غرب كلهارى الذين يوصفون بأن قامتهم ١٣٢ سم أو أقل وأن لونهم أسمر مشرب بحمرة ، وأن جبهتهم متراجعة وفمهم بارز . وينكر البشمن أن لهم علاقة بهؤلاء ، ويقولون عنهم إنهم قردة وليسوا ببشر .



الفصل الرابع

أجناس الأمريكتين

تختلف الجغرافيا الجنسية للأمريكتين عنها فى القارات الأخرى ، إذ نجد فى الأمريكتين شعوبا أصلية تؤلف أقلية السكان وشعوبا دخيلة تؤلف أغلبية السكان، وهذه الشعوب الدخيلة لا ترجع هجراتها إلى أمريكا إلى أبعد من القرن السادس عشر الميلادى وهو تاريخ حديث جداً بالنسبة لعصور النزحات الجنسية .

فأما الشعوب الأصلية بأمريكا فهم .

(ا) الإسكيمو

(ب) الهنود الحمر

وأما الشعوب الدخيلة فهم :

(ا) الأوروبيون البيض

(ب) الآسيويون الصفر

(حـ) الأفريقيون السود

على أن الجنسين القديمين بأمريكا وهما الإسكيمو والهنود الحمر وفدا أيضاً من الخارج — من آسيا — ولكن فى تاريخ قديم ، ربما حينما كان الاتصال البرى مازال قائما بين القارتين . وفى الوقت الحالى لا يزيد عمق بحر بيرينج فى معظم جهاته عن ثلاثين قامة ، بل يمكن الإبحار من آسيا إلى أمريكا الشمالية فى طريق لا يزيد عمقه عن عشرين قامة وهو يعادل أربعين متراً . ويكاد يكون من المحقق

أنه كانت هناك قنطرة أرضية بين آسيا وأمريكا ، ربما كانت تظهر لفترة طويلة ثم تختفى ، وقد تكرر ظهورها واختفاؤها حسب العلاقة بين مستوى اليابس والماء فى الأدوار الجليدية البليستوسينية والفترات الدفيئة التى تخللتها . ويمكن القول بناء على تشابه الثدييات على جانبى مضيق بيرنج أن هذه الثدييات كانت تنتقل بين أمريكا وآسيا خلال عصر البليستوسين . ولا يتأتى لها هـــذا إلا بوجود معبر برى بين القارتين وقياسا على هذا يمكن القول أن الإنسان القديم كان فى استطاعته أن ينتقل إلى أمريكا لولا أن الظروف المناخية لم تسمح له بذلك ، فلما تحسنت هذه الظروف فى أواخر عصر البليستوسين بعد تقهقر جليد الفرم هاجر الإنسان إلى هذه القارة .

ومن بقايا هذه القنطرة القديمة جزر ديوميد التى يبلغ طولها فى الوقت الحالى ستة أميال ويبلغ أقصى ارتفاعها فوق سطح البحر ١٥٧١ قدما . ولا يزيد البعد بين القارتين على امتداد هذه الجزر عن خمسة وعشرين ميلا حتى إنه يمكن رؤية شاطىء أحدهما من الأخرى فى اليوم الصحو ، وأضيق جزء فى المضيق بين أيستكيب بآسيا وبين كيب برنس أف ويلز بأمريكا وكذلك يمكن الانتقال بين القارتين عن طريق جزر ألوشيان Aleutian وجزر كوماندورسكى Komandorsky ولكنه طريق أصعب لأنه أطول .

ولقد ظل الطريق عبر القارة الأمريكية من المحيط الهادى إلى المحيط الأطلسى — أى عبر الاسكا وكندا — مقفولا مدة طويلة بسبب الغطاء الجليدى البليستوسينى ولكن يرى الباحثان E.Antevs W. Johnsen أنه خلال النهاية العظمى للدور الجليدى وسكونسين Wisconsin — وهو المعاصر لدور فرم الأوروبى — كانت كتل الجليد متماسكة بشمال أمريكا وبذلك كان الانتقال عبرها مستحيلا لاسيما وأن الغطاء الجليدى فى أمريكا الشمالية فى دور وسكونسين تقدم نحو الجنوب بمقدار

عشر درجات عن غطاء فرم فى أوروبا . ولكن لم يلبث الغطاء الجليدى الأمريكى أن تمزق فى مرحلة مبكرة من مراحل تراجع الجليد فى هذا الدور الأخير ، وبذلك استطاع الإنسان المتقدم من سيبريا بطريق مضيق بيرنج أن ينفذ إلى الإقليم المكشوف بغرب السهول الوسطى الأمريكية .

ويظهر أنه فى مرحلة من مراحل البليستوسين انحصر جليد الإسكا فى السلاسل الساحلية الجنوبية وفى جبال بروكس فى الشمال ، وبذلك كان الجزء الأوسط من ألاسكا خاليا من الجليد . ويرى الجيولوجيون الأمريكان أن الطريق من الاسكا إلى كندا وما بعدها كان مقفولا بالجليد من سنة ٦٥٠٠٠ إلى سنة ٣٠٠٠٠ ق . م مع احتمال حدوث ثغرة صالحة للمرور حوالى سنة ٤٠٠٠٠ ق . م .ولكن لايحتمل أن يكون الانسان قد نفذ إلى أمريكا من خلال هذه الثغرة وذلك لأنها حدثت فى وقت مبكر جدا عن الوقت الذى يفرض لوصول الموجات الأولى لأمريكا بسبب الظروف المناخية التى كانت سائدة على جانبى مضيق برنج فى ذلك الوقت . على أنه يمكن القول أن أقدم هجرة بشرية إلى أمريكا حدثت خلال دور وسكونسن الجليدى — المعاصر لدور فرم الأوروبى — ولكن فى مرحلة متأخرة جداً من مراحل هذا الدور ، ولم يكن ذلك قبل سنة ٢٠٠٠٠ ق . م حسب تقدير علماء الجيولوجيا الأمريكان. ويقول فى ذلك Antevs : « إن أول إنسان دخل أمريكا كان من النوع الحديث وربما كان ذلك فى العصر الحجرى الحديث وقد اتخذ طريقه من شمال شرق آسيا إلى الاسكا . ومن المحتمل أنه انتشر على طول القاعدة الشرقية لجبال روكى حينما وجد ممرا خاليا من الجليد وكان ذلك منذ ٢٠٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ سنة. ويظهر أنه وصل إلى جنوب غرب القارة فى فترة الانتقال بين العصر المطير والعصر الجاف وكان ذلك منذ ١٢٠٠٠ سنة تقريبا .

ولكن بعض الباحثين يرى أن هذه الأرقام مبالغ فيها وأن الانسان لم يدخل

أمريكا لأول مرة إلا فى فترة تالية لسنة ٤٠٠٠ ق . م ، ويرى آخرون أن دخول الانسان أمريكا كان حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م أى منذ أربعة آلاف عام فقط .

وتؤكد البحوث الأثرية حقيقتين :

أولا : لم تكشف بأمريكا أية بقايا بشرية أقدم من الانسان الحديث الذى تعيش أجناسه فى الوقت الحاضر .

ثانيا : ليس هناك ما يدل - من الناحيتين الجيولوجية والحيوانية - على أن الانسان نشأ نشأة مستقلة فى أمريكا .

وقد فحص إقليم الاسكان من الناحية الأثرية فحصا دقيقاً فلم يعثر فيه على أية بقايا بشرية بليستوسينية — عظيمة أو حضارية — لافى الأرض الأصلية ولافى الجزر القريبة منها ولذلك قيل عن ثقة بأن الإنسان لم يستوطن هذه الجهات قبل عصر الهولوسين Holocene أى العصر الحديث .

الشعوب الاصلية :

(١) الإسكيمو :

يعتبر الاسكيمو أقدم الأجناس التى وصلت أمريكا ، وميدان انتشارهم شمال أمريكا الشمالية . وتدل مخلفاتهم فى منطقة مضيق بيرنج على أن حركاتهم كانت محدودة خلال الألفى عام الأخيرين ، أى أنه لم تحدث هجرات بشرية هامة إلى هذا المكان خلال هذه الفترة ، وأن شمال أمريكا الشمالية ظل ميداناً خالصاً للاسكيمو طوال هذه المدة ، ويظهر أن حضارة الاسكيمو كانت فى الماضى أكثر ازدهاراً عما أصبحت عليه فى القرون الأخيرة . ولم تكن هجرة الاسكيمو آخر هجرة إلى الجهات القطبية الامريكية بل وفد إلى هـــذه الجهات شعوب أخرى تعرف باسم

الأثاباسكية Athapascans وكان ذلك منذ ثلاثة آلاف عام تقريبا ، وقد جلبوا معهم عناصر حضارية خاصة ولكن الاسكيمو كانوا أقدم عهداً وأرسخ قدما فى هذه الأقطار .

ويرى بعض الباحثين أن المعبر الأرضى بين آسيا وأمريكا كان قد تلاشى قبل هجرة الاسكيمو وأن هؤلاء استخدموا البحر فى نزحتهم إلى أمريكا ، ويستشهدون على ذلك بمهارتهم الحالية فى فنون الملاحة ويقولون إن مهارتهم هذه كانت لهم منذ القدم وأنها هى التى مكنتهم من العبور بحراً من شمال شرق آسيا إلى شمال غرب أمريكا الشمالية .

وتدل المعلومات المستمدة من الصفات الجسمانية على أن الشعوب الأصلية بأمريكا تمثل نزحات جنسية من الركن الشمالى الشرقى بآسيا ، استمرت وقتاً طويلا أثناء فترة تكون عراض الرأس فى هذه القارة ، لأننا نجد بين السكان الأصليين بأمريكا درجات متعاقبة من عرض الرأس من بينها رؤوس صغيرة تمثل أقدم هذه النزحات ، ويعتبر الاسكيمو إحدى هذه النزحات القديمة ، وأحسن من يمثلهم اسكيمو خليج هدسون ويعتبر إقليم خليج هدسون منطقة تخصص ثانية لهم ؛ أما الاسكيمو فى غرب نهر ماكنزى فإن القامة عندهم أطول (١٦٨ سم) والرأس أعرض (نسبة ٨٠) .

وصفات الاسكيمو هى : شعر مستقيم أسود ، قامة متوسطة (١٥٨ سم) ؛ رأس مستطيلة (نسبة ٧٢) ، وجه مسطح شديد العرض وعظام الخدين بارزة الأنف ضيق وبارز قليلا ، العين مستقيمة وسوداء ، الأيدى والأقدام صغيرة بشكل ظاهر . والاسكيمو الغربيون أطول (١٦٨ سم) فرأسهم متوسطة أو عريضة (٨٠) وهابطة . وكذلك اسكيمو الاسكا رأسهم متوسطة (٧١) وقامتهم ١٦٤ سم .

وينتشر الاسكيمو على الساحل القطبي بأمريكا الشمالية أى فى لبرادور وحول خليج هدسن وفى ألاسكا كما يوجدون فى جزيرة بفن Baffin وفى جرينلنده وكانوا قديماً يمتدون نحو الجنوب على ساحل المحيط الأطلنطى حتى ولاية ماساشوستس Massachusetts كما كانوا يمتدون حتى الركن الشمالى الشرقى من آسيا ولا زالت منهم جماعات فى جزر الوشيان .

وكان الاسكيمو فى وقت كشف الأوروبيين للقارة — كما هم فى الوقت الحاضر — يسكنون أطرافها الشمالية والجزر القطبية ولبرادور . ولقد حافظ الاسكيمو على عاداتهم القديمة ولم ينقلوا إلا قليلا من عادات الأوروبيين الذين اتصلوا بهم تجاراً كانوا أو سائحين .

ومناخ هذه الأصقاع القطبية شديد القسوة لا يغرى أحداً بالهجرات إليه ومن أجل هذا بقى الاسكيمو فى هذه الأصقاع وحدهم لا ينافسهم فيها أحد . ويعطى الاسكيمو لأنفسهم لقب « الانويت » ومعناه الشعب وهذا يشير إلى أنهم يعتبرون أنفسهم الشعب المختار من دون جميع الناس . وتربتهم مقفرة لا تجود إلا بالقليل من الخيرات ولذلك يلجأ الاسكيمو إلى السواحل ممارسين حرفة الصيد ومتخذين لهم قوارب من نوع خاص تسمى الكاياك .

ورغم ظروف البيئة القاسية نجد بنية الاسكيمو متينة صلبة ، ولهم وجوه مستديرة وشعر أسود مستقيم وتظهر فيهم العين المغولية بوضوح . ولا غرابة فى هذا فهم أسيويون هاجروا إلى أمريكا عبر مضيق بهرنج .

ورغم متانة بنيانهم فإنهم آخذون فى الانقراض ويعزى ذلك إلى اختلاطهم بالرجل الأبيض وأخذهم عنه عادة شرب الخمور ثم نقلهم منه جراثيم أمراض لا قبل لهم بمقاومتها ، ومن أجل هذا يموت من الاسكيمو كثيرون .

(ب) الهنود الحمر :

العنصر الأصلى الثانى بأمريكا هو الهنود الحمر .

ويطلق هذا التعبير على جميع سكان أمريكا الأصليين جنوب منطقة الاسكيمو وهم بذلك ينتشرون فى مساحات واسعة فى الأمريكتين ويشغلون أقطاراً متباينة فى ظروفها الجغرافية من سطح ومناخ ونبات ، ومن أجل هذا تتباين قبائلهم عن بعضها تبايناً شديداً فى الشكل والعادات . ولكن الشكل السائد فيهم هو البشرة السمراء النحاسية ، ومن أجل هذا كانت تسميتهم بالحمر ، وطول القامة ؛ وسواد الشعر وطوله واستقامته ، وعمق العين وسوادها ، ثم بروز الأنف ؛ وفى بعض الأحيان يبرز الفك الأسفل .

ولقد تضاءل عددهم منذ غزو الأوروبيين للقارة لأن هؤلاء سلبوا أرضهم وحدوا من حركاتهم لاسيما فى أمريكا الشمالية . وأما فى أمريكا الوسطى فإن المناخ أقل ملاءمة للأوروبيين ولذلك نجد الهنود يحتفظون بكيانهم فيها إلى حد كبير . ولما كشف الأوروبيون القارة وجدوا بعض قبائل الهنود فى حالة وحشية تامة ووجدوا آخرين على شيء من المدنية فى الجزء الذى يشغله الآن جنوب غرب الولايات المتحدة والمكسيك ، ولكن أرقاهم مدنية كانوا قبائل أمريكا الجنوبية ولا سيا فى هضاب الانديز .

ولقد تعرض الهنود الحمر لما تعرض له الاسكيمو من انقراض بسبب اتصالهم بالأوروبيين ونقلهم عنهم الأمراض والمشروبات الروحية ، ولكن الهنود الحمر سرعان ما استعادوا توازنهم ، وأخذت أعدادهم فى الكثرة من جديد . وتختلف درجة ما طرأ عليهم من تغير حسب درجة اتصالهم بالأوروبيين ، ففى أمريكا الوسطى ، والمكسيك ، وجنوب غرب الولايات المتحدة ، كان هنودها

عند مجيء الأوروبيين ، على مستوى من الحضارة أعلى من جيرانهم من القبائل الهندية الأخرى .

ولكنا نجد فى الوقت الحاضر فى نيومكسيكو وأريزونا والمكسيك بعض الهنود مازالوا فى نفس المستوى الحضارى الذى وجدهم عليه الأسبان حين كشفهم القارة ، وتفسير هذا أن جهاتهم قاحلة فتجنبها المستعمرون، كما تجنبوا الجهات التى يسكنها الأسكيمو . ولقد عمل الأوروبيون على دفع الهنود نحو الغرب كلما تقدموا غربا فى استعمارهم القار ، وبطبيعة الحـــال أدى ذلك إلى معارك عنيفة ومذابح عديدة ، ولكن هزم الهنود فى النهاية بسبب تفوق البيض العددى على مر السنين ، ويوجد فى الوقت الحالى حوالى مائة ألف من الهنود الحمر فى كندا وحوالى ٣٥٠ ألف فى الولاية المتحدة وألاسكا . وأما فى المكسيك ، وأمريكا الوسطى ، فإن النزاع لم يقم بين الأسبان وبين الهنود ، بل اندمج الطرفان ببعضهما . بينما لم يحدث مثل هذا الاندماج فى الشمال — فى كندا والولايات المتحدة — بل انحصر الهنود فى بقع خاصة بعضها فى الشرق ، وأخرى فى الغرب . ففى كندا ، مازالت جماعات من الهنود تتحول بحرية تامة فى جبال روكى ، وفى غابات خليج هدسن تمارس حرفتها السابقة وهى صيد البر وصيد البحر ، ولكن معظم هنود كندا يعيشون فى مناطق محجوزة لهم تحت إشرف الحكومة، فإذا ما أريد الاستيلاء على بعض هذه المناطق لكى يستغلها الرجل الأبيض، فإنها تؤخذ بطريق الشراء ويخصص ثمنها "صرف منه فى شئون الهنود العامة كالتعليم والصحة وإنشاء المساكن وغير ذلك . ويقدر عدد الأطفال الهنود الذين فى المدارس الصناعية الكندية بحوالى عشرة آلاف ، كما أن كثيرين من الهنود أصبحوا زراعاً ناجحين . ولقـــد كانت مشكلة الهنود الحمر فى الولايات المتحدة أكثر تعقداً منها فى كنـــدا لأن مناطقهم التى انحصروا فيها تنتشر فى جميع جهات هذه الدولة، وإن كان أكبر هذه المناطق يوجد شمال تكساس،

ولذلك تعرف باسم «منطقة الهنود» . وكان هدف الحكومة أن يعيش الهنود معيشة استقرار وأن يعمهم الرخاء . ولذلك صرفت عليهم أموال طائلة كما هو الحال في كندا

ولقد أبرمت حكومة الولايات المتحدة معاهدات مع القبائل المختلفة ؛ وفي بعض بنود هذه المعاهدات تتعهد الحكومة بتزويد كل هندي بالغذاء والكساء ، ويقيم مندوبون عن الحكومة بمناطق الهنود للإشراف على توزيع هذه المواد . وكان لهذه الطريقة نتيجتان مختلفتان باختلاف القبائل والأفراد ، فبعض القبائل وبعض الأفراد شجعهم عناية الحكومة بهم على تحسين شئونهم والعناية بمزارعهم وتعليم أولادهم ، بينما آخرون أغراهم كرم الحكومة فعمدوا إلى الكسل ليقينهم بأن الحكومة لن تتركهم يموتون جوعا . على أن فشل هذه الطريقة لاينبغي أن يقع على عاتق الهنود وحدهم ، إذ في بعض الأحيان تكون الأرض المعطاة للأسرة الهندية غير خصبة ، أو يكون عمال الحكومة غير أمناء في توزيع الإعانات . ويمكن أن يضاف إلى العوامل التي أدت إلى فشل « نظام المناطق الخاصة بالهنود » عدم قبول الهنود لحياة الاستقرار المحاطة بالقيود وإصرارهم على حياة الخلاء وممارسة حرفة صيد البر والبحر حيث الحرية المطلقة .

وتعتبر قبائل الأزتك من أشهر القبائل التي وجدها الأسبان في فترة غزوتهم القارة . وقد وصفوا حينذاك بأنهم على شيء كبير من الحضارة . وكانوا يحتلون مايعرف الآن بمدينة المكسيك ويفرضون نفوذهم وسيادتهم على الجهات المحيطة بهم . ولكن رغم رقيهم الذي يتمثل في معرفة حرفة التعدين وصناعة أشياء دقيقة من الذهب والفضة ، وفي معرفة فلاحة الأرض وزراعة القطن والذرة والسكر ، ثم في استنباطهم لبعض طرق الري ، فإنهم لم يكونوا قد عرفوا الحيوانات المستأنسة ، ولذلك يقال إنهم كانوا يأكلون لحوم البشر .

ويشبه الهنود الحمر كثيراً من الجماعات الآسوية التى تنتمى لمجموعة الأجناس المغولية مثل جماعات وسط آسيا والتبت وجزر الهند الشرقية وسائر الجماعات التى لم تتطور فيها الصفات المغولية إلى الدرجة الكاملة التى نجدها عند الصينيين .

ويمكن القول أن كل الهنود الحمر يتشابهون فى صفات معينة، فلهم عيون سود وبشرة سمراء خفيفة . والشعر نادر أو معدوم على الجسم والوجه، وأما شعر الرأس فأسود مستقيم أو مموج قليلا. كما أن كل الهنود لهم وجوه عريضة وعظام خدود عالية، ويلاحظ أن كل هذه الصفات تربط الهنود الحمر بمجموعة الأجناس المغولية .

ولكن فى صفات أخرى يختلف الهنود الحمر فيما بينهم اختلافاً كبيراً فبعض مجموعاتهم شديدة طول القامة وبعضها قصيرة القامة ، كما أن بعضها طويل الرأس والبعض الآخر عريض الرأس ، وبعضها له أنف ضيق عال والبعض الآخر له أنف قصير عريض ، مع أن ميل العين المغولى منتشر بينهم إلا أنه أكثر وضوحا فى بعض الجماعات عنه فى البعض الآخر .

وتعتبر جماعات الهنود الحمر فى ولاية نيوانجلند أبعد جماعاتهم عن الصفات المغولية حتى ليخطئهم الإنسان كأوروبيين ، وأما هنود السهول الوسطى فوجههم شديد العرض فى منطقة عظام الخدود وأنفهم ذو منظر خاص ولذلك فهم أقرب فى هذه الناحية من الشكل المغولى . وكلا هاتين المجموعتين — فى نيوانجلند وفى السهول الوسطى — طويلة القامة والرأس . بينما جماعات الهنود على طول الساحل الغربى فى المرتفعات أو فى المنخفضات يتصفون بقصر القامة وعرض الرأس . وهذا مثل للتباين فى الصفات الجسمانية بين جماعات الهنود فى أجزاء أمريكا المختلفة وواضح من هذا أن الهنود الحمر يتشابهون فى الصفات الواضحة كلون الشعر والبشرة والعين ويتباينون فى الصفات الأخرى أى التى تحتاج لمقاييس مثل طول مقامة وشكل الرأس ، ومن أجل هذا يظهر الهنود لأول وهلة كجماعات متشابهه فى صفاتها الجنسية ولكن لا يلبث أن يظهر للباحث المدقق أنهم يختلفون فيما بينهم اختلافاً عظيما يفوق الاختلافات الموجودة بين سلالات الجنس الأبيض .

الشعوب الدخيلة :

(ا) الهجرات الأوروبية والأسيوية الحديثة .

أول من وصل أمريكا من الأوروبيين هم المستكشفون الأسبان دى سوتو De Soto وكورونادو Coronado وكابيزا دى فا كا Cabeza de Vaca الذين نقلوا إلى العالم الأوروبى صورة جذابة لهذه القارة بسهولها العظيمة وأنهارها الكبيرة وسكانها من الهنود الحمر ، وكان ذلك فى أوائل القرن السادس عشر ثم جاء بعد ذلك صيادوا السمك الفرنسيون فكشفوا منطقة الصيد المشهورة التى تقع فى شمال شرق أمريكا الشمالية .

ثم فى أوائل القرن السابع عشر (بين سنة ١٦٠٧ وسنة ١٦٢٠) جاءت إلى أمريكا مجموعتان من بريطانيا استقرت إحداهما فى جيمستون Jamestown فى ولاية فرجينيا Virginia واستقرت الأخرى فى بليموث Plymouth فى ولاية ماساتشوستس Massachusetts :

ثم أخذت أفواج المهاجرين تتدفق إلى أمريكا لا من الجزر البريطانية فحسب بل من جميع أرجاء أوروبا فجاء اليونان إلى أزمير الجديدة Mew Smyrna فى فلوريدا وجاء الهولنديون إلى الأراضى الواطئة الجديدة New Netherlands وجاء السويديون إلى ديلاوارى Delaware وجاء الفرنسيون إلى دارولينا الجنوبية Carolina ونزح الأسبان إلى فلوريدا ونيومكسيكو وكاليفورنيا ونزح الايرلنديون والاسكتلنديون والألمان إلى بنسلفانيا Pennsylvania . وكلما جاءت سلالة جديدة جلبت معها صفاتها وعاداتها ولون بشرتها ومهارتها فى فن من الفنون ولم تأت سنة ١٧٧٦ حتى كانت فى منطقة ساحل المحيط الأطلنطى ثلاث عشرة مستعمرة تمتد حوالى ألف ميل من ماين Main إلى جورجيا ويسكنها حوالى مليونين من

السكان يظلهم جميعاً العلم الإنجليزى ولو أنهم من سلالات مختلفة ولقد انتشروا شمالا وجنوبا كما توغلوا فى داخل القارة متتبعين مجارى الأنهار ، ولكنهم لم يكونوا قد تدفقوا بعد إلى المساحات الفسيحة فى قلب القارة إذا حالت دون ذلك جبال الابلاش التى تمتد إلى مسافات طويلة بموازارة الساحل الشرقى .

ويعرف بعض الكتاب الرجل الأمريكى فى أواخر القرن الثامن عشر بقوله (الرجل الأمريكى هو إما أوروبى أو من سلالة أوروبية ولهذا ترى هذا الخليط العجيب من دماء شعوب مختلفة مما لا نظير له فى أية أمة أخرى ، ويمكننى أن أدل على أسرة كان الجد فيها انجليزياً وزوجته هولندية وتزوج ابنه من فرنسية وولد له أربعة أبناء تزوجوا من أربع زوجات من شعوب مختلفة . فهنا اختلط أفراد من أمم مختلفة . وامتزجت دماءهم فنشأ عن ذلك شعب جديد .. إلخ) .

ثم دب النزاع بين الولايات الثلاث عشرة وبين الحكومة الإنجليزية وانتهى الأمر بانتصار الأمريكيين . وأعلن استقلال أمريكا فى ٤ يولية سنة ١٧٧٦ واتحدت الولايات الثلاث عشرة فى سنة ١٧٨٣ ثم اشتريت لويزيانا من فرنسا سنة ١٨٠٣ وانضمت إلى الاتحاد إحدى عشرة ولاية أخرى وتم ذلك فى سنة ١٨٢١ ، ثم انضمت إليه تكساس ونيومكسيكو وكليفورنيا سنة ١٨٤٦ ثم اشتريت ألاسكا من روسيا سنة ١٨٦٧ وتعد ألاسكا اليوم تابعة للولايات المتحدة وبذلك وجد شعب أمريكى ينتشر من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادى وأصبحت الولايات المتحدة أكبر أممه على النحو الذى عليه فى الوقت الحاضر . وبذلك يكون قد تجمع فى أمريكا من العناصر الأوروبية ما يأتى :

الأسبان : وهؤلاء تجاوزوا الأراضى الضيقة فى المكسيك وأمريكا الوسطى وتابعوا كشفهم نحو الشمال على طول الساحل الغربى فامتدت مناطقهم من المكسيك حتى سان فرانسيسكو ولوس انجلوس وساكرامنتو وسيرانيفادا .. إلخ.

الفرنسيون : وهؤلاء استقروا فى حوض المسيسى وحوض سنت لورنس كما تدل على ذلك أسماء الأماكن الفرنسية نيو أورليان لويس ولويسفيل وبحيرة شامبلان ولويزيانا ... إلخ . وما زال هناك عدد كبير يتكلم اللغة الفرنسية فى شرق كندا ولا سيما فى مونتريال وكويبك .

الإنجليز : وهؤلاء استقروا فى بادىء الأمر على الساحل الشرقى ثم استولوا على المناطق التى كان قد استوطنها الهولنديون والسويديون ثم امتد نفوذهم فشمل معظم الولايات المتحدة وكندا .

وهكذا نرى سكان أمريكا الشمالية فى الوقت الحاضر يشملون الاسكيموا والهنود الحمر من السكان الأصليين والأسبان والفرنسيين والإنجليز وأقليات أخرى من الأوروبيين ثم الزنوج .

وبينما أغلبية السكان فى المكسيك هى للهنود والأسبان أو للخليط منهما ، نجد الأغلبية فى الولايات المتحدة وكندا للإنجليز والفرنسيين ثم ممثلين لجميع الأجناس الأوروبية . وفيما عدا ذلك نجد الصينيين واليابانيين ومناطقهم الرئيسية على الساحل الغربى ، ولولا التشريعات الحديثة لبلغ عددهم حداً يهددون به العناصر البيضاء بأمريكا .

على أن بعض الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية عادوا أدراجهم إلى بلادهم الأصلية وهؤلاء القوم صنفان : صنف كان يظن أن النجاح فى أمريكا الشمالية مضمون بدون جد ومثابرة وصنف كان يجهل أحوال أمريكا الشمالية فلم يكتب له النجاح فيها لعدم درايته وخبرته . والحق أن ظروف الحياة فى كندا والولايات المتحدة تحتاج مجهوداً شاقا ولكن ظروف الحياة هذه تضمن النجاح فى نفس الوقت للمجهود الذى يبذل بإخلاص وعن دراية وخبرة .

(ب) الزنوج :

اخترعت آلة الحليج الميكانيكية فى سنة ١٧٩٣ وشاع استعمالها فى الولايات الجنوبية وبذلك ارتفع إنتاج القطن فى الولايات المتحدة من ١٤٠٠٠ رطل فى سنة ١٧٩١ إلى ٨٩٠٠٠ رطل فى سنة ١٨١٠ وكان اعتماد الولايات الجنوبية قبل ذلك على زراعة التبغ والنيلة فلما اخترعت آلة الحليج الميكانيكية ازدهرت زراعة القطن وكانت أسواق العالم متعطشة إلى هذه الغلة . ولكن أهل الولايات الجنوبية رأوا استحالة زراعة القطن بوفرة بدون الزنوج فهم الذين يحتملون المناخ الحار الرطب السائد فى هـذه الولايات . وزيادة الزنوج معناها زيادة العبيد وكان الاسترقاق فى ذلك الوقت أمراً شائعاً فى ولايات الجنوب وبعض ولايات الشمال ولكن أمره لم يدم طويلا فى الشمال لعدة أسباب منها عدم ملاءمة الشمال مناخياً للزنوج ومنها أن المزارع فى ولايات الشمال مثل نيوانجلند كانت تقوم فى الغالب على جهود العائلات ، وكذلك لم يكن اعتماد هذه الولايات كبيرا على المحاصيل التى تحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة وبذلك لم يكن استخدام العبيد فى الشمال مجديا اقتصاديا بعكس الحال فى الجنوب .

وهكذا بينما كان التوسع الأمريكى يمتد نحو الغرب كان ينمو بالولايات المتحدة نظامان اقتصاديان مختلفان هما النظام الصناعى ومعه الزراعة التى يضطلع بها الأحرار فى الشمال ثم النظام الزراعى الصرف الذى يقوم على اكتاف العبيد فى الجنوب ولم يلبث أن اصطدم النظامان فى هذه الدولة الناشئة وقام النزاع بين ولايات الشمال التى نادت بإلغاء الاسترقاق وبين ولايات الجنوب التى نادت بالاحتفاظ بنظام الاسترقاق وهذا هو ما يعرف بالحرب الأهلية الأمريكية التى بدأت فى ١٢ أبريل سنة ١٨٦١ وقد تزعم الرأى الأول ابراهام لينكولن وانتهى الأمر بانتصاره ، وأدخل الكونجرس فى سنة ١٨٦٥ تعديلا على الدستور ينص على أنه

« يحرم فى الولايات المتحدة أو فى أى مكان تابع لها قضائيا الاسترقاق والخدمة الاجبارية » .

وقد دل إحصاء سنة ١٩٤٠ على أن بالولايات المتحدة ١٢٫٨٦٥٫٥١٨ زنجى أى أنهم يؤلفون حوالى ١٠ ٪ من مجموع السكان كما أنهم يبلغون قدر عدد الهنود الحمر أربعين مرة . وهم يتركزون فى الولايات الجنوبية الشرقية بصفة خاصة ، وزنوج أمريكا إذا وهم خلف العبيد الذين جلبوا من أفريقيا للعمل فى مزارع القطن وقصب السكر والتبغ والأرز فى الجهات المدارية بأمريكا حيث لا يلائم المناخ الرجل الأبيض وقد نقل بعضهم فى مبدأ الأمر إلى ولاية نيوانجلند ولكن سرعان ما تبين أنهم لا يستطيعون احتمال المناخ فى هذه الولاية الشمالية فأعيدوا إلى الولايات الجنوبية .

ولا تخلو ولاية فى الولايات المتحدة من الزنوج غير أن عددهم ونسبتهم يكثران فى الولايات الجنوبية ويقلان فى الولايات الشمالية كما يتضح ذلك من الإحصائية .

وقد انقسمت أمريكا بعد تمام استعمار الأوروبيين لها إلى قسمين كبيرين هما :

١ — أمريكا السكسونية وتشمل كندا والولايات المتحدة .

٢ — أمريكا اللاتينية وتشمل أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وجزر الهند الغربية .

ويمكن أن نلخص الظروف الجنسية الحالية بكل من القسمين على النحو الآتى :

كندا :

أول العناصر الأوروبية التى استعمرت كندا هم الفرنسيون ودخلوا إليها عن طريق سنت لورنس وانتشروا حتى المنطقة الشمالية من الولايات المتحدة وفى حوض

المسيسبي حتى مصبه ، وتدل أسماء الولايات مثل لويزيانا على مدى اتساع الاستعمار الفرنسى ، ثم حدث نزاع بين فرنسا وانجلترا انتهى بانتصار الإنجليز وتوطيد نفوذهم فى أمريكا . ومع ذلك فإن كندا ما زالت منقسمة بين الذين يتكلمون الإنجليزية والفرنسية بنسبة ٥ : ٣ وأكثر الفرنسيين الآن فى الولايات الشرقية بكندا حول كويبك ومنتريال ولم تنشأ مشاكل اجتماعية خطيرة من وجود الإنجليز والفرنسيين فى كندا كالمشاكل التى نشأت بين الإنجليز والبوير فى جنوب أفريقيا .

وبالطبع لا يستطيع عدد سكان كندا القليل أن يستثمر أراضيها الواسعة ولابد من تعديل قانون الهجرة الذى يحرم دخولها على العناصر الملونة إذا أريد استثمار البلاد على الوجه الأكمل .

الولايات المتحدة :

يختلف الحال فى الولايات المتحدة عنه فى كندا بسبب تشجيع الهجرة فى أول الأمر إلى الولايات المتحدة حتى أصبح فيها حوالى ١٣٠ مليون نسمة من العناصر البيضاء وهم يؤلفون حوالى ٨٧ ٪ من السكان . أما الباقى ١٠ ٪ فهم زنوج ، ثم الهنود وعناصر أخرى .

والسكان الأصليون بالولايات المتحدة هم الهنود (وهم حوالى ٤٠٠ ألف) وكانوا مضطهدين أيضاً حتى الفترة الأخيرة إذ وجدت موجة تحمس فى صالحهم وأخذت الحكومة تشجعهم على النزول فى الأقليم الأوسط من غرب الولايات المتحدة ، ولا يوجد هنود مستقرون شرق المسيسبي ومعظمهم يستقر فى ولاية أوكلاهوما فى غرب السهل الأوسط وكذلك فى ولايتى كنساس ونبراسكا . وبعض

البيض يختلطون بالهنود ولا يوجد الآن تحامل ضد ذلك ونتيجة لهذا نجد أن عدد الهنود آخذ فى الزيادة من جديد .

ولما دخلت العناصر البيضاء الولايات المتحدة فى القرون الاربعة الأخيرة وجدت الهنود ينتشرون فيها ويحترفون رعى الثور الأمريكى ، وقد خاف الهنود على موارد رزقهم فحاربوا البيض حرباً قاسية وقابلهم البيض بالمثل وأدى هذا إلى عدم سهولة استيطان البيض بأمريكا فى أول الامر ، فحتى سنة ١٧٩٠ لم يكن عدد البيض بالولايات المتحدة يتجاوز أربعة ملايين أغلبهم من الإنجليز ، ولم يدخل الإنجليز ، أمريكا إلا متأخرين بعد الهولنديين والفرنسيين والأسبانيين . ويوجد الأسبانيون فى جورجيا وفلوريدا وكارولينا (نسبة إلى كارل الخامس ملك أسبانيا) ثم أخـــذ الإنجليز فى الازدياد حتى بعد أن استقلت الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ ، واستمر عددهم فى الصعود حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر ثم بعد هذا التاريخ نجد عناصر أخرى تهاجر إلى الولايات المتحدة مثل الإيرلنديين : إذ حصلت فى إيرلندا سنة ١٨٤٠ مجاعات وأوبئة فاضطر عدد كبير من السكان إلى الهجرة إلى أمريكا . وكذلك هاجر إلى أمريكا عدد كبير من الألمان فى الثلث الاخير من القرن ١٩ وانتشروا فى منطقة البحيرات وخصوصاً حول متشجن وشيكاغو ثم انتشروا جنوباً فشغلوا أجزاء من المسيسبي والمسورى حتى خط عرض ٣٧ شمالا ولم يتعدوا هـــذا جنوباً ، أما الإنجليز فقد توغلوا كثيراً نحو الجنوب .

ثم فى أوائل القرن الحالى أخذت عناصر جديدة تهاجر إلى الولايات المتحدة فكان يصل الولايات المتحدة بعد ١٩٠٠ حوالى مليون فى العام ، وبلغ عدد هؤلاء المهاجرين الجدد فى الفترة ما بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩١٠ ثمانية ملايين نسمة أى حوالى سبع السكان فى هذا الوقت . وهذه العناصر الأخيرة وفدت من أقاليم شرق

أوروبا وجنوبها كروسيا ويوغوسلافيا والمجر واليونان وإيطاليا وهى عناصر فقيرة وجاهلة فى أغلب الأحيان ، وليست فى مستوى الشماليين الذين كانوا يهاجرون إلى الولايات المتحدة قبل هذا التاريخ كالإنجليز والألمان والفرنسيين .

ثم بسبب الضيق الاقتصادى الذى تعرضت له أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى نجد أفواجاً من المهاجرين تقصد الولايات المتحدة فراراً من الفقر والبطالة.

وهكذا تعددت العناصر الجنسية بالولايات المتحدة ، ففيها أقوام من جهات أوروبا المختلفة من شمالها وجنوبها ومن غربها وشرقها ، وفيها سكان أصليون من الهنود الحمر . وفيها زنوج منقولون من أفريقيا . وكان طبيعياً أن تنشأ من جراء ذلك عدة مشكلات تحاول الحكومة حلها بمختلف الطرق . ويمكن أن تقسم هذه المشكلات إلى نوعين :

(ا) مشكلات جنسية نشأت عن الاختلاف فى الجنس وتشمل المشكلات بين الأوروبيين والهنود الحمر ثم بين الأوروبيين والزنوج .

(ب) مشكلات اجتماعية نشأت بين الأوروبيين وبين بعضهم بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى الأوطان الأصلية التى وفدوا منها .

فأما المشكلات الجنسية فقد حل منها ما قام بين الأوروبيين والهنود الحمر ويمكن القول أنه لم يصبح لهذه المشكلة وجود فى الوقت الحاضر لاسيما وأن عدد الهنود ونسبتهم أصبحا من الضآلة بحيث لا يثير أية مشكلة .

وأما ما قام من المشكلات الجنسية بين الأوروبيين والزنوج فما زال قائماً وقد فشلت جميع الاقتراحات التى قدمت لحلها وهذه هى المشكلة الجنسية الحقيقية فى أمريكا كلها شمالها وجنوبها . ومما ساعد على إبراز هذه المشكلة كثرة عدد الزنوج

ووصول نسبتهم فى بعض الولايات إلى أكثر من نصف عدد السكان كما يتضح ذلك من الإحصائية .

فأما المشكلات الاجتماعية بالولايات المتحدة فنشأت من أن العناصر الأوروبية التى وفدت من وسط أوروبا وشرقها تختلف عن العناصر السكسونية فى الثقافة والعادات ومستوى المعيشة ، ولهذا لم تنسجم مع هـذه العناصر السكسونية بصفة عامة .

وقد حاولت الحكومة علاج هذه الحالة بنظام الحصص الذى بمقتضاه يكون لكل دولة حصة من المهاجرين لاتتعداها سنويا وتتناسب مع عدد ما كان لهذه الدولة فى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ . ومعنى هذا أن يكون للعناصر السكسونية الحصة الكبرى من المهاجرين وبذلك يعود الانسجام بين سكان الولايات المتحدة ويقل خطر العناصر الأوروبية الشرقية .

أما أمريكا اللاتينية فتشمل المكسيك وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وجزر الهند الغربية وقد تأثرت الحالة الجنسية فى هذه الجهات نتيجة لظروف كشف القارة ولذلك نلخص باختصار تاريخ هذا الكشف .

فى سنة ١٤٩٢ وصل كولومبس إلى إحدى جزر باهاما وأقام أول مقر له فى جزيرة أسبانيولا ، ثم فى أواخر رحلاته الأربع اكتشف ترينداد وشاهد مصب الأورينوكو وأبحر بحذاء ساحل أمريكا الوسطى وكانت هذه الرحلات لحساب دولة أسبانيا .

وفى نفس الوقت قام أميريجوفسبوكى Amerigo Vesqucci بأربع رحلات أراد أن ينافس بها رحلات كولومبس واكتشف أجزاء من ساحل أمريكا الجنوبية والرحلتان الأخيرتان كانتا لحساب البرتغال .

ولما وصل كولومبس إلى جزر الهند الغربية أصدر البابا مرسوما بأن جميع الأراضى التى كشفها الأسبان غرب خط ممتد من القطب إلى القطب إلى الغرب من جزر أزو وكيب فرد بمائة ميل بحرى تصبح ملكا للأسبان . وأما ما يقع شرق الخط فهو ملك البرتغال . ثم أرجع هذا الخط مائتين وسبعين ميلا بحريا أخرى نحو الغرب بمقتضى معاهدة توردسيلاس سنة ١٤٩٤ ؛ ومعنى هذا إعطاء البرتغال جزء أمريكا الجنوبية الواقع شرق هذا الخط وهو الجزء الذى يعرف الآن باسم دولة البرازيل . وأما أسبانيا فقد أصبحت تمتلك الجزء الباقى من أمريكا الجنوبية ثم أمريكا الوسطى والمكسيك وجزر الهند الغربية ثم جزءاً كبيرا مما يعرف الآن باسم « الولايات المتحدة » ولكنها لا تمتلك فى الوقت الحاضر شبرا واحدا من هذه الأرض لأن الأسبان جعلوا همهم جمع المعادن من ذهب وفضة ونحاس وإرسالها إلى أسبانيا ، هذا بالإضافة إلى نزاعهم مع السكان الأصليين وعدم عنايتهم باستغلال الأرض فى الزراعة لمصلحة المستوطنين بالقارة الجديدة وقد خسرت أسبانيا آخر معقل لها بالعالم الجديد وهو كالاو فى سنة ١٨٢٦ وكذلك لم تصبح البرازيل تابعة البرتغال ولكن العلاقة بين البرازيل والبرتغال كانت مختلفة إذ نظرت البرتغال إلى الجزء المخصص لها بالعالم الجديد كملجأ لسكانها المتزايدين يقصدونه بقصد الاستيطان والاستثمار الهادىء فى الزراعة . ولما لم تسعفهم الأيدى العاملة من الهنود الحمر — السكان الأصليين — لجأوا إلى جلب الزنوج من أفريقيا على النحو الذى فعله الأوروبيون فى جنوب الولايات المتحدة وقد تم الانفصال النهائى بين البرازيل والبرتغال فى سنة ١٨٢٢ وكان انفصالا سلميا .

وبذلك كان لتاريخ كشف القارة أثره فى حالتها الجنسية واللغوية فجاءها العنصر الأوروبى أولا ثم الزنوج . وأما من حيث اللغة فتسود الأسبانية فى كل جهات أمريكا الجنوبية ماعدا البرازيل وغانة بأقسامها الثلاثة حيث تسود البرتغالية .

وقد اختلط القوقازيون بأمريكا اللاتينية مع العناصر الأصلية من الهنود الحمر. ويرجع هذا إلى أن القوقازيين الذين وفدوا إلى أمريكا اللاتينية كانوا من شعوب جنوب أوروبا كالأسبان والبرتغاليين والطليان وهؤلاء لا يأنفون من الاختلاط بغيرهم بعكس الإنجلوسكسون فى أمريكا السكسونية (الولايات المتحدة وكندا) كما يرجع هذا إلى الدافع إلى الهجرات الأولى لكل من الاقليمين فالهجرات إلى أمريكا السكسونية كانت بقصد الاستيطان منذ مبدإ الأمر وكان قوامها الأسر ولذلك جاءوا مصحوبين بنسائهم . وأما الهجرات إلى أمريكا اللاتينية فكانت بقصد الفتح والكشف وكان قوامها الجنود ولذلك اختلط هؤلاء الجنود بالنساء الوطنيات ونشأ عن ذلك جيل خليط تزايد عدده على مر الأيام .

وكذلك لم يقم الحاجز اللونى الذى قام فى الشمال فوجدنا الزنوج كما وجدنا الخليط بينهم وبين غيرهم من السكان . يضاف إلى هذا أن الهجرة أبيحت للعناصر الآسيوية الصفراء بلا قيد ولا شرط فأدى هذا إلى وجود جاليات كبيرة العدد من هؤلاء .

ومعنى هذا أننا نستطيع أن نميز فى أمريكا الجنوبية العناصر الجنسية الآتية :

١ — السكان الأصليون وهم من الهنود الحمر . ٢ — الأوروبيون البيض .

٣ — الآسيويون الصفر . ٤ — الأفريقيون السود .

٥ — العناصر الخليطة وتشمل هذه :

(ا) خليط من الأوروبيين والهنود الحمر ويسمى مستيزو .

(ب) خليط من الأوروبيين والزنوج ويسمى مولاتو .

(ح) خليط من الهنود الحمر والزنوج .

ويبلغ عدد سكان أمريكا الجنوبية حوالى تسعين مليون نسمة ، نصنفهم فى

البرازيل وحدها تقريباً (٤١ مليون) ، والباقى موزع على الجمهوريات الأخرى التى تأتى فى مقدمتها من الناحية العددية الأرجنتين (١٣ مليون) وكولومبيا (عشرة ملايين) وبيرو (سبعة ملايين) وشيلى (خمسة ملايين) . أما باقى جمهوريات هذه القارة فيتراوح عدد سكانها بين نصف مليون وأربعة ملايين على وجه التقريب .

ومن ناحية الأصول الجنسية التى يرجع إليها سكان أمريكا الجنوبية بصفة عامة نجد أن ٦٠٪ منهم قوقازيون (حوالى ٥٥مليونا) هاجروا إلى هذه القارةفى القرون الاربعة الأخيرة وتناسلوا بها وتكاثروا ، وأما سكان القارة الأصليون وهم الهنود الحمر فلا يزيد عددهم فى الوقت الحالى عن خمسة ملايين أغلبهم فى بيرو وكولومبيا ، وأما الزنوج فعددهم حوالى ثمانية ملايين أغلبهم فى جمهورية البرازيل التى يخصها وحدها من هذا العدد أكثر من ستة ملايين . وفيما عدا هذه العناصر الجنسية الثلاثة — القوقازيون والهنود والزنوج — تمتاز أمريكا الجنوبية بكثرة عدد الخليط بها ولا سيما المولاتو والمستيزو يبلغ عددهم حوالى عشرين مليوناً منهم حوالى ثمانية ملايين مولاتو فى البرازيل وخمسة ملايين مستيزو فى كولومبيا .

ولا تخلو أمريكا الجنوبية من الأسيويين كالصينيين واليابانيين ولكن عددهم ضئيل لايصل إلى المليون .

الفصل الخامس

أجناس حوض النيل الادنى وساحل الليفانت

اولا – حوض النيل الادنى

تشغل مصر الركن الشمالى الشرقى من أفريقيا وتبلغ مساحتها مليون كيلومتر مربع وهى تعتبر من الناحية المناخية من أكثر جهات القارة جفافا ، وأما من الناحية الجنسية فتعتبر إحدى المحطات النهائية للجماعات البشرية المتقدمة من الجنوب مثل الحاميين الشرقيين ولكنها تعتبر محطة انتقال بالنسبة للجماعات التى دخلت إلى شمال أفريقيا عن طريق برزخ السويس مثل الساميين والأرمن وغيرهم .

وينتمى أقدم المصريين إلى مجموعات الحاميين الشرقيين . ويظهر أن معظم سكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات كانوا من هذه المجموعة الجنسية ولاسيما فى مصر العليا ويصف لنا أليت سميث Elliot Smith سكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات بناء على هياكلهم المكتشفة فى عدة مناطق بمصر العليا بما يأتى :

كان أقدم سكان مصر العليا المعروفين لنا أصحاب حجم ضئيل وعضلات ضعيفة وكانوا متجانسين جنسيا إلى حد كبير ، شعرهم أسمر غامق أو أسود ، مستقيم أو مموج ، ليس فيه أى مسحة زنجية على الاطلاق ، شعر الجسم والوجه قليل . أما شكل الرأس فمستطيل ضيق مع جبهة ضيقة وقذال بارز، وكذلك الوجه الطويل ضيق ، وأما الأنف فأكثر عرضا وتسطحا من أنوف الاوروبيين ورغم هذا لا يمكن القول بأن هذه الصفة الانفية من تأثير زنجى .

ونلاحظ على هــــذه الصفات أنها تقرب المصريين فى هذه الفترة من سكان

شواطىء البحر الأبيض المتوسط الأوروبية والأفريقية كما تقربهم من سكان بلاد النوبة رغم تأثر الآخرين ببعض الدماء الزنجية .

والمقاييس الجنسية للمصريين فى هذه الفترة كما يأتى :

طول القامة حوالى ١٦٠ سم ويندر أن تزيد عن ذلك ، النسبة الرأسية ٧٣ فى الجماجم ويعادل هذا ٧٥ فى الأحياء ، النسبة الأنفية حوال ٥٠ فى الجماجم . وقد لوحظ أن هذه المقاييس التى أخذت لهياكل المصريين من عصر ما قبل الأسرات تنطبق إلى حد كبير على قبائل البيجا الحاليين وهى القبائل التى تسكن صحراء مصر الشرقية ومديرية البحر الأحمر بالسودان وتمتد حتى أريتريا وحدود الحبشة .

وتنقسم البيجا إلى أربع جماعات هى من الشمال للجنوب :

١ — جماعة العبابدة بصحراء مصر الشرقية .

٢ — جماعة البشاريين ويمتدون من صحراء مصر الشرقية لمسافة ثمانيين ميلا جنوب الحدود المصرية السودانية ويشغلون شريطا من الأرض على نهر العطبرة .

٣ — جماعة الهدندوة وهم عبارة عن عدة قبائل منها الهدندوة والأمرأرو النوراب والأشراف والأرتيجة . وتمتد هـــذه المجموعة جنوبا حتى طوكر وخور بركة .

٤ — جماعة بنى عامر وهم يشغلون المنطقة جنوب خور بركة ويمتدون حتى أريتريا ويصلون حدود الحبشة ، بل توجد شعبة منهم فى الحبشة ولو أنها تسمى باسم آخر .

وفيما يلى إحصائية ببعض المقاييس الجنسية تبين أوجه الشبه بين المصريين فى عصر ما قبل الأسرات وبين جماعات البيجا الحالية .

	النسبة الرأسية	طول القامة
العبـــابدة	٧٣٫٧	١٦٠ سم
البشاريون (الذين بجوار النهر)	٧٨٫٤	١٦٥ سم
البشاريون (الذين بمناطق التلال)	٧٤٫٧	١٦٦ سم
الهـــدندوة	٧٦٫٣	١٦٣ سم
بنى عامر	٧٤٫٧	١٦١ سم
أسلاف المصريين (من نقادة بمديرية قنا)	٧٤٫٩	١٦٠ سم

ويلاحظ أن العبابدة وبنى عامر هم أكثر جماعات البيجا قربا للمصريين القدماء، وأما البشاريون والهدندوة فقد ابتعدوا بعض الشيء عن الصفات المصرية القديمة وربما كان ذلك نتيجة دماء أجنبية . ويلاحظ فى الأرقام التى أعطيت لأسلاف المصريين فى الإحصائية السابقة أنها زيدت بمقدار وحدتين من وحدات القياس لكى تصبح مقارنتها برءوس الأحياء . ومعنى هذا أننا يمكن أن نتخذ الشكل الحالى لقبائل بنى عامر والعبابدة ممثلا لشكل المصريين فى عصر ما قبل الأسرات ، وبذلك يكون هـذا الشكل قد استمر فى هذه القبائل دون تغيير مدة لا تقل عن ستة آلاف عام . أما الدماء الأجنبية التى أبعدت البشاريين والهدندوة عن صفات المصريين القدماء فيظن أنها دماء أرمنية تتمثل فى زيادة النسبة الرأسية وفى شكل الأنف وطول القامة ومتانة البنيان .

ولا يعرف شكل الإنسان فى مصر فى العصر الحجرى القديم الأسفل، ولا فى العصر الحجرى القديم الأعلى .

ولكن إذا انتقلنا إلى العصر الحجرى الحديث نجد أنه لدينا معلومات عن هذا العصر مستمدة من جبانة البدارى وقد دلت مقابر البداريين على أنهم كانوا قصار

القامة نحاف الجسم ، وكانت رؤوسهم صغيرة ضيقة فهم فى هذا شبيهون بسكان مصر فى القسم الأخير من عصر ما قبل الأسرات ، غير أن الصفات الزنجية فى البداريين واضحة ، فهم يقتربون فى بعض النواحى من الأجناس الهندية القديمة كالدرافيديين فى الهند والفدا فى سيلان ، وليس معنى هذا أنهم ينتمون للجنس الزنجى بل كل ما فى الأمر أن فيهم صفات زنجية طفيفة ، فهم حاميون عليهم مسحة زنجية .

وقد عملت حفائر فى عدة جبانات أخرى ترجع لفجر التاريخ أى قبل قيام الأسرات الملكية ، ومن هذه الجبانات ما وجد فى نقاده بمديرية قنا والعمرة بمديرية جرجا والبدارى بمديرية أسيوط ثم المعادى ومصر الجديدة بضواحى القاهرة وكانت طريقة الدفن فى كل هذه الجبانات متشابهة . فالمقابر عبارة عن حفر بيضاوية قليلة العمق يوضع فيها الجسم فى شكل القرفصاء ثانياً ركبتيه إلى فمه وضاما يديه إلى بعضهما واضعا أياهما تحت خده ومتخذا منهما وسادة . وأحياناً يكون على جانبه الأيمن ، وأحيانا أخرى يكون على جانبه الأيسر ، وأما اتجاه الرأس نحو الجهات الأصلية فيختلف فى الغالب بين الجبانات المختلفة بل يختلف فى الجبانة الواحدة . وقد أعطتنا هذه الحفائر فكرة عن العناصر الجنسية التى دخلت فى تكوين المصريين .

والهياكل البشرية بمقابر ملوك الأسرة الأولى ولو أنها من جنس السكان فى عصر ما قبل الأسرات — أى ذات رؤوس طويلة — إلا أن رؤوسهم أعرض وهياكلهم أقوى من سكان عصر ما قبل الأسرات . وكذلك يظهر بالمقابر الملكية ابتداء من الأسرة الثالثة عنصر عريض الرأس من الجنس الذى يسميه علماء الأجناس « أرمينى » ، يضاف إلى هذا أن اللوحات الأردوارية فى أوائل

الأسرات تصور عدة أجناس بين أتباع مينا وأعدائه وقد ميز بترى نسخ نماذج جنسية عن هذه اللوحات .

وبذلك يمكن القول أنه دخلت بعض تغييرات على شكل المصريين ابتداء من العصر التاريخى ، إذ لوحظ على هياكلهم فى عصر بناة الأهرام بعض الضخامة فى التكوين العام ثم عرض فى الجمجمة والوجه وضخامة الفك وهذا نتيجة الدماء الأجنبية التى قيل بأنها دماء الأرمن وبذلك يمكن القول أنه بينما يمثل العبابدة وبنى عامر أسلاف المصريين أو المصريين فى فجر التاريخ يمثل البشاريون والحدندوة المصريين فى العصر التاريخى مع ملاحظة أن هذه التأثيرات الأرمنية تزداد وضوحا فى مصر السفلى عنها فى مصر العليا لان هذه التأثيرات جاءت عن طريق برزخ السويس فطبيعى أن تكون أقوى فى الدلتا منها فى الصعيد .

التأثير العربى :

يقسم سلجمان Seligman العرب بأفريقيا إلى الأقسام الآتية :

١ — الأبالة : أى أهل الإبل وهم البدو الصرف والرعاة الحقيقيون .

٢ — البقارة وهم رعاة متجولون ولكن إلى حد محدود تتطلبه طبيعة الماشية .

٣ — أهل السواقى وهم زراع مستقرون إلى حد ما : أى أنهم متجولون جزءا من السنة .

ومع أن هذا تقسيم اجتماعى إلا أن له دلالته الجنسية فى كثير من الاحيان ، فلا البقاره ولا أهل السواقى يمكن أن يعتبروا عربا صرفا بل تدخلهم دماء أجنبية كان لها أثرها فى صفاتهم الجسمانية أولا ثم فى صفاتهم الثقافية فتخلوا عن حرفة البدو الرئيسية وأصبحوا بقارة (رعاة ماشية) وأهل سواق (زراعا) .

زد على أنه توجد بطون القبائل مثل قبيلة الكنانة فى السودان تشتمل على الأقسام الثلاثة ففيهم البدو أهل الأبل وفيهم البقارة أصحاب الماشية ومنهم الزراع أهل السواقى الذين يبذرون الأرض ثم يغادرونها إلى الصحراء ولايعودون إليها إلا فى وقت الحصاد لجنى الغلة .

اما التقسيم بين أهل الإبل وأهل الماشية فيظهر أن الظروف الجغرافية هى التى حتمته لأن الجمال لا يمكن أن تربى جنوب خط عرض ١٣ شمالا كما أن الماشية يلائمها ما جنوب هذا الخط لوفرة أمطاره مثل المنطقة المحصورة بين بحر العرب ودارفور وبحيرة شاد .

غير أن مصر لم تتلق تأثيراتها العربية من الجنوب وإنما تلقتها من الشمال الشرقى عن طريق برزخ السويس وبذلك حدثت هذه التأثيرات فى مرحلة حديثة فى التاريخ الجنسى للمصريين .

وما زالت بمصر بعض قبائل تدعى النقاوة الجنسية وتحاول الاحتفاظ بأصولها العربية فى الأسماء والنظم .

وتشمل هذه القبائل العربية :

١ — قبائل المعازة بصحراء مصر الشرقية .

٢ — قبائل أولاد على بمديرية البحيرة وحدود مصر الغربية ويمتدون حتى طرابلس .

٣ — قبائل الحرابى بالفيوم الذين ما زالوا يمارسون حرفة الرعى الصرفة ويمتدون حتى طرابلس أيضاً .

٤ — صيادو بحيرة المنزلة الذين يدعون انتسابهم إلى عرب شبه جزيرة سيناء .

٥ — قبائل الحويطات بالمطرية .

وابتداء من القرن السابع بعد الميلاد نجد عناصر جديدة من السكان تفد إلى مصر ، ويمكن إدماج هذه العناصر تحت الاسم العام « العنصر العربى » غير أن كلمة عربى مبهمة من الناحية الجنسية مثل كلمة سامى ثم إن كلا التعبيرين اختلط منذ هذه الفترة بكلمة مسلم. ومما يزيد صعوبة استقصاء الأثر العربى فى حالة مصر الجنسية مالاحظه أليت سميث من أن التكوين الجسمانى للعرب المحدثين الذين يسكنون اليمن والحجاز ، والبدو والرحل الذين يفدون إلى مصر بين آن وآخر لا يختلف عن النماذج الجنسية التى عرفت من البقايا العظيمة لسكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات . فإذا كان هؤلاء العرب المحدثون هم سلالة أولئك الذين كانوا يسكنون شبه جزيرة العرب منذ أقدم العصور البشرية فإنه من الصعب أن نميز بين الهياكل البشرية المصرية وبين الهياكل العربية. وقد لوحظ فوق هذا أن جزءاً كبيراً من العرب المحدثين يتفق فى شكله مع سكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات ومن ثم ليس هناك شك فى أن اتصالا وجد بين العنصرين منذ أقدم العصور البشرية .

وإذا كان البحر الأحمر والصحراء الشرقية قاما بوظيفة الفصل بين العنصر الحامى فى غربه وبين العنصر السامى فى شرقه فإن هذا الفاصل يتلاشى فى منطقة برزخ السويس ومن هنا كان التأثير العربى فى مصر منذ القدم . ولكن الشعب المصرى على عاداته دائماً كان يمتص هذه الدماء العربية حتى يفنيها فيه وبذلك يصعب استقصاء الأثر الجنسى للجماعات السامية التى سبقت الفتح العربى مثل الهكسوس والعبرانيين بل يصعب استقصاء الأثر الجنسى للجماعات العربية التى شهدت الفتح ، وفى ذلك يقول المقريزى — وهو من كتاب القرن الخامس عشر الميلادى — : « اعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر وجهلت أحوال أكثر أعقابهم » .

ولقد اتبع حكام العرب سياسية منظمة بعد الفتح العربى لمصر لنقل القبائل العربية من شبه جزيرة العرب ومن الشام إلى مصر ، يضاف إلى هذا أن الجيش وتعداده ثلاثون ألفاً كان من العرب .

غير أن الأفضلية للقبائل المهاجرة كانت تتغير بتغير الحكام فكل حاكم كان يحابى قبيلته وكان الاتجاه فى أوائل الحكم الإسلامى بمصر منع العرب من امتلاك الأرض لكى يتفرغوا للجهاد ثم عدل الحكام عن هذا النظام فيما بعد لما استقر الأمر للسلمين نهائياً بمصر ومع ذلك ورغم تشجيع الحكام للعرب فإنهم حتى سنة ٧٢٧ م لم يقبلوا على حرفة الزراعة .

ويمكن القول أن دخول العرب مصر مر بالمراحل الآتية .

المرحلة الأولى : شغلت القرون الأربعة أو الخمسة السابقة لظهور الإسلام وكانت القبائل فى هذه المرحلة تفد من الحجاز ومن جنوب غرب شبه الجزيرة إلى الشمال حيث تستقر بالقرب من حدود مصر الشرقية إلى أن اشتركت فى عملية التعريب النشطة التى شغلت الفترة التالية لذلك .

المرحلة الثانية : كانت الهجرات تفد فيها بلا انقطاع من أجزاء مختلفة من بلاد العرب وقد أدخلت هذه الهجرات بالفعل دماء جديدة بمصر وقد بدأت هذه المرحلة بفتح المسلمين لمصر فى القرن السابع الميلادى واستمرت حتى أواخر القرن الثالث عشر حينما تغيرت النظرة إلى العرب .

المرحلة الثالثة : لم تصل فيها هجرات عربية جديدة إلى مصر وأصبح الاتجاه نحو وقف هذه الهجرات لأن حكام مصر لم يصبحوا من العرب وقدر لنا المقريزى عدد القبائل العربية بمصر فقال : ولما قدم الغز صحبة أسد الدين شيركوه إلى مصر كان بأرض مصر من العرب طلحة وجعفر وبلى وجهينة ولخم وجذام وشيبان وعذره وطي وسنبس وحنيفة ومخزوم ، وفى جرائد الدولة الفاطمية منهم ألوف » .

وقد استمر النفوذ العربي قويا حتى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر واستمرت الأفواج العربية يتلو بعضها بعضاً ، ثم تغير نوع الحاكم في مصر فلم يعد عربيا بل أصبح مملوكا ، فتوقفت هجرات العرب إلى مصر بل إن كثيرين من العرب المستقرين بمصر عادوا أدراجهم إلى النيداء لأنهم لم يقبلوا العيش تحت الحكم الجديد. وأما أولئك الذين ارتضوا هذا الحكم فقدمارسوا الزراعة واختلطوا بالمصريين فأثروا فيهم جنسيا وتأثروا بهم اجتماعيا إذ تعلموا الزراعة والاستقرار ، وأقدم العرب الذين مارسوا الزراعة هم قبائل قيس بمنطقة بلبيس وأما قبائل شمال شرق الحوف (شرق الدلتا) فرغم قدمهم بهذه الجهات فإنهم لم يمارسوا الزراعة إلا بعد حكم المماليك ويعتبر العبابدة في جنوب الحوف آخر من اشتغل بالزراعة وعاش معيشة الاستقرار .

وقد لخص شانتر Chantre التاريخ الجنسى للمصريين في الحقائق الآتية :

أولا : يمتاز المصريون القدماء والمحدثون بطابع خاص هو اتحاد الشكل ووضوح الشخصية رغم ما تعرضت له البلاد من غزوات عديدة وهجرات كثيرة .

ثانيا : لم يكن للنزحات الجنسية إلى مصر — سلمية كانت أو حربية — أي أثر واضح في تغيير الشكل الأصلي للسكان مما يدل على أن الشكل المصري كان من القوة بحيث استوعب كل الأشكال الأجنبية التي دخلت البلاد .

ثالثاً : أن التشابه بين شكل المصريين وبين شكل البيجا ليس مرجعه حدوث اختلاط جنسي بين الفريقين وإنما مرجعه إلى وحدة الأصل .

رابعاً :الشعب المصري أصيل في وادي النيل ، يفد من جهة أخرى بشكل مباشر .

خامساً : ليست الحضارة المصرية أصيلة في وادي النيل فحسب بل وعريقة أيضا ترجع إلى العصور الحجرية ، وتثبت نتائج الحفر والتنقيب كل يوم هذه الأصالة والعراقة في الجنس والحضارة .

ثانيا : أجناس ساحل الليفانت

أخذت سوريا اسمها من مدينة سور التى كانت أعظم الموانى الفينيقية شهرة ، ولذلك اعتبرها اليونان — ومن بعدهم الرومان — أهم ما فى ساحل الليفانت فأطلقوا على الاقليم كله — ساحله وداخله — اسم سوريا . وكان اسم سوريا فى ذلك الوقت يشمل ما نسميه فى الوقت الحاضر سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

وأما الساميون فكانوا يسمون هذا الأقليم آرام . وكانوا يسمون لغته الآرامية ، وهى اللغة التى كان يتكلم بها سكان سوريا بتحديدها القديم قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام. وكان يقال أحيانا اللغة السورية ويقصد بها اللغة الآرامية.

وأما اسم لبنان فجاء من كلمة عبرية بمعنى أبيض ، وذلك نسبة إلى لون الثلج الذى يغطى جبالها فى فصل الشتاء .

ومنذ خمسة آلاف عام كان الفينيقيون يسكنون السهل السورى ، والفينيقيون ساميون وافدون من الصحراء ، ولكنهم لم يلبثوا أن أصبحوا سادة العالم فى الفنون البحرية ، فسيطرت سفنهم الحربية والتجارية على محيطات العالم وبحاره المعروفة حينذاك . وكان لهم فى العالم القديم الشهرة البحرية التى للبريطانيين فى العالم الحديث .

والفينيقيون هم أجداد العرب ، وكان لرحلاتهم أثرها فى نشر دم الساميين وثقافتهم فى جهات كثيرة من العالم وعلى الأخص شمال غرب أفريقيا ، فى ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، فقد استولى الفينيقيون على مراكز فى سواحل هذه الجهات واستوطنوها واختلطوا بسكانها فخلفوا دماءهم فى هذه الجهات .

وأما فى سوريا نفسها فإن الساحل السورى كان منذ خمسة آلاف سنة يعج بالسفن السورية والمصرية واليونانية والقبرصية وسفن شمال غرب أفريقية ، كما

كانت مدن ســــوريا الداخلية ملتقى طرق القوافل التى تفد من مصر والعراق وآسيا الصغرى .

وقد ألقت حفائر رأس الشمرة (أوجاريت) ضوءاً على المجتمع السورى القديم الذى كان كنعانيا أو فينيقيا أو عربيا جنسا ولكنه من حيث الحضارة كان مركزاً عالميا للإشعاع الحضارى . لأن آثار او جاريت تضم أشياء من بلاد كثيرة ففيها تماثيل فراعنة مصر وأوانى قبرص وكريت بالإضافة إلى الفؤوس البرنزية والأوانى الفخارية المصنوعة محليا .

ولكن أهم ماكشف فى رأس الشمرة مكتبتها التى ترجع للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وتضم هذه المكتبة آلاف القوالب المكتوبة بالخط المسمارى ، وقد أمكن التعرف على ست لغات فى هذه اللوحات ، هى البابلية — لغة السياسة فى ذلك الوقت — ثم السومرية — لغة الدين فى ذلك الوقت — ثم اللغة المصرية والحيثية ثم اللغة الفينيقية والعبرية . وكل هذا يعطينا فكرة عن مجموعات الناس التى كانت تعيش فى الساحل السورى فى ذلك الوقت .

على أن أقوى صلات سوريا القديمة كانت مع مصر ، فكانت هذه الصلات واضحة منذ بداية العصر الفرعونى أى حوالى سنة ٣٠٠٠ ق . م ، إذا امتدت العلاقات المصرية عبر شبه جزيرة سينا إلى سوريا الجنوبية (فلسطين) ثم إلى سوريا الشمالية . فمنذ عهد الدولة القديمة أى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م كان المصريين صلات قوية مع بيبلوس ثم مع سوريا الشمالية ساحلها وداخلها . وتدل الوثائق القديمة سواء ما جمع منها من بيبلوس أومن مصر على أن سكان سوريا فى الألف الثالثة قبل الميلاد كانوا من الساميين الأنقياء — كنعانيون أو فينيقيون — يشتركون فى رابطة الدم واللغة والدين والتاريخ ويسكنون مناطق السهوب التى تلى جبال آسيا

مناطق سوريا الصالحة للزراعة بما فيها أعالى الفرات . وينتمي هؤلاء إلى سلالة البحر المتوسط .

وكان من الطبيعى أن يحتك هؤلاء الساميون بجيرانهم من غير الساميين فى الشرق والشمال ، ويتأثروا بهجرات أو غزوات من مناطق المرتفعات فى إيران وأرمينيا وآسيا الصغرى ، وهؤلاء من عراض الرأس وبذلك دخل دم الجنس الآلبى سوريا .

وكذلك كان شمال سوريا من الجهات التى سلكتها طلائع النرديين فى طريقهم إلى سهول أوروبا ، وبذلك تأثر هذا الجزء من سوريا بالدم النردى وظهرت فى سكانه نسبة من الشقرة تتمثل فى بياض البشرة وزرقة العين .

ومن هنا يمكن القول أن الأساس الجنسى للسوريين سلالة البحر المتوسط (ساميون) ، وتزداد الصفات السامية نقاء كلما سرنا من شمال سوريا نحو الجنوب ، ثم تأثر شمال سوريا ببعض عراض الرأس من الأرمن والحيثيين ، كما تأثر ببعض الشقرة من طلائع النرديين ، ويعرف هؤلاء فى سوريا باسم العموريين .

ولما بدأ العصر التاريخى فى الألف الثالثة قبل الميلاد كان بعض الساميين قد ترك حياة البداوة وأخذ يحيا حياة الحضر ، وهجر حرفة الرعى وعكف على حرفة الزراعة ، وتحول من نظام التجوال إلى نظام الإستقرار ، وبذلك قامت القرى الثابتة والمدن فى الاقليم السورى حول المجارى المائية الدائمة ومصادر الماء العذب المضمونة طول العام .

وتدل الوثائق المصرية القديمة على أن الحركة السامية الكبرى حدثت قبل سنة ٣٠٠٠ ق . م بكثير ، وأن سبيلها لم يكن مقصوراً على الاتجاه من الصحراء العربية نحو ساحل البحر المتوسط ؛ بل شمل كذلك طريق البحر الأحمر وبرزخ

السويس ، وأن هذا الطريق الأخير نقل كثيرا من الساميين إلى مصر فى الوقت الذى نقلتهم الطريق الصحراوية إلى سوريا . ويعطى علماء الأجناس لهذه الهجرات تاريخيا بين الألف الخامسة وبين الألف الرابعة قبل الميلاد . فالساميون الذين وصلوا سوريا فى هذه الفترة أقرباء الساميين الذين وصلوا مصر فى نفس الفترة .

وصفات الجنس السامى النقى هى الرأس الطويل والأنف المستقيم الضيق والقامة المتوسطة والبشرة السمراء ولكن نتيجة للاختلاط بسلالات أخرى نجد الرأس عند بعض الساميين يميل التوسط (النسبة الرأسية بين ٧٥ ، ٧٩) .

ومن الأمور الجديرة بالاعتبار أن التقسيم الإجتماعى فى سوريا إلى بدو وحضر له دلالة جنسية ، فبينما احتفظ البدو الرعاة بصفاتهم الجسمانية نقية بسبب عزلتهم فى الصحراء نجد الزراع والصناع يحملون دماء سلالات أخرى كالألبيين . والنرديين . وقد لوحظ أن سكان المدن والزراع المستقرين فى المرتفعات السورية يسود بينهم عرض الرأس من تأثير الجنس الألبى ، وأن البدو الرحل يسود بينهم طول الرأس ، وبذلك يعتبرون ممثلين أنقياء لسلالة البحر المتوسط .

مطبعة النصر
لصاحبها علي عبد العزيز علي
١ ش العدل أول طريق بشتيل - امبابه